

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٧/١٢/٩



كتاب الفتوح

للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي

(المتوفى نحو ٣١٤هـ = ٩٢٦م)

(الجزء السابع)

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

البروفيسور السيد عبد الوهاب البخارى مدير دائرة المعارف العثمانية وعميدها



الطبعة الأولى

بِطَبْعَةِ دَائِرَةِ الْمَعْرِفَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِذْنِ الْوَلِيِّ الْمُهَيَّبِ الْهِنْدِيِّ

١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م

فهرس الجزء السابع

من كتاب الفتوح لابن أعم الكوفي

| صفحة | عنوان |
|------|--|
| ١ | ذكر كلام عبد الملك بن مروان على المنبر، وإجابة الحجاج إياه. و تولية الحجاج العراق جميعا . |
| ٤ | • قدوم الحجاج إلى الكوفة و كلامه على المنبر . |
| ٤٦ | • خبر سبرة بن الجعد مع الحجاج بن يوسف . |
| ٥١ | • ثم رجعنا إلى أخبار الأزارقة . |
| ٥٢ | • خبر الجاريتين ابنتي تبع الحميري و خبر محمد بن يوسف أخى الحجاج و خبر السيف و هذا داخل فى حديث الأزارقة . |
| ٥٣ | • ذكر اختلاف الخوارج و تشتت أمرهم . |
| ٧١ | • كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بعد فراغه من الأزارقة . |
| ٧٣ | • الرسول و كلامه بين يدي الحجاج . |
| ٧٦ | • كتاب الحجاج إلى المهلب . |
| ٧٨ | • ولاية خراسان للمهلب بعد فراغه من حرب الأزارقة . |
| ٧٩ | • مسير سفیان بن الأبرد الكلبي لما بعث به الحجاج إلى حرب من انفلت من الأزارقة . |

| صفحة | عنوان |
|------|--|
| ٧٤ | ذكر خروج شيب بن يزيد و ما كانت من أمره و خروجه على الحجاج . |
| ٩٨ | • عمران بن حطان الخارجي • |
| ١٠٧ | ثم رجعنا إلى الخبر الأول و أمر خراسان . |
| ١١٤ | ابتداء أمر ابن الأشعث مع الحجاج بن يوسف . |
| ١١٨ | ذكر كتاب المهلب بن أبي صفرة إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث . |
| ١١٩ | • وفاة المهلب بن أبي صفرة و وصيته عند موته . |
| ١٢٠ | • مسير ابن الأشعث إلى العراق لمحاربة الحجاج . |
| ١٣٠ | • هذه أول وقعة كانت لابن الأشعث مع الحجاج . |
| ١٣٤ | • هذه الوقعة الثانية بالبصرة بين ابن الأشعث و بين الحجاج ابن يوسف . |
| ١٣٦ | ذكر وقائع دير الجماجم . |
| ١٤١ | • مقتل كميل بن زياد رضى الله عنه صاحب على بن أبي طالب رضى الله عنه . |
| ١٤٥ | • وقعة القوم بالمفتح . |
| ١٤٦ | • الأسارى و من قتل منهم صبوا يوم المفتح . |
| ١٥١ | • هرب ابن الأشعث إلى بلاد كرمان . |
| ١٥٣ | • الوقعة مع يزيد بن المهلب . |

| صفحة | عنوان |
|------|---|
| ١٥٨ | ذكر مقتل سعيد بن جبير رحمه الله . |
| ١٦٧ | • خروج مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم . |
| ١٨٤ | • متير مسلمة بن عبد الملك إلى عمورية بعد فتح طوانة . |
| ١٩٦ | • وههنا تقع أخبار يزيد بن المهلب وما كان من أمره ثم نرجع إلى أخبار قسطنطينية و انصراف المسلمين عنها إن شاء الله تعالى . |
| ٢٠١ | • ذكر موت عبد الملك بن مروان و وصيته عند موته إلى أولاده ، |
| ٢٠٥ | • دخول قتيبة إلى خراسان أميرا عليها ثم نرجع إلى خبر يزيد بن المهلب . |
| ٢٠٨ | • رجعنا إلى خبر يزيد بن المهلب و الحجاج بن يوسف . |
| ٢٠٩ | • ذكر هرب يزيد من السجن إلى بلاد الشام و اتصاله بسليمان ابن عبد الملك . |
| ٢١٥ | • ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم و نرجع إلى خبر يزيد بعد إن شاء الله تعالى . |
| ٢١٧ | • ذكر مغازي قتيبة بن مسلم بخراسان . |
| ٢٢١ | • غنائم ييكند وما وجد في خزائنها . |
| ٢٢٤ | • مسير قتيبة بن مسلم إلى بخارى . |
| ٢٢٥ | • نيزك البرقشي و هربه من عسكر قتيبة . |
| ٢٢٥ | • خبر المنطقة . |
| ٢٣١ | • ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم . |

| صفحة | عنوان |
|------|---|
| ٢٣١ | ذكر مسير قتيبة إلى مرو الروذ و الطالقان و الفارياب و الجوزجان في وقت واحد . |
| ٢٣٤ | • مسير قتيبة إلى بلاد سجستان ثم منها إلى بلخ . |
| • | • إلى بلخ و ما والاها من الكور . |
| ٢٣٥ | • إلى خوارزم . |
| ٢٣٨ | • إلى السغد من بعد فتح خوارزم و ما والاها . |
| ٢٣٩ | • كتاب الحجاج إلى قتيبة . |
| • | • نزول قتيبة على سمرقند و محاربة أهلها . |
| ٢٤٣ | • صلح قتيبة بن مسلم على سمرقند و دخوله و المسلمين إياها . |
| ٢٤٤ | • العهد الذي كتب الغوزك بن أخشيد . |
| ٢٤٧ | • كتاب الحجاج إلى قتيبة . |
| ٢٤٨ | • عند وفاته . |
| ٢٤٩ | • ولاية يزيد بن أبي كبشة على العراق و مسير قتيبة إلى فرغانة . |
| ٢٥١ | • فتح كاشغر من أداني مدائن الصين ، و وفاة الوليد بن عبد الملك . |
| ٢٥٣ | • ابتداء خلاف قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك و عصيانه إياه . |
| ٢٦١ | • كلام قتيبة في خطبته . |
| ٢٦٥ | • مقتل قتيبة بن مسلم و اجتماع أصحابه على ذلك . |
| د | (١) ذكر |

| صفحة | عنوان |
|------|---|
| ٢٨٠ | ذكر ولاية يزيد بن المهلب أرض خراسان . |
| ٢٨٦ | • مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان وما كان منه إلى أهلها . |
| ٢٨٩ | • مسير يزيد بن المهلب . |
| ٢٩٣ | • مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان وما فعل بها وأهلها . |
| ٢٩٦ | • كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان . |
| ٢٩٨ | • رجوع مسلمة بن عبد الملك إلى دار الاسلام بعد أربع عشرة سنة . |
| ٣٠٦ | • خلافة عمر بن عبد العزيز . |
| ٣١١ | • ذكر كتاب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب . |
| ٣١٣ | • القوم المتظلمين من يزيد بن المهلب وما كان من كلامهم بين يدي عدى بن أرطاة وما كان من رده عليهم بجواب لم يسمع بمثله . |
| ٣١٥ | • وهذا كلامهم ليزيد بن المهلب على رؤس الأشهاد . |
| ٣١٦ | • ذكر جواب يزيد لهؤلاء القوم . |
| ٣١٨ | • قدوم يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز . |
| ٣١٩ | • قدوم مخلد بن يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز من خراسان . |
| ٣٢٠ | • ولاية خراسان وأرمينية . |
| ٣٢١ | • خبر يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك . |
| ٣٢٣ | • ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز . |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر كلام عبد الملك بن مروان على المنبر، وإجابة
الحجاج إياه، وتولية الحجاج العراقيين جميعاً

قال: فتكلم / عبد الملك بن مروان، فقال: أيها الناس! إن العراق
قد تكدر ماؤها، وظهر جدبها، و ملح عذبها، وبدأ وميضها، واشتد
ضرامها، وكثر لهبها، وثار قمامها^٢، وعظم شررها، وعلا أمرها، وأبرق^٣
رعودها، وكثر وقودها، بحطب حتى^٤، وجر ذكي، ودينان وهي؛ وهؤلاء
الأزارقة، الطغاة المارقة؛ قد اشتدت شوكتهم، و تفرقت جرثومتهم؛
حتى قد حذرهم^٢ الصغار، وليس يقوم لهم الكبار؛ فمن ينتدب لهم منكم
بسيف قاطع، و سنان^٤ لامع، و قلب جامع؛ فيخمد نيرانهم و ينتفع

(١) في الأصل: العراق .

(٢) في الأصل: قمام .

(٣) في الأصل: حذروهم .

(٤) في الأصل: شان .

بها خطرهما و يأمن الكاعب، و يرجع الغائب؛ و يصفو البلاد، و يسلس القيادة؟
 قال: فسكت^١ الناس و قام الحجاج فقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين!
 فولني^٢ إياها، فأنا الليث القمقام، و الليث الضرغام، و السيف الحسام،
 الهشام للعظام و الهام؛ و أنا فراج الصفوف، و قاتل الألوف، و مأوى
 ٥ القرى و الضيوف، و جلس الحمام و الختوف، و القنا و السيوف. قال
 فقال له عبد الملك بن مروان: اسكت! فلست هناك. ثم قال: أيها
 الناس! إنه قد أطرقت الليوث، و كاعت الديوث، و تربصت البعوث؛
 و لست أرى أسدا يقصد لفريسته، و لا ذئبا يسمو نحو بغيته، و لا نمرا
 يخرج من غيخته؛ فمن للعراق و حرب الأزارقة؟ قال: فسكت^١ الناس
 ١٠ و تكلم الحجاج فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين! فولني^٢ إياها، فأنا الليث
 الغشمشم، و القرن المنتقم؛ من الظالم الخائن، و الغادر الآفن؛ أنا ذوالنفاذ
 و اللسان، و العدل و الإحسان، و السرعة إلى الأقران، عند تشاجر المران^٣.
 قال فقال عبد الملك: إن لكل أمير آلة و قلائد، فما آلتك و قلائدك؟
 فقال: يا أمير المؤمنين! الشدة و اللين، و العفو و القتل، و الريث و العجل،
 ١٥ و الرفق و الحزق، و المكاشفة و المداراة، و لإادناه و الإبعاد، و الجفاء
 و التواضع، و الصلة و الحرمان؛ أنا الليث المحصور، المتقمص بجلد النمر،
 فمن رمقني بسوء حددته، و من نازعني بدوته، و من لوى شذقيه جذعته،

(١) في الأصل: فسكتوا.

(٢) في الأصل: فوليني.

(٣) أي الرماح اللدنة في صلابته، الواحدة: مُرَّانَة.

و من تكبر على قمته ، و من نازعى قصمته ، و من دنا منى أكرمه ،
 / و من نأى عنى طلبته ، و [من] ثبت لى طاعته ، و من ولى عنى لحقته ،
 و من أدركته قتلته ، و من ماحكته غلبته ، و من طلب الأمان أعطيته ،
 و من تواضع لى أدنيته ، و من سارع إلى طاعة أمير المؤمنين بجلته - فهذه
 آلتى و قلائدى ، و أنا صاحب ابن الزبير ؛ و لا عليك يا أمير المؤمنين ه
 أن تسبرنى و تجربنى ا فان كنت للأعناق قطاعا ، و للأرواح نزاعا ،
 و للخراج جماعا ، و فى الأمور نفاعا ؛ و إلا استبدلت بى غيرى . و فى
 رواية أخرى أنه قال : إن آتى أن أزرع بدرهمك من يواليك ، و أحصد
 بسيفك من يعاديك ، سوّد لى قرطاسا و اعقد لى خرقة فى رأس قناة .
 فقال له : أنت لها و لكل شدة ؛ فكتب عهده بيده . قال فقال له ١٠
 عبد الملك بن مروان : أنت لها يا حجاج ، فسر إليها مشمرا لإزار ، شديد
 الحذار ؛ فارفع الشريف ، و قوّ الضعيف ؛ فقد وليتك العراقين جميعا
 و البصرة ، فاضغطها ضغطة يحيق بها أهل البصرة ؛ و إياك و هويتنا أهل
 الحجازا فان القائل يقول ألفا و لا يقطع حرفا .

قال : ثم التفت عبد الملك بن مروان إلى كاتبه فقال : اكتب عهده ١٥
 على العراقين ، و اطلق يده فى الرجال و السلاح و الأموال و لا تجعل
 له علة ، و اعلم أهل العراق أنه قادم إليهم أميرا عليهم فليلزمو طاعته
 و ليحذروا صولته . قال : فكتب عهد الحجاج على العراقين يوم الاثنين ،
 و خرج يوم السبت ، فلم يزل يسير حتى دخل الكوفة .

(١) فى الأصل : قوى .

ذكر قدوم الحجاج إلى الكوفة و كلامه على المنبر

قال : فلما دخل الكوفة قدم^١ أشرف الناس ينظرون إليه من كل ناحية ، حتى نزل على باب المسجد الأعظم ، ثم دخل المسجد الأعظم من ساعته و على رأسه عمامة له حمراء قد اعتجر بها ، و تنكب قوسا له عريبا و هو متقلد بالسيف حتى صعد المنبر فجلس عليه ، و اجتمع^٢ الناس حتى انقص المسجد بأهله و الحجاج جالس على المنبر ما يحذر اللثام عن وجهه و لا ينطق بحرف . قال : و أهل الكوفة يومئذ / ذو هيئة و عزة و بزة و منعة و حالة جميلة ، الرجل منهم يدخل المسجد و معه جماعة من أهل بيته و مواليه ، و عليهم الخزوز و أشباه ذلك ؛ قال :
 ١٠ و في المسجد يومئذ أشرف مجتمعون . قال : فتكلم رجل منهم فقال : لعن الله بنى مروان حين يستعملون مثل هذا أميرا ! فوالله لو كان كله كلاما لما كان شيئا ! قال : و الحجاج ساكت^٣ ينظر يمينا و شمالا ، فلما أن رأى أن المسجد قد انقص بأهله قال : اجتمعتم ؟ قال رجل منهم : نعم ، قد اجتمعنا أصلح الله الأمير ! فهات ما عندك ، قال : فسكت الحجاج قليلا لا يأتي بجواب ، فلما نظروا إلى سكوته أهواوا بأيديهم إلى حصاب المسجد ليحصبوه . قال : و فطن الحجاج لذلك فقام قائما على قدميه ، و خفقت الطبول و الأعلام على باب المسجد ، و تكلم الحجاج و قال :

(١) في الأصل : قدموا .

(٢) في الأصل : اجتمعوا .

(٣) في الأصل : ساكتا .

أفعلتموها يا أهل الفتنة الداجنة^١ ثم سفر العمامة عن وجهه و جعل يقول :

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا^٢ مني أضع العمامة تعرفوني^٣
 صليبُ العود من سلفي نزار^٤ كنصل^٥ السيف و ضاح الجبين
 و ما ذا يتغنى الأقران^٦ مني و قد جاوزتُ حدَّ الأربعين
 أخو الحسين^٧ بجمع أشدى^٨ و همي في مداواة^٩ الشؤون
 و إني لن يعود^{١٠} إلى قرني غداة الروح إلا بعد حين^{١١}

قال : ثم سكت هنيهة و قال : إني لأرى رؤسا قد أينعت و حان قطافها ،
 و إني لصاحبها ، و كأنى أنظر إلى الدماء ، و إنها لترقرق [بين -] العمام
 و اللحي . قال : ثم جعل يرتجز و يقول :

(١) ورد البيت الواحد في الطبرى ٢١٠/٧ و ابن الأثير ١٨٢/٤ و الكامل للبرد
 ص ٢١٥ و مروج الذهب ١٣٢/٢ ، و الأبيات الآتية في العقد الفريد ١٨٠/٤
 موجودة .

(٢) في العقد الفريد : رياح .

(٣) من العقد الفريد ، و في الأصل : بنصل .

(٤) من العقد الفريد ، و في الأصل : يعمر .

(٥) في العقد الفريد : الشعراء .

(٦) في العقد الفريد : خمسين .

(٧-٧) في العقد الفريد : و نجتذني مداورة .

(٨) في العقد الفريد : لا يعود .

(٩-٩) في العقد الفريد : غداة العبه ، إلا في قرين .

(١٠) من الطبرى و ابن الأثير و الكامل للبرد و مروج الذهب و العقد الفريد .

أو القوس فيها وترٌ عُرِدٌ^٢ مثل ذراع الفيل^٣ أو أشدُّ
لا بد بما ليس منه بد قد جدّ عنى أمركم بجدّوا^٤

قال: ثم سكت هنية فطفق يقول:

هذا أوان الشدّة فاشتدى زيمٌ عند النطاح يغلب الكبش الاحم^٦

قد لققها الليلُ بسواقٍ حُطّم مُللم^٧ الخلقِ عنوفٌ في الظلم

/ خدج الساقين خفاق القدم فلم تم ليلتها و لم ينم^٨

٦٩/ب

(١) في جمهرة خطب العرب لأحمد زكي ٢/٢٧٥ والكامل للبردص ٢١٦ قبل البيت:

قد شمّرت عن ساقها فشدوا و جدت الحرب بكم بجدوا

و في العقد الفريد:

قد شمّرت عن ساقها فشدوا ما عتلى و أنا شيخ اد

و في مروج الذهب:

قد شمّرت عن ساقها فكدوا^٤ و جدت الحرب بكم بجدوا

(٢) في مروج الذهب: عربد .

(٣) في العقد الفريد ٤/١٨١ و مروج الذهب و جمهرة الخطب و الكامل للبرد:

البكر . وليست الأبيات في الطبري و لا ابن الأثير .

(٤) ليس البيت في العقد الفريد و مروج الذهب ، و الصراع الثاني ليس في

جمهرة الخطب و الكامل للبرد .

(٥) كذا في الطبري و العقد الفريد و جمهرة الخطب و الكامل للبرد ، و في مروج

الذهب و ابن الأثير: الحرب .

(٦) ليس الصراع في المراجع المذكورة .

(٧) في الأصل: ضللم؛ ليس الصراع في المراجع المذكورة .

(٨) ليس البيت في المراجع المذكورة .

بات براعيها غلام ذو همم^١ ليس براعى إبل و لا غم
 و لا بجزار على ظهر^٢ و ضم^٣ من يلقه يؤد كما أودت إرم^٤
 قال : يا أهل العراق إني لست بأعرابي أعود بجراثيم العوسج ،
 و لا أغمز كغمز التين ، و لا أقرع كقرع المرقه ، و لا يقمقع لي بالشنان ،
 و لقد فررت^٥ عن ذكاء ، و فتشت عن تجربة ، و جربت^٥ إلى الغاية ه
 القصوى ، و إني لأحمد الرجل منكم بفعله و أحذره بنعله ، و إن
 أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نكث^٦ كنيته فجمع عيدانها عودا
 عودا ، فوجدني أمرها^٧ عودا و أصلها مكسرا و أحزمها أمرا و أصدقها
 مخبرا ، فوجهني إليكم و رماكم بي أميرا عليكم ، لأن الشيطان قد باض في
 نحوركم ، و دب و درج في صدوركم ، فأنتم له زين ، و هو لكم قرين ١٠
 ” و من يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا^٨ “ ، يا أهل الكوفة ! إنكم طالما

(١) ليس المصراع في المراجع المذكورة .

(٢) في ابن الأثير : لحم .

(٣) في الأصل : الوضم ، و التصحيح من المراجع .

(٤) من المراجع المذكورة ، و في الأصل : قررت - بالقاف .

(٥) في العقد الفريد : أجريت ؛ و في جمهرة الخطب و الطبرى ٧ / ٢١١ و ابن الأثير و مروج الذهب ٢ / ١٣٣ : جريت .

(٦) في الطبرى و ابن الأثير و مروج الذهب و العقد الفريد و جمهرة الخطب : نثر ، و في حاشية جمهرة الخطب : « و في رواية : كب » .

(٧) من المراجع المذكورة ، و في الأصل : اشرها .

(٨) سورة ٤ آية ٣٨ .

أبطالكم عن الحق ، و عدلتم عن الصدق ، و سنتم سنن الفنى و الجهالة ،
 و تسكتهم فى العمى و الضلالة ، و أيم الله لأفرعنكم قرع المروءة^١ ، و لأعصبنكم
 عصب السلية ،^٢ و لأقطعنكم عن خضاب الكتم ، و لأبرينكم برى القلم ،
 و اعلبوا أنى لا أعد إلا وفيت ، و لا أقول إلا أمضيت ، و لا أدنو إلا فهمت ،
 و لا أبعد إلا سمعت ، فإياكم و هذه الهنات و الجماعات و البطالات
 و قال و قيل و ماذا يقول ، و أمر فلان إلى ما ذا يؤل ؛ و ما أنتم
 يا أهل العراق و يا أهل الشقاق و النفاق و مساوى الأخلاق ا و إنما أنتم
 أهل قرية^٣ " كانت أمنة مطمئنة ياتىها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت
 بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون^٤ " ، ألا ا و إن

(١) فى جمهرة الخطب ٢/٢٧٦ : المروءة ، و بهامشه : « المروءة : حجارة بيض برآة
 تورى النار » .

(٢-٢) فى المراجع المذكورة : « و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل ، فانكم
 لكاهل قرية » .

(٣) فى سورة ١٦ آية ١١٢ : و ضرب الله مثلا قرية كانت - الآية ، و كذا فى
 الطبرى ٧/٢١١ .

(٤) فى المراجع المذكورة بدل العبارة الآتية هكذا : « و إني و الله لا أعد
 إلا وفيت ، و لا أهم إلا أمضيت ، و لا أخلق إلا فريت ، فإياى و هذه الشفعاة
 و الزرافات و الجماعات ، و قالا و قبلا و ما تقول ، و فيم أنتم و ذاك ، أما
 و الله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده ،
 و إن أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم ، و أن أوجهكم لمحاربة أعدوكم مع
 المهلب بن أبى صفرة و إني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة
 أيام إلا سفكت دمه ، و أنهبت ماله ، و هدمت منزله »

خير الرأي ما هدى الله به العباد، إلى سبيل الرشاد، فليعقل من كان له معقول،
 أو لسان به يقول، أو ذهن به يصول، أو رأى مدخول؛ ألا! وقد
 /أتكم بائقة من بوائق الزمان، ذات علم و بيان، يتلوها سطوة من سطوات الله
 ذى الجلال، يحتاج فيها كرائم الأموال، يراق فيها الدماء، و يجعل الحرار
 فيها إماء، ثم لا يستطيعون عند ذلك عبرا، و يرونها لكم غيرا؛ فهيهات ه
 هيهات! لما قد مضى وفات، ما الخبر ما الخبر! الحجاج حية ذكر، يحتلى
 بسيفه الهام و القصر، و له في كل يوم نهر و مزدجر؛ ألا! و من استوسقت
 لنا طاعته، فهو منا و نحن منه، و من ركب المومة و أخذ في الشبهات،
 فلات حين مناص، لأهل الهنات و المعاصي، يا أهل الكوفة! ما تخافون
 أن تغير عليكم الخيل الملجمة، عليها الكماة المعلقة، فترك رجالكم كأمثال
 الزقاق الناصبة^١، السائلة بأرجلها العاصبة؛ ألا! إن سيفي سيروى من دمائكم،
 و يفرى من جلودكم، فمن شاء فليحقن دمه، و إلا أطعمت السباع لحمه،
 و أقت الرخم على شلوه؛ فهلا مهلا يا أهل العراق! فان مثلي يقرن
 الصعاب و يرتبط الخيل العتاق، لأنى في الحروب ولدت^٢، و في
 الحروب نشأت و حنكت، و نبتت نواجذى، و صلح رأسى؛ ألا! و إني ١٥
 قد سست و ساسنى السائسون، و أدبى المؤدبون^٣، فاستقيموا و بايعوا،
 و اسمعوا و أطيعوا، و اعلوا أنه ليس منى الإكثار و لا الإهدار،
 و لا الفرار و لا النفار، و إنما هو انتضاء هذا السيف البتار، ثم لا يغمد

(١) في الأصل: الناصية .

(٢) زبدت في الأصل: و ساسنى السائسون و أدبى المدبون، و ستانى .

(٣) في الأصل: المدبون - كذا .

حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ، و بقيم له أولادكم ، ألا و إني وجدت اليسر مع الصدق ، و الصدق في الجنة ، و وجدت الكذب مع الفجور ، و الفجور في النار ؛ ألا و إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أوفر عليكم عطاياكم و أن أخصمكم إلى مجاهدة عدوكم ، و قد أمرت بذلك لكم ، و الحجاج بن يوسف يعطى ربه عهدا يأخذه به و يستوفيه منه ، لئن باغى أن رجلا منكم تخلف عن قبض عطائه يوما واحدا لأضرب عنقه ، و لأنهن ماله و لأهدمن داره .

ثم قال : يا غلام ! اقرأ عليهم ! [فقرأ عليهم] كتاب أمير المؤمنين إلى من بالعراق : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عند عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، إلى من بالعراق من المؤمنين و المسلمين ، سلام عليكم - فلم يقل أحد شيئا ، فقال الحجاج : يا أهل الفتن ! يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام ! أما و الله لاؤدبنكم بأدب غير هذا إن شاء الله و لا قوة إلا بالله ! يا غلام ! أعد القراءة ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد في المسجد إلا قال : و على أمير المؤمنين السلام و رحمة الله ١٥ و بركاته ، و على الأمير معه . قال : ثم قرأ الكتاب عليه بالسمع و الطاعة للحجاج حتى إذا أتى على آخره قال الناس : سمعنا و أطعنا أيها الأمير ! فد الله لنا في عمرك .

قال : ثم نزل الحجاج عن المنبر و دخل إلى قصر الإمارة فأقام ثلاثا ، فلما كان في اليوم الرابع و قعد للناس و أمر بفتح أبوابه ، و وضع

(١) في الأصل : قالوا .

للناس العطاء ، فجعلوا يقبضون و يتجهزون إلى المهلب بن أبي صفرة
لحرب الأزارقة .

قال : و أقبل رجل من بني تميم يقال له عمير بن ضابي^١ البرجمي
و معه نفر من بني عمه حتى أوقفهم على باب الحجاج ، ثم دخل فلم
يقال : أيها الأمير ! أصلحك الله و أصلح على يدك ، و جعلك صلاحاً لمن
لا ذك و لجأ إليك و أناخ بفنائك ، فانك كهف للعرب و طودها بعد
أمير المؤمنين ، إني قد سمعت النداء و خرج اسمي في هذا البعث إلى حرب
الأزارقة و أنا شيخ و لي ابن هو أقوى مني و أجلد في الحرب و أصبر
في السفر ، فان رأى الأمير أيده الله أن يقبله مني بديلاً و يمن عليّ بلزوم
منزلي فعل موقفاً ماناً متفضلاً ، فاني سأملأ الأرض ثناء و السماء دعاء ،
و الشاكر محبوب و قد أحبه الله عز و جل و أمر به عباده ، فقال جل
ثناؤه و تقدست أسماؤه " و اشكروا لي و لا تكفرون " ، و قد قال الشاعر
حيث يقول :

فان كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزة مجد و ارتفاع مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال اشكروا لي أيها الثقلان ١٥

/ قال فقال الحجاج : يا شيخ ! فاننا قد أجبناك إلى ما سألت ، انطلق فوجه
بابك بديلاً فلا بأس بشاب يكون مكان شيخ . فلما ولى الشيخ من

(١) في الأصل : ضابي ، والتصحيح من مروج الذهب ١٣٣/٢ والطبرى ٢١٢/٧ ؛

وفيه : التميمي ثم الحنظلي ؛ وكذا في ابن الأثير ١٨٣/٤ .

(٢) سورة ٢ آية ١٥٢ .

بين يدي الحجاج التفت كاتب الحجاج 'عنبسة بن سعيد' فقال: أصلح الله الأمير أتعرف هذا الشيخ؟ فقال الحجاج: لا، قال: هذا عمير بن ضابي^٢ البرجمي الذي دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عفان في يوم الدار وهو مقتول فكسر ضلعا من أضلاعه، قال فقال له الحجاج: أيها الشيخ الضال! أ لست القائل يوم قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان هذا البيت:

أردت^٣ ولم أفعل وكدت^٤ وليتني تركت على عثمان تبكي حلالته^٥
 أتشهد يوم الدار بيدك و تبعث اليوم بابنك بديلا هلا بعثت بديلا
 يوم الدار! أما والله إن في قتلك صلاحا لأهل المصريين! يا غلام اضرب
 عنقه! قال: فتحنى الشيخ من بين يدي الحجاج فضرب عنقه فاذا رأسه
 ١٠ يتدهده^٥، قال: وسمع الحجاج ضجة بالبواب فقال: ما هذا الضجيج؟
 فقيل له: أصلح الله الأمير هؤلاء بنو عم هذا المقتول، فقال: ألقوا إليهم
 رأسه، فألقى إليهم الرأس، فلما نظروا إليه ولوا هاربين على وجوههم
 حتى دخلوا منازلهم. قال: وجعل يتمثل بقول سويد بن أبي كاهل:
 كيف يرجون سقاطي بعد ما جلل الرأس مشيبا و صلح

(١-١) من الطبري ٢١٣/٧ وابن الأثير ١٨٤/٤ و مروج الذهب ١٣٤/٢، وفي الأصل: سعيد بن عيينة.

(٢) في الأصل: ضاي.

(٣) في المراجع المذكورة: هممت.

(٤) المصراع في مروج الذهب: فعلت و أوليت البكاء حلالته.

(٥) في الأصل: يتدهدا.

(٦) في الأصل: مشيبا، والتصحيح من نزهة الأبدان بطرائف الأخبار والأشعار

١٦٢/١ والشعر والشعراء ص ٩٧.

ماء ما ظنوا وقد أبلتهم عند غايات المنى^١ كيف أقع
رب من أنضجت غيظا صدره^٢ قد تمنى لي موتا^٣ لم يطمع
ويراني كالشجا في حلقه عسرا^٤ مخرجه ما يُنتزع
ويحيني إذا لاقيته وإذا يخلو له لمحي رقع

قال: وأقبل ابن الزبير^٥ الأسدى عند باب الحجاج فرعا مذعورا،
فلقيه ابن عم له يقال له إبراهيم^٦ فقال: ما وراءك يا ابن الزبير؟ فقال:
وراني والله كل بلية، فقال: وما ذاك؟ قال: قتل: عمير بن ضابي^٧ صبوا
فالنجاة النجاة! ثم أنشأ يقول:

أقول^٨ لإبراهيم لما^٩ لقيته أرى الأمر أمسي^{١٠} وأهنا^{١١} متشعبا^{١٢}

(١) في زهرة الأبصار: المدى. و يس البيت في الشعر و الشعراء .

(٢) في زهرة الأبصار و الشعر والشعراء ص ٩٦ : قلبه .

(٣) في زهرة الأبصار: مشرا .

(٤) من زهرة الأبصار و الشعر و الشعراء، وفي الأصل: تراني .

(٥) في الطبري ٢١٣/٧ و ابن الأثير ١٨٤/٤ و مروج الذهب ١٣٤/٢ : عبد الله
ابن الزبير .

(٦) في الطبري : إبراهيم بن عامر أحد بني غاضرة، وفي ابن الأثير : إبراهيم بن
عامر الأسدي .

(٧-٧) في الكامل للبرد ص ٦٦٦ : لعبد الله يوم .

(٨) في ابن الأثير : أضى .

(٩) في الطبري وابن الأثير و الكامل للبرد: منصبا، وفي مروج الذهب: مهلكا .

(١٠) في مروج الذهب: متصعبا .

/ تَخِيرًا فَمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عَمِيرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلْبَا
هَمَّا خُطْنَا سَوْءًا نَجَاؤُكَ^٢ مِنْهَا رَكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَابًا
وَإِلَّا فَمَا الْحِجَابُ غَامِدًا سَيْفِيهِ يَدُ^٣ الدَّهْرِ حَتَّى يَبْرُكَ الطِّفْلُ أَشْيَا
قَالَ: وَأَصْبَحَ الْحِجَابُ مِنْ غَدٍ فِدْعَا بِكَاتِبِهِ، فَقَالَ: أَكْتُبُ إِلَى الْمُهَلْبِ

٥ ابن أبي صفرة: أما بعد فإن بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التي^٤
للأزارقة وكان مستكرها لنفسه فيك، وأنا أريدك لحاجتي إليك فأبشر
وقر عينا واثبت على حرب القوم، فوالله لأحشرن إليك جشرا ولا يجلن

(١) في مروج الذهب: تجهز؛ وفي الطبري و ابن الأثير قبل هذا البيت:
بجتهز وأسرع و الحق الجيش لا أرى سوى الجيش إلا في المهالك مذهبها
(٢) في الطبري: كره، وفي ابن الأثير و مروج الذهب و الكامل للبرد: خسف.
(٣) من الطبري و ابن الأثير و مروج الذهب و الكامل للبرد، وفي الأصل:
يحاول.

(٤) من الطبري و ابن الأثير و مروج الذهب و الكامل للبرد، وفي الأصل:
و ينصر.

(٥) بعد هذا البيت في الطبري و ابن الأثير.

فقال و لو كانت خراسان دونه رآها مكان السوق أو هي أقربا
فكان ترى من مكره العدو مسمن تحمم حنو الشرج حتى تحنبا

في ابن الأثير: فكان ترى من مكره الغزو مسمرا - الخ.

(٦) في مروج الذهب: مغمد، وفي الكامل للبرد: فما إن أرى الحجاج بضمه؛
و ليس البيت في الطبري و ابن الأثير.

(٧) من الكامل للبرد، وفي مروج الذهب: مدى؛ وفي الأصل: يدا.

(٨) في الأصل: الذي.

الرجال على إلبام الخيل ، و لآخذن السمي بالسعي و الكنى بالكنى
و الولي بالولي حتى يكون من يوافيك أكثر مما يفارقك ، و ما لي قول
هو أعظم من نعمة الله عز و جل عليك - و السلام .

قال : ثم أمر الحجاج مناديه ، فنادى بالكوفة : ألا إنا قد أجلنا من

كان من أصحاب المهلب ثلاثا ، فمن أصبناه بعد ذلك فعقوبته ضرب عنقه . ٥

قال : ثم دعا الحجاج بحاجبه زياد بن عروة و بصاحب شرطته سويد بن

ثروان فقال لهما : اركبا^٢ في جماعة من الجند ، و أمراهم^٣ أن يطلقوا السياط^٤

في خناصرهم و السيوف في أيمنهم ، و احشرا^٥ الناس إلى المهلب حشرا ،

فمن تأخر و أبي فاستعملوا فيه السيف . قال : فحشرا^٦ الناس إلى المهلب

ابن أبي صفرة حتى لم يفقد من أصحابه الذين تفرقوا عنه رجلا واحدا . ١٠

قال : ثم كتب إليه الحجاج يعلبه أنه قد جعل له الشرط الأول

و أن له خراج ما غلب عليه من البلاد إلى أن يقضى حرب الأزارقة .

قال : فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس إلى أرض البصرة في

البدر^٧ مكتوب عليها : وهذا ما أطعم الله المهلب بن أبي صفرة بما غلب

(١) كذا في الأصل ، و لم نجد في المراجع التي بين أيدينا .

(٢-٢) في الأصل : لهم اركبوا .

(٣) في الأصل : و امرهم .

(٤) في الأصل : السياط - كذا .

(٥) في الأصل : احشروا .

(٦) في الأصل : فحشروا .

(٧) جمع البدرة وهي مسك السمخلة أي جلدها ، و البدرة عشرة آلاف درهم .

عليه من بلاد الله، يحمله إلى قومه من العتيك^١، لا يعترض عليه معترض .
قال: وعلم^٢ أهل خراسان بقدم الحجاج إلى العراق فكتبوا إليه
يشكون أميرهم أمية بن عبدالله بن خالد القرشي وأنه قد عد عن الجهاد،
و في الكتاب إلى الحجاج هذه الآيات :

٥ أحجاج بن يوسف أنت راع و راعى القوم يحفظ ما أضعوا
/ وإنا معشر من جذم قيس لنا في الناس مكرمة و باع
عبرنا حبة^٣ و لنا أمير جبان القلب ذو خوف يراع
و إنك قد وليت أمور قوم و ثغر لا يقوم له الشجاع
و أنت المستغاث إذا ألمت بأهل الثغر داهية شناع
١٠ فلا تغفل فداك أبى و أمى أناسا ما يعينهم القراع
إذا فلوا كتاب خارجى^٤ عدت أخرى و همتها المضاع
و ما ينفك نصرتهم بيض تلالا في الأكف لها شعاع
كذلك ذأبنا في كل جرب طوال الدهر أو يخزى الكراع

٧٢ / الف

قال: فلما ورد كتاب أهل خراسان على الحجاج و قرأه و نظر
١٥ في هذا الشعر كأنه هم أن يعزل أمية بن عبدالله عن خراسان، غير أنه

(١) ينسب إليه قبيلة المهلب بن أبي صفرة، و هو العتيك بن الأزد بن عمران بن

عمرو مزيبقيا - جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٨ .

(٢) في الأصل: علموا .

(٣) في الأصل: حقيه .

(٤) في الأصل: نحوى - كذا .

اشتغل بأمر الأزارقة فكتب إليهم بعدم و يمنهم أنه يوجه إليهم بأمر
رضونه، و أخبرهم في كتابه أنه مشغول بحرب الأزارقة .

قال : فلما اجتمع للمهلب بن أبي صفرة أمره قام في الناس خطيبا ،

فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن الله قد دفع عني و عنكم

ما كنا نخاف و نحذر من أمر الأزارقة و قد كنا بدار مضيفة ، و إن الله ه

تبارك و تعالى أسأله أن يتم نعمته علي و عليكم ، فاحمدوا الله على ما أعطاكم ،

و سيروا إلى عدوكم . قال : ثم نادى في أصحابه فسار و ساروا معه حتى

صار إلى أرجاء فأقام بها ثلاثا ، ثم سار منها إلى سابور ، و الأزارقة

يومئذ بها و قد جعلوها دار هجرتهم . قال : فأقام المهلب على سابور

يحارب الأزارقة الليل مع النهار حتى حاربهم ثلاث سنين كلاء مثل ١٠

يوم واحد . قال : و أرسل الحجاج إلى المهلب أن ناجز القوم ، ما تنتظر

بهم إلى هذه الغاية فكتب إليه المهلب : أيها الأمير ! إنى أنتظر بهم

ثلاث خصال : موت صاحبهم قطرى بن الفجاءة ، أو فرقة و تشتيتا ،

أو جوعا قاتلا ، و أنا أرجو أن أدرك ذلك فيهم إن شاء الله و لا قوة

إلا بالله العظيم .

١٥

قال : و كان الحجاج قد ظن في نفسه أن المهلب ليس بناصح في

حرب الأزارقة ، فدعا برجل من أصحابه يقال له عبد الله بن الجراح

و كان عنده من الثقات ، فضم إليه قوما من أصحابه و قال : أريد منكم

(١) في الأصل : امراء .

(٢) هي مدينة كبيرة و لها ذكر في الفتوح - انظر معجم البلدان ١ / ١٨٠ .

أن تسيروا إلى المهلب فتقيموا عنده أياما و تنظروا إلى حرب الأزارقة و تأتوني بالخبر قال : فسار القوم حتى صاروا إلى المهلب فزلوا عنده شهرين كاملين ، فجعلوا ينظرون إلى المهلب ، و أنه يمضي في كل يوم رجلا من أولاده في أول النهار ، ثم يقاتلهم بنفسه في آخر النهار ، ثم أقبل على الرسل بعد ذلك فقال : انظروا هل بعد هذا من جهد ؟ فقالوا : لا والله يا أبا سعيد ! ولا ظن الأمير أن حرب القوم على هذا الشأن . قال : ثم رجع القوم إلى الحجاج و تقدم عبدالله بن الجراح ، فلما سلم و قضى حق التسليم قال له الحجاج : ما وراءك يا ابن الجراح ؟ و كيف رأيت المهلب في حرب القوم ؟ فقال : أيها الأمير رأيت و الله منه ما سرفى ، رأيتة يحتمل المصيبة و يلقى القوم بنفسه و أولاده فيجاهدوم في الله حق جهاده . قال فقال له الحجاج : ما أحسن ثناءك على المهلب ؟ فقال : أيها الأمير إنه كان يفعل ذلك الفعال فحقيق بالثناء . قال : و جعل المهلب يحارب القوم حتى حاربهم بعد ذلك سنة كاملة . قال : فكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فانك قد طاولت العدو و جيت البلاد ، و لو شئت أن تفرغ من حرب الأزارقة لفرغت ، و لكنك تحب المطاولة لجباية الأموال ، فناجز القوم و لا تطاولهم - و السلام . قال : ثم دفع الحجاج كتابه إلى رجل من ثقيف له لسان ذرب و منطق ذلق

(١) في الأصل : رجعوا .

(٢) في الطبري ٧/٢٦٩ : إن الحجاج بعث البراء بن قبيصة إلى المهلب بهذا الكتاب ،

و في الكامل للبرد ص ٦٨٩ عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفى .

فقال

فقال له : صر إلى المهلب وانظر أن تحته على قتال القوم و مناجزتهم
فانه قد طاولهم . فلما ورد كتاب الحجاج على المهلب و قرأه تبسم ضاحكا
ثم قال : و الله ما أنا و الحجاج إلا كما قال أوس بن حجر :
و مستعجل غما يرى من آبائنا و لو أضجرتة الحرب لم يترمرم^١
قال : فجعل ذلك الثقي يتكلم و يخطب و يحرص على القتال ، فقال له ه
المهلب : أيها الرجل ! إن الحرب ليس بالكلام و لا بالخطب ، و لكن
اصبر حتى ترى و تنظر إلى حرب القوم ! قال : ثم نادى المهلب في
الناس و زحف نحو الأزارقة ، و اختلط^٢ القوم فجعلوا يقتلون من صلاة
الظهر إلى أن اتصف الليل . قال : و بقى الثقي حيران لا يدري ما يقول ،
ثم أقبل على المهلب فقال : حسبك يا أبا سعيد ! فقال له المهلب : اصبر ١٠
قليلًا و لا تعجل ، قال : فلم يزل^٣ القوم يقتلون إلى وقت السحر ، و كاد
الثقي يموت لما رأى . قال : و أصبح^٤ القوم فرجع^٥ عن بعضهم بعض
في وقت الضحى ، فأنشأ رجل من أصحاب المهلب في ذلك يقول :
ما زلت يا ثقي تخطب دانيا^٦ و تغمنا بوصية الحجاج

(١) في اللسان (رمم) و الكامل للبرد ص ٦٨١ :

و مستعجب عما يرى من آبائنا و لو زبنته الحرب لم يترمرم

(٢) في الأصل : اختلطوا .

(٣) في الأصل : فلم يزالوا .

(٤) في الأصل : أصبحوا .

(٥) في الأصل : فرجعوا .

(٦) في الكامل للبرد ص ٦٩١ : بيننا .

حتى إذا ما الموت أقبل زاخرا و سما لنا صرفا بغير مزاج
وليت يا ثقفى غير مناظر تبدين بين أحزّة و فجاج
و بنو المهلب في الغبار كأنهم أسد لبسن يلامق الديباج^٢
ليست مقارعة الكماة لدى الوغا شرب المدامة في إناه زجاج

ه قال: ثم أقبل المهلب على هذا الثقفى فقال: انصرف الآن إلى الحجاج
فأخبره أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب - والسلام . قال: ثم كتب
أبو خالد اليشكري مع هذا الثقفى إلى الحجاج بهذه الأبيات:

ألا قل لمن ظن المهلب خائنا هلم فكن فينا مكان المهلب
و حدث^٣ بتعليم القتال و حربا بأجسامنا و العفو عن كل مذنب
١٠ فان رجالا غيوا عن طعانا وعن ضرب هامات الليوث المجرّب
قد اعطوك من أمر المهلب عنوة^٤ و قد ذهبت أبنائوه كل مذهب
فلو ذقت كأسا من عبيدة مرّة و عمرو القنا أو عبد رب و شوذب
و من فطرى أو عطية و ابنه و من صالح أو من زبير و مصعب
لا يقنت أنا في حلق عدونا شجى ناشب سل يا ابن يوسف تعجب
١٥ فأرسل إلينا من يعاين فعلنا بقل حين يخبرنا فدا لكم أبى
قال: فغضب الحجاج من ذلك، ثم قال لجلسائه: ألا ترون إلى فعل

(١) في الكامل للبرد: تنساب .

(٢) ليس البيت في الكامل للبرد .

(٣) في الأصل: حدثنا .

(٤) في الأصل: باحسابنا .

هذا المروى قد أكل الأرض و جبا الأموال ثم يتربص بي و بأمر المؤمنين
و يكتب إلى يمثل هذا و أشباهه . ثم قال : يا غلام اكتب إلى المهلب
و ابعث به إليه : أما بعد فانك أمرى و ابن مروى ، و أيم الله لن
لم تجهد في قتال القوم لأبعثن إليك من يملكك على مكروهك - و السلام .

قال : فكتب إليه المهلب : أما بعد / فقد ورد على كتابك تذكر فيه ه ٧٣ / ب
أنى أمرى و ابن مروى ، و ما أنكر ذلك و أنا مروى - اسم سميتنا به العجم ،
و لكن الأمير - أعزه الله - من قبيلة قد ادعت في خمس قبائل من العرب
و ما استقرت بعد قرارها في واحدة منها ، واحدة أنهم بقية من بقايا
آل تمود ، و الثانية أنهم اتموا إلى وحاطة^٢ و وحاطة لا عقب لها ، و الثالثة
أنهم اتموا إلى زياد ، و الرابعة أنهم اتموا إلى هوازن ، و الخامسة أنهم
اتموا إلى ثقيف ، فليت شعرى في أى الأحياء هم اليوم - و السلام .
قال : فقرأ الحجاج كتاب المهلب [و] استغرب ضحكا ، ثم قال : أفضنا
على الرجل ففحش علينا ، و البادى أظلم .

قال : ثم كتب بعض أصحاب المهلب إلى الحجاج بهذه الآيات :

- (١) في الأصل : بعث .
(٢ - ٢) كذا في الأصل هنا ، و قد مر آنفا « المروى » و لم نظفر بالمروى في
الأنساب ، و النسبة إلى المروى في الأشياء فقط تكون بالمروى ، و في الأعلام
بالمروزي - و الظاهر أن هذا من التناجز باللقب و لا تعلقه بالنسب - و الله أعلم .
(٣) وحاطة . بضم الواو و الظاء معجمة ، و قد يقال : أحاطة - بالألف ، و هو
اسم لقبية . و هو أحاطة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل
ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن
قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهبيس بن حمير بن معبأ - انظر معجم
البلدان ٤٠٢/٨ .

لعمرك ما أخطا المهلب رايه فلا عاش فينا بالخطاه المهلب
 ولا ضرا عنا في اللقاء بنفسه ولا بينه حين قال ألا اركبوا
 فأسوا رجالا قد وقتكم نفوسهم بأنفسكم خضوا إليها وأعقبوا
 فما كان إلا القول حتى كأنهم أسود بأكناف العرين تلهب
 لكل امرئ من كرة الخيل نوبة يطاعن بالرمح القويم و يضرب
 إذا ما قضاها جاء آخر بعده فكل لكل في العجاجة معقب
 فلا ينثنى إلا^٢ و ثغرة^٢ نحره^٢ تسيل دما والرأس فيه ملتحب
 فلولاً بنوه في اللقاء و صبرهم لقلنا لفرسان الأزارقة اذهبوا
 لكم كل ما كان المهلب حازه من الأرض فاجبوه ولا تهبوا

١٠ قال: فلما قرأ الحجاج هذه الآيات جعل يقول: والله ما يختلج
 بقلبي أن قوما يثبتون لمثل هذه الحروب، ولكني أحب أن أوجه بقوم
 ليأتوني بحقيقة ما يرون من حرب هؤلاء الأزارقة، فوالله لو كانوا من
 حجارة أو حديد لما زادوا. قال: ثم دعا الحجاج بعبد الأعلى بن عبد الله
 ابن عامر بن كريز و بعبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب^٢ و بجماعة
 ١٥ من قريش فجهم، و قال: أريد منكم أن تسيروا إلى المهلب و تعلموا

(١) في الأصل: ظن.

(٢-٢) في الأصل: نوره نحوه - كذا، و الصواب كما أثبتناه.

(٣) في الأصل: جندب، و التصحيح من كتاب نسب قريش ص ١٥٠ و جمهرة

أنساب العرب ص ٦٧. و وقع في الأخبار الطوال ص ٢٧٥: عبد الرحمن

ابن سبرة.

٧٤ / الف
لى عليه و تاتونى بحقيقة أمره ، فانه قد عظم على أمر هؤلاء / الأزارقة ؛
فقالوا : نفعل ذلك أيها الأمير .

قال : ثم سار القوم حتى قدموا على المهلب ، و المهلب يومئذ
نازل على باب سابور فى عسكره ، فلما رآهم رحب بهم و قريهم ثم سأهم
عن حالهم ، فقال له بعضهم : أبا سعيد ! إن الأمير الحجاج قد كره مطاولتك
لهذا العدو و قد أحب منك المناجزة لهم لكي يشغلك بغيرهم . قال :
فسكت المهلب ساعة ثم رفع رأسه فقال : إنما أنا و الحجاج كما قال الأول :
أبلغ أبا مالك عنى مغفلة إن الكتاب لا تهزم من باللعب
ثم أقبل عليهم فقال : إن الأمير أكرمه الله أتاه السماع فقبله و أتاه العيان
فرده ، و قد كتبت إليه « أيها الأمير ! إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ،
فلا تكثر على من رسلك فإنا أعلم بحرب القوم منك » ، فزعم أنه هو
الشاهد و أنى الغائب ، و لكن أقيموا إذ قدمتم الآن حتى تعابنوا حرب
الأزارقة ، فوالله لا لقيتهم اليوم إلا بما لقيتهم أمس . قال : ثم نادى
المهلب فى أصحابه فركبوا ، و نادى قطرى بن الفجاءة فى الأزارقة فركبوا ،
و دنا القوم بعضهم من بعض ، و تقدم عشرة من أبطال الأزارقة و رؤسائهم
و ساداتهم حتى وقفوا أمام الخيل ، منهم قطرى بن الفجاءة المازنى
و هو صاحبهم و أميرهم ، و عبيدة بن الهلال الشكرى ، و عمرو القنا
العنبرى ، و صالح بن مخراق العبسى ، و نطية بن الأسود الحنفى ، و شوذب

(١) فى الأصل : دنوا .

(٢) فى الكامل للبرد بدون نسبة .

ابن عامر العامري، وحيطان الأبادي، وعترة المرادي، وعبد ربه الصغير.
قال: ونظر المهلب إلى ذلك فدعا بينه وبينهم يومئذ عشرة، كل واحد
يعد بألف: المغيرة ويزيد وحبيب وقبيصة ومدرک والمفضل ومحمد
وحماد وعبد الملك و مروان؛ قال: فأمر المهلب لكل واحد أن
يخرج إلى رئيس من رؤساء الأزارقة.

قال: فخرج يزيد وبين يديه رجل من الأزد وهو يرتجز
ويقول أبياتا:

قل للشراة جاءكم يزيد ذاك الذي لجمعكم مييد

ذاك الذي دماركم يريد ذاك الذي قتاله شديد

/ ذاك الذي ساعده حديد من كل أمر شركم بعيد

١٠ ب / ٧٤

و عنده من قتلكم مزيد

قال: ثم تقدم حبيب بن المهلب وبين يديه رجل من الأزد
وهو يرتجز ويقول:

قل للشراة ذهب الزيب إذ جاءكم في ظله حبيب

(١) كذا، ولعله «عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي» المتوفى ٨٤ هـ كان رأس
القعدة من الصفريّة، طلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك فوكل
إلى عمان ثم لحا إلى قوم من الأزد فقات عنهم إباضيا - انظر الإصابة ٥ / ١٨١
والكامل للبرد ص ٥٣.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) لم نجد في أولاد المهلب من اسمه «حماد» ولعله «حاتم» انظر معجم
الأنساب و الأسرات الحاكمة ١ / ١٤.

(٤) زيد في الأصل: مطمها.

ذاك الحروب السيد المهيب ذاك الذي بسيفه يصيب

من كل أمر ساءكم قريب

قال: ثم تقدم المفضل وبين يديه رجل من الأزد وهو

يرتجز ويقول:

٥ قل للشراة جاءكم مفضل موذد مسود مبجل

سنانه من طعنه تشلشل

وسيفه من ضربه مفلل كأنه البازل حين يرفل

والخيل تعدو قد علاها قسطل

ثم تقدم المغيرة وبين يديه رجل من الأزد وهو يرتجز ويقول:

١٠ يا معشر الأزارق النحيه أتاكم في خيله مغيره

كفاه كف بالندی مطيره وكفه الأخرى لكم مبيره

ولا يرى كيرة كيره لا بل يراها عنده صغيره

قال: ثم تقدم مدرك وبين يديه رجل من الأزد وهو يرتجز ويقول:

يا قطرى بن الفجاءة الأنوك أين ضاق عليك المسلك

١٥ تسلك والخيل عليها مدرك لن يبرح الدهر وهذا المعرك

صفكم أو تهلكوا أو نهلك

قال: 'فاختلط الفريقان' واقتلوا من وقت الضحى إلى أن اختلط

الظلام، ورسل الحجاج ينظرون إلى ذلك. قال: وسقط رمح بعض

الأزارقة فأخذه رجل من أصحاب المهلب فحلفت الأزارقة أنهم لا يرجعون

(١-١) في الأصل: فاختلفوا الفريقين.

ولا يرحون أو يأخذوا الرمح ١ و حلف أصحاب المهلب أنهم لا يردونه عليهم ١ و اقتل القوم على الرمح من وقت اختلاط الظلام إلى الصبح حتى قتل من الفريقين جماعة؛ فأنشأ المغيرة بن حنابلة ٢ التيمى يقول في ذلك أبياتا مطلعها:

ليت شعري و للأمر قرار هل بلغنا مدى رضا الحجاج
- إلى آخرها .

قال: ثم أقبل المهلب على رسل الحجاج فقال: كيف رأيتم حرب الأزارقة؟ فقالوا: حسبنا ما رأينا فردنا إلى صاحبنا فوالله ما رأينا أشد كلبا على الإسلام من هؤلاء الخوارج . قال: فخلع عليهم المهلب ٧٥/ الف ١٠ و رجعوا / إلى الحجاج . فلما دخلوا عليه قال: كيف رأيتم المهلب في حرب عدوه؟ فقالوا: أيها الأمير ما رأينا قط قوما أضرب بسيف، ولا أظعن برمح، ولا أرمى بسهم، ولا أعود إلى الحرب من بين الفرخ من قوم رأيناهم بالأمس من الفريقين . قال: فعذر الحجاج للمهلب على إبطائه، ثم كتب إليه أن يعمل برأيك و امض؛ لما أحببت، فقد علمت ١٥ أن الرأي ما رأيت .

قال: و عني قطري بن الفجاءة أصحابه تعية الحرب و خرج من

(١) في الأصل: حلفوا .

(٢) في الأصل: و اقتتلوا .

(٣) في الأصل: حسناء، و التصحيح من معجم الشعراء للرزباني .

(٤) في الأصل: امضى - كذا .

مدينة سابور، ونظر المهلب رهج الخيل فوثب فعي أصحابه، ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عبيدة بن هلال أمام الأزارقة فجعل يدعو للبراز و يطلب النزال، فصاح المهلب بابنه مدرك فقال: يا مدرك! اكفى عبيدة! قال: أفعل - أصلح الله الأمير! ثم خرج إليه المدرك! ونظره عبيدة فحمل عليه و بادره مدرك بطعنة مدركة، فولى عبيدة وله هوى كعوى الكلب، فأنشأ المغيرة بن حنابلة التيمي في ذلك يقول أياتا مطلعها:

من رأى مدركا غداة التقينا إذ أتاه عبيدة بن هلال

- إلى آخرها. قال: وكان عبيدة بن هلال قبل ذلك إذا لقي للحرب لا يولى ويقول: ما أولى دبري في الحرب ولكني أخاف النار! فلما كان ذلك اليوم وطعنه مدرك بن المهلب وولى من بين يديه ناداه مدرك: أين الفرار يا عبيدة؟ فقال: لست أفر ولكني أنحاز إلى فئة تمنعني؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشعري في ذلك يقول أياتا مطلعها:

قل للمهلب إن سيفك مدرك حامى الحقيقة مدرك الأوطار

(١) في الأصل: دنوا.

(٢) في الأصل: عيينة - خطأ.

(٣) في الأصل: اكفني.

(٤) في الأصل: حسناه.

(٥-٥) في الأصل: المغيرة بن معدان الأشعري، والتصحيح من معجم الشعراء

للرزباني.

- إلى آخرها . قال : و اقتتل ' القوم على باب سابور يوم ذلك إلى الليل ،
ثم انهزمت الأزارقة حتى دخلوا إلى المدينة و رجع المهلب إلى عسكره .
فلما كان الليل و هدأت العيون و سكنت الحركات خرجت الأزارقة
من مدينة سابور مع نسايتهم و أموالهم و أولادهم هاربين على وجوههم
٧٥ / ب ٥ حتى صاروا على مسيرة عشرين فرسخا من مدينة / سابور . قال : و علم
المهلب أنهم قد تنحوا فأقام في عسكره يومه ذلك و لم يتبعهم ، ثم أمر
بعسكره فضرب على باب سابور ، و بعث إلى أهل المدينة فأخذ منهم
الخراج و عزم على أن يجعل سابور منزله و داره و يحارب الأزارقة
حيث كانوا ؛ فأنشأ رجل من أصحاب المهلب يقول في ذلك أبياتا مطلعها :
١٠ قل للأزارقة الذين تحزبوا إن التفرق أول الإخراج
إلى آخرها .

قال : و جعلت الأزارقة يتباعدون من بين أيدي المهلب و المهلب
لا يتبعهم ، و ذلك أن الشتاء هجم عليه و وقعت الثلوج و الأمطار و اشتد
البرد فلم يتبعهم المهلب ، حتى إذا انحسر عنهم الشتاء أقبل على أصحابه
١٥ فقال : أيها الناس ! ان بيننا و بين عدونا على ما بلغني أقل من ثلاثين
فرسخا و قد انحسر عنهم الشتاء و إنما هو و جيف ليلة الخيل ، فاذا القوم
قد وافوا ، فصاح المهلب بغلام له يقال له : مازن ، فقال : يا مازن ! ناد

(١) في الأصل : اقتتلوا .

(٢) في الأصل : نادى .

في الناس بالرحيل ، قال : فنأدى مازن في الناس بالرحيل . ثم سار المهلب وأصحابه فلم يشعر إلا بخيل الأزارقة قد أقبلت كأنها كواسر العقبان . و دنأ^٢ القوم بعضهم من بعض فإقتلوا ساعة ، ثم وقعت الهزيمة على الأزارقة فانهزموا إلى الموضع الذي جاؤا منه . فقال المهلب : الحمد لله الذي كفانا شرهم ، فوالله لو فاجؤنا ونحن على غير أهبة الحرب لفضحونا .^٥ قال : ورجع المهلب وأصحابه إلى سابور ، فأنشأ المغيرة بن حنبل يقول في ذلك أبياتا مطلعها :

أكدنا ومن أرسى ثيرا^٤ مكانه يسأل بنا لو لا أتينا^٥ المهلب
- إلى آخرها .

قال : فبينما المهلب ذات يوم يخطب الناس بسابور و ذلك في يوم ١٠ النحر إذ أقبلت الأزارقة في جيش عرمرم يقدمهم عمرو القنا ، قال : وبلغ ذلك المهلب ، فقطع الخطبة فقال : سبحان الله ! في مثل هذا اليوم وافانا هذا العدو و إنه يوم شريف عند الله تعالى لا يجب أن تسفك فيه الدماء ، غير أن الله عز وجل يقول / " الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم^٦ " . ثم أقبل ١٥

(١) في الأصل : و قد .

(٢) في الأصل : دنوا .

(٣) في الأصل : حسناء .

(٤) في الأصل : نيرا .

(٥) في الأصل : اتينا .

(٦) سورة ٢ آية ١٩٤ .

المهلب إلى ابنه المغيرة ثم قال: يا بني! دع الناس و عيدهم و اخرج إلى أعداء الله! قال: فعبى المغيرة أصحابه و خرج من باب سابور، فلما صار على باب الخندق و إذا بعمر و القنا، قد تلقاه بجيشه، قال: فنظر إليه المغيرة فحمل عليه و التقيا بطعنتين طعنه المغيرة طعنه خرّ منها صريعا على وجهه، قال: و ذهب المغيرة ليضربه بسيفه فحمله^٢ ثلاثة نفر من الأزارقة بكير و^٣ حطان الأيادي و عميرة المرادي^٤، فانفلت عمرو القنا و هو لما به من طعنة المغيرة، فأنشأ المغيرة بن حنناء^٥ التيمى في ذلك يقول أبياتا مطلعها:

و ما لاقى ذليل من عزيز كما لاقى الشراة من المغيرة

١٠ - إلى آخرها .

قال: فتقدم قتي من الأزارقة من مذحج يقال له معاذ حتى وقف

بين الجمعين فجعل يقول^٦:

نحن صبحناكم غداة النحرِ بالخيل أمثال الوشيج تجرى^٦

(١) في الأصل: التقوا .

(٢) في الأصل: فحمله .

(٣ - ٤) كذا في الأصل، و قد سبق في ص ٢٤ « حيطان الأيادي و عنبرة المرادي » .

(٥) في الأصل: حساه .

(٦) الرجز الآتي منسوب في الأخبار الطوال ص ٢٧٦ إلى عمرو القنا .

(٦) في الأخبار الطوال: تسرى .

يقدمنا عمرو القنا في الفجر إلى أناس هجوا بالكفر
اليوم أفضى في الدماء ندرى^٢ و مسدرك ما ارتجى بوتر^٣
قال: فما لبث أن خرج إليه رجل من أصحاب المغيرة بن المهلب يقال له
سعد بن أبي نجد الأزدي و التقيا^٤ بضربتين، ضربه الأزدي ضربة جدلة^٥
قتيلا، ثم حمل على الأزارقة فجعل يضرب فيهم ضربا منكرا، فأنشأ
رجل من أصحاب المغيرة في ذلك يقول:

ألا لله ما لاقى معاذ غداة النحر من سعد بن نجد
دعاه للبراز فما تلسكا و سعد في صدورهم^٦ كأحد
و سعد ماجد بطل هزبر وثوب في الوغى كو ثوب فهد
فيا سعد السعود فدتك نفسى أعتها في فوارسهم و أبدى^٧

قال: و انكشفت الأزارقة من بين يدي ابن المهلب كشفت فضيحة،
فأرسل المغيرة بهزيمة القوم إلى أبيه المهلب يخبره بذلك، ثم دخل مدينة
/ سابور فضحى مع الناس .

٧٦ / ب

(١) في الأخبار الطوال: يقدمها .

(٢) في الأخبار الطوال: العدو .

(٣) من الأخبار الطوال، و في الأصل: تدرى .

(٤) ليس المصراع في الأخبار الطوال .

(٥) في الأصل: التقوا .

(٦) في الأصل: جنداه .

(٧) في الأصل: صدرهم .

فلما كان بعد الأضحى بثلاثة أيام إذا بالأزارقة وقد أقبلت بخيلها
 ورجلها مستعدين للوت . قال : وبلغ ذلك المهلب فبى أصحابه كما كان
 يمشهم ، ثم تقدم بنفسه حتى وقف أمام الخيل واتبعه بنوه ، فاختلط^٢
 الخيلان بعضها ببعض و كلبت الأزارقة على المسلمين فاشتد القتال ، وحمل
 المهلب نفسه على القوم فلم يزل يقاتل حتى جرح سبع عشرة جراحة ،
 فقال له رجل من أصحابه يقال له عباس الكندي : أيها الأمير - أصلحك الله !
 إن الله تبارك و تعالى قد جعل كفاية من ولدك و قيسانك و قومك
 و عشيرتك ، فلم تلتق هؤلاء الأعداء بنفسك ؟ فقال له المهلب : يا عباس !
 إن الأسد إنما غلظت رقبته لأنه رسول نفسه ، يا عباس ! إن نبي فرسان
 ١٠ و لكنهم لا يبلغون في الحرب مبلغى ، فأنشأ كعب بن معدان الأشعري^٤
 في ذلك يقول أبياتا مطلعها :

وليس إذا رأى ابن الورد بعد^٥ و مسحاً بالمهلب في الصباح
 - إلى آخرها .

قال : و عزمت الأزارقة على أن يبيت^٥ المهلب في عسكره ، فزحفت^٦

(١) في الأصل : اتبعوه .

(٢) في الأصل : فاختلطوا .

(٣) في الأصل : فلم يلقا .

(٤) في الأصل : الأشعري .

(٥) في الأصل : يبيت .

(٦) في الأصل : فزحفوا .

الأزارقة في جوف الليل حتى أشرفوا على المهلب على باب سابور وعبدة
ابن الهلال يشكرى أمام الأزارقة، فالتفت إلى أصحابه وقال: أيقظوا
القوم لكيلا يقولوا إننا أتيناهم وهم نيام! قال: ثم جعل عبدة يرتجز
ويقول أياتا مطلعها:

لسنا زيد غرة السبات إن اغترار بكم من السومات ٥

إلى آخرها. قال: فاستيقظوا الناس وصاح المهلب بأصحابه، وتصعصعت
الرايات، وأجمحت الفرسان، وذاك في ليلة باردة ذات ثلج ومطر
وريح منكرة. قال: وكان أول من ركب واستوى على فرسه مدرك
ابن المهلب، فتقدم أمام الخيل وتبعه الناس وهم يقولون: ألا إنها روعة

البيات! فاتقوا الله واصبروا! قال: ونظر مدرك بن المهلب إلى صالح ١٠

ابن مخراق / في سواد الليل وهو يهدر كأنه الجمل الأورق، وكان من
فرسان الأزارقة والمعدودين فيهم، فحمل عليه مدرك والتقيا بضربتين،
ضربه صالح بن مخراق ضربة على يعضته ثبت لها مدرك، ثم ضربه ضربة
أداره عن فرسه، فأقبح صالح على رجليه، وتبددت خيل الأزارقة

بمنة ويسرة، ثم تراجعوا واشتبك الحرب، فأصبح القوم وقد قتل ١٥
من الأزارقة جماعة؛ فأنشأ المغيرة بن حنناء يقول في ذلك أياتا مطلعها:

(١) في الأصل: اعترار بكم.

(٢) في الأصل: تبعوه.

(٣) في الأصل: التقوا.

(٤) في الأصل: فأصبحوا.

نفسى فداء أغنى الحفيظة مدرك عند الثبات لو قعة كانت شجما
 - إلى آخرها . قال : فعظم مدرك بن المهلب من تلك الليلة في صدور
 إخوته وأحبه الناس حبا شديدا . وإذا عين للمهلب أقبل إليه فقال :
 أيها الأمير إن أردت القوم الساعة فإن القوم قد صاروا إلى شعب
 ٥ بوان^١ قال : فنادى المهلب في أصحابه فركبوا ، و سار يريد القوم ، ونظرت
 الأزارقة إلى غبار الخيل فعلموا أنها خيل المهلب فتعبوا للحرب ، وإذا قطرى
 ابن الفجاءة أمام الخيل وهو يرتجز ويقول آياتا مطلعها :
 إن شجانا في الوغى المهلبُ ذاك الذى سنانه مخضبُ
 إلى آخرها . قال : ثم حمل عليه المهلب بنفسه و التقيا^٢ بطعنتين فافترقا^٣
 ١٠ بجراحتين . قال : وأطبقت الحرب على الفريقين ، وكان الفضل الأزارقة
 فى أول النهار و للمهلب فى آخره ، حتى انتصف بعضهم من بعض ،
 فأنشأ المغيرة بن حنانه التميمى فى ذلك يقول آياتا مطلعها :
 إذا قطرى جمانى مرجحة فشبها الراؤون فى الليل كوكبا
 إلى آخرها .

١٥ قال : و ارتحلت الأزارقة من موضعهم حتى صاروا إلى إصطخر ،
 قال : ونظرت الأزارقة و إذا خيل المهلب قد وافتهم فرجعوا إليه

(١) شعب بوان واد بين فارس وكرمان - انظر معجم البلدان ٢ / ٣٠٠ .

(٢) فى الأصل : التقوا .

(٣) فى الأصل : فافترنوا .

(٤) فى الأصل : حساء .

(٥) فى الأصل : وقد .

وقد صفوا صفوفهم ، ثم دنا بعضهم من بعض ، و خرج حطان الأيادي^١
وكان من فرمان الأزارقة و شجعانهم ذا بطش شديد لا يراه أحد إلا هابه
وكره نزاله ، فخرج حتى وقف بين الجمعين ثم جعل يرتجز و يقول :

٧ / ب

ادعوا بعباس و ادعوا معدا و ابن أبي الزناق ادعوا غمدا
و العتكي اليعمدي جلسا ما إن أرى من النزال بدا

قال : فالتفت المهلب إلى عباس الكندي و كان من الأبطال ، فقال :
يا عباس ! شأنك و الرجل ! فانه قد بدأ باسمك . قال : فخرج إليه عباس
الكندي و التقيا بطعنتين ، طعنه عباس طعنة انكسر رمحه في يده فبقى
عباس بلا رمح ، فقال : يا حطان ! إنك رامح و قد انكسر رمحي ، فان
أردت النصفه فألق رمحك و سابقني ! فقال له حطان : قد أنصفت يا عباس !
قال : ثم رمى حطان برمحه و ضرب يده للسيف ، و التقيا للضراب ، بادره
عباس بضربة على بيضته فقد البيضة ، ثم رمى حطان عن فرسه قتيلا ؛
فأنشأ المغيرة بن حنابلة^٥ التميمي في ذلك يقول أبياتا مطلعها :

دعك شقي للشقاء فوارسا فعاجله دون الفوارس عباس

إلى آخرها .

١٥

(١) كذا ، و قد سبق ما فيه .

(٢) زيد في الأصل : فخرج و كره نزاله ، و الظاهر أنه مكرر .

(٣) في الأصل : التقوا .

(٤) وقع في الأصل : إنك - مكروا .

(٥) في الأصل : حسناء .

قال: وانهزمت الأزارقة إلى إصطخر و تحصنوا، و أقبل المهلب في خيله و رجله حتى نزل عليهم فحاصروهم بها شهرا كاملا. فلما كان بعد شهر خرجوا إليه و عزموا على المناجزة، و نظر المهلب إليهم و إلى ما قد أعدوا له من آلة الحرب، فقال لأصحابه: أيها الناس إن البادئ بالقتال مغلوب، و المضطر معذور، و من وطئ في داره فقد ذل، و من صبر ظفر، و قد تكون البلايا بالذنوب، فانظروا كيف يكون صبركم اليوم. قال: و دنا القوم بعضهم من بعض، و أقبل عبيدة بن هلال و عمرو القنا حتى نزلا و وقفوا على تل مشرف على عسكر المهلب، ثم رفع عمرو القنا صوته و هو يقول:

١٠ كفى حزنا إنا ثلاثون ليلة قريبا و أعداء القران على خفض^٢
 و ما هكذا [إنما] نكون و هذه أضاعت على عمرو القنا سعة الأرض
 و أحسبهم أمسوا على حذر نعلنا فذاك بذاك القوم بعض على بعض
 قال: ثم انحط عمرو القنا عن التل على أصحاب المهلب كأنه بازخطوف
 / و هو يرتجز و يقول شعرا. قال: ثم انقض عبيدة بن هلال من التل كأنه
 ١٥ الفحل القطم و هو يرتجز و يقول شعرا.

٧٨ / الف

(١) في الأصل: دنوا.

(٢-٢) في الأصل: نزلوا و وقفوا.

(٣) في الكامل للمبرد ص ٦٧٩:

ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلة قريبا و أعداء الكتاب على خفض
 و الآيات الآتية ليست فيه.

قال: فالتفت المهلب إلى ابن أخ له يقال له بشر^١ فقال له: يا ابن أخ! أحب أن تكفيني أمر عبيدة بن هلال و عمرو القنا جميعا^٢ فقال بشر: أفعل - أصلح الله الأمير! قال: ثم خرج بشر^٣ ابن أخى المهلب^٤ نحوهم و هو يرتجز و يقول شعرا. قال: ثم حمل بشر ابن أخى المهلب على عبيدة ابن هلال فطعنه طعنه فاذا عبيدة فى الأرض، فحماه^٥ أصحابه، و حمل عمرو القنا على بشر فالتقيا^٦ ضربتين، ضربه بشر فى وجهه فردده إلى ورائه، ثم وقف فى ميدان الحرب فأنشأ و جعل يقول أبياتا مطلعها:

و كأنى^٧ ملك إذ سطع النقع و حولى من الرماح عوالى
- إلى آخرها.

قال: و تعاضم الأمر بين الفريقين فاقتلوا قتالا شديدا، و جعل قطرى بن الفجاءة ينادى بأعلى صوته و يرتجز و يقول أبياتا مطلعها:

سبحان ربى باعث العباد سبحان ربى حاكم المعاد

قال: و ثار النقع و سطع الغبار و كلبت القوم بعضهم على بعض، و ضرب يومئذ المهلب على جبهته ضربة منكرة حتى كاد أن يسقط منها عن فرسه، و تسايلت الدماء على وجهه و لحيته، فأنشأ كعب بن معدان^٨

(١) زيد فى الأصل: « بن أبى صفرة » خطأ. و ما وجدناه فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٨ حيث ذكر فيه ابن حزم أولاد أبى صفرة و أولادهم.

(٢-٢) فى الأصل: بن أبى صفرة.

(٣) فى الأصل: نحوهم.

(٤) فى الأصل: فالتقوا.

(٥-٥) فى الأصل: لو أنى.

الأشقرى^١ في ذلك يقول أياتنا مطلعها :

خلص قتال إلى المهلب بعد ما منع الذمار و ليس فينا مانع
إلى آخرها . قال : و انكشفت الأزارقة من بين بدي المهلب مفضوحين
و قد قتل منهم نيف عن ثلاثين رجلا .

٥ فلما كان من الغد زحف^٢ القوم بعضهم إلى بعض ، و أقبل المهلب
على أصحابه فقال : أيها الناس ! إن كل من في عسكري فهو لي ، إلا و إني
أحبكم ، و أحب ما إلى أهل النجدة ، فانظروا من كان يحب منكم أحدا
منهم فاني أعفيه عن صحبته رجلا من ولدي حتى أجعله في صحبته . قال :
فوثب فتى من أهل الكوفة يقال له مالك بن أبي حبان الأسدي فقال :
١٠ أيها الأمير ! اسمع عني ما أقول ، فقال المهلب : قل ما بدالك ! فانشأ
و جعل يقول :

٧٨ / ب / اجعلني مع الحرون^٣ كأنى فارس الناس في عجاج الحرون
فاذا قادني سواء فاني لا أساوي عقال باب زبون
كلنا نطلب الحرون و ما من كان يهوى الحرون بالمغبون
١٥ قد حمانا الركبان [منّا] جميعا و حمانا بقريبة الزيتون
إذ أتانا عيدة بن هلال يقدم القوم في دموك طحون

(١) في الأصل : الأشعري .

(٢) في الأصل : زحفوا .

(٣) لقب حبيب بن المهلب لأنه كان يحرن في الحرب فلا يروح - انظر لسان
العرب (حرن) .

(٤) في الأصل : للركان .

وأقانا عمرو القنابلواه مزبدا في العجاج كالمجنون
 فدعاه المهلب بن أبي صفرة ليس الحرور كالمأفون
 فكفاه ما همه وأتاه بعد ضيق الخناق بالتهوين
 قال: فالتفت المهلب إلى ابنه حبيب فقال: يا بني! خذ هذا الفتي إليك
 واعتقه واحتفظ به فإه يحبك^١، وأخرى أن ينفعك^٢ وقت حاجتك إليه .
 قال: و تقدم عبيدة بن هلال أمام الأزارقة فجعل يرتجز ويقول:
 حتى متى يقتلنا المغيرة ومدرك فيكم له عفيده
 أصغركم وهدمكم كبيره^٣

قال: ثم حمل على خيل المهلب وطاعن ساعة ورجع إلى عسكره،
 و تقدم رجل من الأزارقة يقال له مالك بن قرير الطائي حتى وقف بين
 الجمع فجعل يرتجز ويقول شعرا . قال: فما لبث أن خرج إليه فتي من
 أصحاب المهلب يكنى أبا الذرياق وكان شجاعا، فحمل عليه فطعنه طعنة
 قتله: فأنشأ رجل من أصحاب المهلب يقول في ذلك أبياتا مطلعها:
 سال النزال فتي الأزارق مالك فأجاب دعوته أبو الذرياق
 - إلى آخرها .

١٥

قال: وأقبل رجل من الأزارقة يقال له عطية بن الأسود الحنفي
 إلى قطري بن الفجاءة فقال: يا أمير المؤمنين! أريد أن توليني قتال المهلب

(١) في الأصل: يحب لك .

(٢) في الأصل: يبقوك .

(٣) في الأصل: أبا .

و بنيه في هذا اليوم ! فقال قطري بن العجاءة : قد فعلت ذلك ، قال :
فنادى عطية بن الأسود في فرسان الأزارقة فلم يبق منهم فارس مذكور
إلا صار إليه ، فدنا عطية بن الأسود حتى وقف بين الجمعين في قتال

الأزارقة و شجعانه . و التفت المهلب إلى ابنه يزيد فقال : يا بني ! هذا

٧٩ / الف ٥ / عطية بن الأسود قد أقبل في فرسان الأزارقة فاخرج إليه في إخوانك

الذين تثق بهم في الإقدام على المكروه . قال : فنادى يزيد بن المهلب

في فرسان الأزدي ، فاجتمعوا إليه من كل أوب ، فقال لهم : اعلوا أنه

من تخلف عني في وقت حاجتي إليه محوت اسمه من الديوان . قال

فقال أصحابه : أبا خالد ! انظر إن تخلف منا عنك أحد فاضرب عنقه .

١٠ قال : فدنا يزيد بن المهلب في أصحابه ، و دنا عطية بن الأسود في

أصحابه ، و تقدم فتى من بني ضبيج من الأزارقة فحمل يقول شعرا .

قال : ثم حمل الضبي على يزيد بن المهلب فضربه فلم يصنع شيئا ، و ضربه

يزيد ضربة لم يتمكن منه كما يريد ، فسقط الضبي إلى الأرض فأخذه

يزيد أسيرا ، فلما رآه غلاما شابا استحي أن يقتله فقال له : الحق بأهلك

١٥ ما كنت الذي أقتل مثلك .

قال : ثم تقدم عطية بن الأسود حتى وقف بين الجمعين و طلب

البراز ، فذهب يزيد بن المهلب ليخرج إليه ، فتقدم رجل من

أصحابه فأخذ بلجام فرسه فقال : أبا خالد ! لا تخرج إليه فإنه من

الأبطال المدودين في الأزارقة ، قال : فغضب يزيد بن المهلب ثم قال :

(١) في الأصل : فقالوا :

أطلق ويك لجام الفرس وإلا هممك بالسيف! قال: فتنحى الرجل
 وحمل يزيد بن المهلب على عطية بن الأسود فالتقيا بضربتين [و ضربه
 يزيد] ضربة على بيضته فصرعه عن فرسه، وهم أن يضربه أخرى غير
 أنه اشتغل بغيره، فوثب عطية بعده حتى اختلط بالقوم، فاقتلوا يومهم
 ذلك إلى الليل. فلما اختلط^٢ القوم انهزمت الأزارقة وقد قتل منهم
 جماعة؛ فأنشأ رجل من بني أسد في ذلك يقول أياتا مطلعها:
 أتانا عطية في خيله فقال المهلب نادوا يزيدا
 إلى آخرها^٣.

قال: فأقام القوم أياما متحازين قد كف بعضهم عن بعض،
 قال: وإذا قوم من الأزارقة قد أقبلوا إلى سرح المهلب فاستاقوا منه
 نيفا على ثلاثمائة رأس. قال: فصاح المهلب بابنه مدرك، فقال: يا بني!
 إن السرح قد ذهب بعضه، وإنما نحن بالله ثم بالسرح، فالحق القوم!
 قال: فنادى مدرك في فرسان الأزدي، فركبوا وركب مدرك في خيله
 نحو السرح حتى لحقه، وإذا رجل من الأزارقة يسوق السرح وهو
 يرتجز ويقول شعرا. قال: فلم يشعر^٤ الأزارقة إلا ومدرك بن المهلب
 ١٥

(١) في الأصل: فالتقوا.

(٢) في الأصل: اختلطوا.

(٣) في الأصل: آخره.

(٤) في الأصل: فأقاموا.

(٥) في الأصل: فلم يشعروا.

قد وافاهم في خيله ، فلما نظروا إليه رجعوا إليه ، فجعل رجل منهم يرتجز و يقول :

أكل يوم يبعث المهلبُ خيلا عليه من نبيه أغلب
ليس لنا في الأرض منه مهرب لاشيء إلا الموت والافهروا

٥ قال : فحمل عليهم مدرك بن المهلب في خيله ، فقتل منهم من قتل و استنقذ

السرحد ، و انهزمت الأزارقة و تركوا عامة أموالهم ؛ فجمع مدرك بأسلح
و أسلاب القوم إلى العسكر ، فقال له المهلب : ما فعلت يا بني ؟ فقال :

استنقذت السرح و جئت بعامة أسلاب القوم ؛ فقال : و ليم فاتك أحد
منهم لم تقتله ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! لقد قاتلت القوم أشد القتال ،

١٠ و لو لا ذلك لما قدرت على السرح . فقال المهلب : هيهات يا بني ! كل

امرئ لا إليه بنفسى فهو ضائع ! فقال له رجل من أصحابه : أصلح الله الأمير !

لئن كنت لا تريد من الرجال إلا مثلك فلا والله ما فينا من يساوى

شسع نعلك ؛ قال : ثم أنشأ ذلك الرجل يقول أبياتا مطلعها :

قل للمهلب و السياسة كاسمه إن كنت تطلب للسياسة مثلكا

١٥ إلى آخرها .

قال : فينا المهلب نازل على باب إصطخر محاصرا للأزارقة إذ

خرجوا في جوف الليل يريدون الحرب منها إلى المدينة البيضاء ،

(١) في الأصل : وقد .

(٢) في الأصل : ورجعوا .

(٣) في الأصل : احدا .

(٤) أكبر مدينة في كورة إصطخر - انظر معجم البلدان ٢/٣٣٥ .

وذلك أنهم قد أكلوا جميع ما كان بمدينة إصطخر فخرجوا عنها هاربين ،
 واتصل الخبر بالمهلب ، فنادى في أصحابه أن اركبوا اثم تبعهم . قال :
 والتفت الأزارقة إلى خيل المهلب قد وافتهم ، فرجعوا إليه وعزموا
 على الموت ، فتقدم عبيدة بن هلال وحسر عن رأسه وهو يرتجز ويقول :
 حتى متى يتبعنا المهلب كأنه في أثر صهي كوكب ه
 / في كل يوم معزبات شرب ورسائها من حنق تلتهب
 ليس لنا في الأرض منهم مهرب ولا السماء أين أين المهرب
 قال : فحمل عليه بشر ابن أخي المهلب فطعنه طعنة ، سقط عبيدة عن فرسه
 مفضوحا ؛ فأنشأ بشر يقول في ذلك أبياتا مطلعها :

يا مليك ابنة الملوك سلى بي و بطعنى عبيدة بن هلال
 إلى آخرها .

قال : و صاح صالح بن مخراق : يا معشر المهاجرين ا موتوا على دينكم ،
 و ولوتى قتال القوم ! قال : ثم تقدم صالح أمام القوم و جعل ينادى :
 يا معشر المحلين بشر ابشر و نفر لنفر ، و الله لا برحت أموت أو تموتوا .
 قال : فالتفت المهلب إلى ابنه المفضل ، فقال : أبا غسان ! شأنك و الرجل ،
 فاخرج إليه في أصحابك فانه قد خرج في أصحابه ، فان عجل فتان و إن أمسك
 فتقدم . قال : فخرج المفضل بن المهلب في خيله حتى وقف قبالة صالح
 ابن مخراق ، قال ثم قال : أنا أبو غسان فائت يا ابن مخراق ! قال : ثم عطف

(١) في الأخبار الطوال ص ٢٧٦ :

حتى متى يتبعنا المهلب ليس لنا في الأرض منه مهرب
 ولا السماء أين أين المذهب

عليه المفضل و التقيا بضربتين ، ضربه المفضل انفلت منها صالح بن مخراق
 و هو يولول ، فناداه المفضل : إلى أين يا ابن مخراق ؟ إن كنت صادقا
 فاثبت ! قال : فلم يجبه صالح إلى شيء و اشتغل بما قد نزل به من الضربة .
 قال : و اشتد القتال و جعلت الأزارقة كلها ملأ منهم قوم من القتال
 ٥ تأخروا و تقدم الآخرون ، فقال المهلب : سبحان الله العظيم ! و الله ما رأيت
 و لا سمعت بمثل هولاء القوم ساعة قط ، كان كل ما ينقص منهم أن
 يزيد فيهم . فقال المفضل : نعم و الله - أصلح الله الأمير ! و أعجب من
 ذلك أني كلما قلت ملوا من الحرب قد عادوا حتى كأنهم لم يفعلوا
 شيئا . فقال المهلب : هكذا الرجال يا بني ، أما و الله أن لو لا الكتاب
 ١٠ المؤجل إذا لآبادونا أو أبدناهم .

قال : و ضجرت الأزارقة و ملوا من الطعن و الضرب فولوا
 مدبرين نحو المدينة البيضاء ؛ فقال المهلب لأصحابه : لا تتبعوهم ! فوالله
 ما انصرفوا حتى اتصفوا منا و اتصفنا منهم . قال : فأشأ المغيرة بن
 حنبل / التميمي في ذلك يقول أياتا مطلعها :

٨٠ / ب

١٥ أتى ابن مخراق ليقضى نذره و كان إذا ما قال افعل تفعلوا
 إلى آخرها . قال : و أقبل المهلب حتى نزل على مدينة البيضاء و الأزارقة
 مجتمعون بها ، فنزل عليهم و حاصرهم و ضيق عليهم غاية الضيق ، فلما
 رأوا ذلك خرجوا إليه كالسباع الضارية ، و جعل رجل منهم ينادى :
 يا معشر المحلين ! حتى متى نفر منكم ، هذا يوم نموت فيه جميعا . قال :
 ٢٠ و تقدم عمرو القناحي و وقف بين الجمعين و جعل ينادى : أين أبو غسان ؟

(١) في الأصل : التقوا .

(٢) في الأصل : ملوا .

أين المفضل بن المهلب؟ قال: فما لبث أن خرج إليه المفضل و بين يديه رجل من الأزد يحرضه على حرب القوم، وهو يقول آياتا مطلعها:

أقدم فدتك النفس يا مفضل فأنت من إخوتك المبجل

إلى آخرها. قال: فحمل عليه عمرو القنا و في يده لواء الأزارقة، و حمل

عليه المفضل فطعنه في صدره طعنة، فأوهنه^٢ حتى سقط اللواء من يده^٥

فأخذ^٣ أصحاب المفضل اللواء من عمرو، و مر عمرو مجروحاً لما به؛

فأنشأ المغيرة بن حنبل التميمي يقول في ذلك آياتا مطلعها:

يا عمرو لا تلقى المفضل بعدها بلواء قومك إذ سلبت لواءك

إلى آخرها. قال: و أقبلت الأزارقة على عمرو القنا فقالوا: يا عمرو^٤!

إنه قد أخذ منك اللواء و رجس بغيرك، ألا تعلم أنه عار عليك و على

عشيرتك! قال: فرجع عمرو القنا إلى الحرب ثانية، و اشتبك القتال

بين الفريقين، و حمل عمرو القنا على رجل من أصحاب المفضل قد كان

اللواء في يده ليأخذه منه، و حمل عليه المفضل فضربه ضربة ثم قال:

خذها يا عمرو! أنا الغلام الأزدي. قال: فولى عمرو القنا منهزماً هو

و أصحابه حتى دخلوا مدينة البيضاء، و ذلك في وقت المساء. فقال المهلب^٥

لابنه المفضل: ادن مني يا بني! هكذا فكن كما كان أبؤك من قبل؛

(١) زيد في الأصل: بن - خطأ.

(٢) في الأصل: فأوهمه. (٣) في الأصل: فأخذوا.

(٤) وقع في الأصل: عمر - خطأ.

(٥) في الأصل: كانوا.

فأنشأ الأشرس الحرسي في ذلك يقول ألياتا مطلعها :

قل للفضل قد شفيت نفوسا يوم التقى الجمعان بالبيضاء

/ إلى آخرها . / ٨١ / الف

خبر سيرة ابن الجعد مع الحجاج بن يوسف

قال : و لما بلغ الحجاج ما فيه المهلب من حرب الأزارقة و ما

لقي منهم فاغم لذلك غما شديدا و امتنع من النوم و أرق ذات ليلة ،

فلما طال عليه ذلك دعى بصاحب حرسه فقال : اخرج فأتني بمحدث

يقطع عني بعض هذه الليلة ا قال : نخرج الحرسي فاذا هو برجل جسيم

وسيم قد لقيه ، قال له : أجب الأمير ! قال : فقزع الرجل و طار عقله

١٠ و أتى به حتى دخل على الحجاج ، فلما سلم قال له الحجاج : إيه ما عندك ا

[فقال له الرجل : إيه ما عندك - ٢] قال فقال الحجاج للحرسي : ويالك ا

أمرتك أن تأتيني بمحدث فأتيتني برجل مرعوب قد ذهب عقله ، أخرجه

عني ، أخرج الله نفسك و نفسه ا نخرج الحرسي فوجد إنسانا يصلي ، فقال

له : كلم الحجاج ا قال : فأوجز الرجل في صلاته [ثم] أتى به حتى أدخل

١٥ على الحجاج ٢ ، فلم بلسان طلق ذلق و قلب شديد ، فقال الحجاج :

(١) في مروج الذهب ٢/ ١٣٨ : سيرة .

(٢) من مروج الذهب .

(٣ - ٣) في مروج الذهب : « نخرج الحجاج و معه صرة دراهم إلى المسجد ،

فجعل يناول الناس فيأخذونها حتى انتهى إلى شيخ فأعطاه فنبذها ، فأعادها الحجاج

فردها ، ففعل ذلك الحجاج ثلاثا ، فدنا منه الحجاج و قال : أنا الحجاج ! و دخل

القصر و قال للحرسي : الحقني به ! فدخل . »

عن الرجل؟ قال: رجل من ربيعة، قال: ومن أيها؟ قال: من
 بنى شيبان، قال: فما اسمك و ابن من؟ قال: اسمي سبرة بن الجعد، قال
 الحجاج: اجلس يا سبرة بن الجعد و أخبرني هل قرأت القرآن؟ فقال:
 نعم أيها الأمير لقد قرأته و جمعته في صدري، فان عملت به فقد حفظته
 و إن لم أعمل به فقد ضيعته؛ قال الحجاج: صدقت؛ فهل أعلمت من؟
 الفرائض؟ فقال: نعم و إني لأعرف الاختلاف في الجد؛ قال: فهل
 تبصر الفقه؟ قال: نعم، إني لأبصر منه ما أقوم به أهلي و أرشد به ذا
 العمام من قومي؛ قال: فهل نظرت في؟ النجوم؟ فقال: نعم، إني لأعرف
 منازل القمر و ما اهتدى به في السفر؛ قال: فهل تروى الشعر؟ قال:
 نعم، إني لأروى منه المثل و أعرف الشاهد من أيام العرب. قال: ١٠
 فاتخذ الحجاج سميرا و أجرى عليه رزقا، فلم يكن يسأله عن شيء من
 العلوم و الأخبار و الأحاديث و الأسمار إلا وجد عنده من ذلك طرفا.

(١-١) ليس في مروج الذهب .

(٢-٢) في الأصل: عملت في؛ وفي مروج الذهب: فهل تفرض .

(٣-٣) في مروج الذهب: إني لأفرض الصلب و أعرف .

(٤-٤) في مروج الذهب: تعرف .

(٥) من مروج الذهب، وفي الأصل: يهتدى .

(٦-٦) في مروج الذهب: قال: إني لأروى المثل و الشاهد؛ قال: المثل

قد عرفناه، فما الشاهد؟ قال: اليوم يكون للعرب من أيامها عليه شاهد من

الشعر، فاني أروى ذلك الشاهد .

قال: وبلغ ذلك قطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة، فاشتد عليه مكان سيرة بن الجعد من الحجاج لأنه كان قد يرى رأيهم؛ قال: فكتب إليه قطري بن الفجاءة بهذه الآيات:

لشتان ما بين [ابن -^١] جعد و بيننا إذا نحن رحنا في الحديد المظاهر
 وراح^٢ ابن جعد الخير نحو^٣ أميره أمير بتقوى ربه غير أمر
 نجالد^٤ فرسان المهلب كلنا صبور على وقع السيوف البواتر
 أبا الجعد أين العلم و الحلم و النهي و ميراث آباء كرام العناصر
 ألم تر أن الموت لاشك نازل 'ولا بعث إلا للآلئ' في المقابر
 عراة حفاة و الموات لديهم إلى ظلمة تغشى عيون النواظر
 ١٠ و تب توبة تهدي إليك سعادة^٦ فانك ذو ذنب و لست بكافر
 فان الذي قد نلت يفنى و إنما بقاؤك^٧ في الدنيا كوقعة طائر

٨١ / ب

(١) من مروج الذهب .

(٢-٢) في مروج الذهب: يجر الخز عند .

(٣) في مروج الذهب: نجاهد .

(٤-٤) في مروج الذهب: و لا بد من بعث الآلئ .

(٥) البيت في مروج الذهب:

حفاة عراة و التراب لديهم فمن بين ذى ربح و آخر خاسر

و زيد فيه بيت:

فراجع أبا جعد و لا تك مغضبا على ظلمة أعمت جميع النواظر

(٦) في مروج الذهب: شهادة .

(٧) في مروج الذهب: حياتك .

وسر نحونا تلقى^١ الجهاد غنيمته فقدك ابتياعا رابحا غير خاسر^٢
 هي الغاية القصوى العظيم^٣ ثوابها إذا نال في الدنيا الغنى كل تاجر
 قال: فلما قرأ سيرة بن الجعد كتاب قطري بن الفجاءة توارى عن
 الحجاج ليلة من الليالي، ثم ركب فرسه فلاحق بالأزارقة فصار معهم.
 قال: وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه، وجعل يسأل عنه فلم يعطه أحد
 خبره، قال: فلم يرع^٤ الحجاج إلا وكتابه قد ورد عليه فيه شعر قطري
 ابن الفجاءة الذي كان كتبه إليه، وفيه هذه الآيات إلى الحجاج:
 فمن مبلغ الحجاج أن سميره على^٥ كل دين غير دين الخوارج
 رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه ملاعين تراكين قصد المناهج^٦
 فأى امرئى أى امرئى يا ابن يوسف ظفرت به لم يأت غير الولايج^٧
 إذا لرأيت الحق منه مخالفا لديك إن كنت امرأ غير فالج
 يسألتنى الحجاج عن أمر دينه وليس هواه للصواب بواشج
 فأضل به من واشج خلجت به عن الدين والإسلام إحدى الخلايج^٨

(١) من مروج الذهب، وفي الأصل: تلقى.

(٢) من مروج الذهب، وفي الأصل: باثر.

(٣) في مروج الذهب: الرغيب.

(٤) في الأصل: ثم، والتصحيح من مروج الذهب.

(٥) من مروج الذهب ١٣٩/٢، وفي الأصل: من.

(٦) في مروج الذهب: فلا.

(٧) في مروج الذهب: المخارج.

(٨) الآيات الآتية من هنا إلى قوله: فأقبلت نحو الله، ليست في مروج الذهب.

و نهاب^١ ثلج^٢ و المقيم بنهرها
 فيا ليتي إذ أمكنتي فرصة
 فقد كدت لولا الله أن أمزج الهوى
 فعمته^٣ مثل العقيقة صارما
 / فأقبلت نحو الله بالله و ائقسا
 ٢ على ظهر محبوبك^٤ العرى متمطرا^٥
 إلى قطري^٦ في الشراة معالجا
 إلى عصة^٧ أما النهار فانهم
 و أما إذا ما الليل جن^٨ فانهم
 ١٠ ينادون^٩ بالتحكيم^{١٠} لله^{١١} إنهم
 وحكم ابن قيس مثل ذلك فاعصموا
 ولا خير في الدنيا إذا الدين لم يكن
 إذا قستها في البعد من ملء عاج
 فتكت به فتك امرئ غير نافج
 هدى الحق من قلبى بمذقة مازج
 يخال على متنيه ماء الصهارج
 ما كرتي غير^{١٢} الإله بفارج
 إلى فتيه ييض الوجوه بناهج
 است إلى غير الشراة بعالج
 صموت من تقحشاء غير ممازج
 هم الأسد أسد الحرب عند التهايج^{١٣}
 رأوا حكم عمرو كالرياح الهوانج
 بحبل شديد القتل^{١٤} ليس بناهج
 صحيحا ولم يصمد لقصد المخارج^{١٥}

٨٢ / الف ٥

(١) في الأصل : يهاب .

(٢) من مروج الذهب ، وفي الأصل : عند .

(٣) ليس البيتان الآتيان في مروج الذهب .

(٤-٥) في الأصل : القرى متمطرا .

(٥-٥) في مروج الذهب :

إلى عصة أما النهار فانهم

و أما إذا ما الليل جن فانهم

(٦-٦) في مروج الذهب : للتحكيم تالله .

(٧) في مروج الذهب : المتن .

(٨) ليس البيت في مروج الذهب .

قال

ن .

قال: فلم قرأ الحجاج هذا الكتاب تغير لونه ووجهه، ثم رماه إلى كاتبه و قال: هذا كتاب سميرنا الشيباني وكان من الخوارج ولم نعلم . قال: ثم جعل الحجاج بعض أنامله و يتأسف على ما فاته من قتله .

ثم رجعنا إلى أخبار الأزارقة

قال: و أصبحت الأزارقة ذات يوم فخرجوا عن مدينة البيضاء ه إلى حرب المهلب و أصحابه في تعب لم يُر^٢ مثلها قبل ذلك، و زحفوا حتى جعلوا مدينة البيضاء من ورائهم، و تقدم رجل منهم من بني ضبة يقال له زياد فجعل ينادى: يا معشر المحلين! هل من مبارزا قال: فصاح المهلب برجل يقال له الرقاد بن عمرو^٣ فقال له: يا رقاد! اكفنا هذا الفارس! فقال: أفعل أصلح الله الأمير و لو أمرتني بالبراز إلى من هو أعظم خطرا منه . ثم حمل الرقاد بن عمرو على زياد الضبي، فطعنه طعنة خرمها قتيلا . قال: و نظرت الأزارقة إلى زياد الضبي قد سقط فضجوا بالبكاء، ثم انهم استماتوا فجعلوا يقاتلون أشد القتال إلى أن اختلط

(١) في الأصل: يعظ - كذا خطأ .

(٢) في الأصل: لم يرى .

(٣) في الكامل للبرد ص ٦٨١: الرقاد هو من فرسان المهلب و هو أحد بني مالك

ابن ربيعة؛ و في الطبري ٢٦٩/٧: و كان الرقاد بن زياد بن همام رجلا من العتيك كريما على المهلب .

(٤) في الأصل: اكفينا - كذا .

الظلام ثم 'تجاجز الفريقان' وقد انتصف منهم خيل المهلب؛ فأنشأ
كعب بن معدان الأشقرى^٢ يقول في ذلك أبياتا مطلعها:
ولما بدت خيل تنادى بأن الصباح للأعدى^٣
إلى آخرها .

٥ خبر الجاريتين ابنتي تبع الحميري وخبر محمد بن يوسف
أخي الحجاج وخبر السيف وهذا داخل في حديث
الأزارقة .

١٠ مطمورة هناك ، فخرها فاذا هو بحجر منقور طويل ، و في الحجر
جارتان عند رؤسهما^٤ لوح من عجر مكتوب فيه بالحميري : يا أخى !
و هذه أختي لميس ، و نحن ابنتا تبع الحميري ، غير أننا متا و لا نشارك
بالله شيئا . و إذا عند رأس إحداهما^٥ هذه الآيات مكتوبة في الحجر :

(١-١) في الأصل : تجاجزوا الفريقين .

(٢) في الأصل : انتصفوا .

(٣) في الأصل : الأشعري .

(٤) في الأصل : باننا الصباح من الأعدى .

(٥) المتوفى سنة ٥٢٠٧ هـ ، مؤرخ ، و هو عند علماء الحديث من المدلسين و من

غير الثقات - انظر اسان الميزان ٢٠٩/٦ .

(٦-٦) في الأصل : جارتين عند رؤسهم .

(٧) في الأصل : احدهم .

كنت العزيزة في قومي فما امتعت نفسي بعزتها لما أتى القدر
لما أتاني الذي قد كنت أحذره سلبت و استعجلتني عبرة درر
وأرفض من كان حولي من ذوي ثقة كيما أوارى فلا شخص ولا أثر
وأخرجوني من الدنيا وزينتها و صار أكبر ما الحقته المدر

قال: وإذا عند رأس الأخرى مكتوب في الحجر هذه الآيات: ه

جار الزمان علينا مثل ما صنعت أيامه بآب ذى الصقرين ذى يزن
كنا نرى و ملاهى الدهر تذهلنا إن المنعم قد تعرى^٢ من الحزن
كانت لنا جنبة خضراء معشبة للطير والوحش فيها صوت مرتين

قال: وإذا بين هاتين سيف ماثور لا يدري ما قيمته، قال: فأخذ

محمد بن يوسف ذلك السيف و خرج من المطمورة و رد الحفر إلى ما ١٠
كان . ثم كتب إلى الحجاج يعلمه أمر المطمورة و بعث إليه بذلك السيف،
قال: فنظر الحجاج إلى سيف قاطع من سيوف الأولين، فقال لجلسائه:
ما يصلح هذا السيف إلا للمهلب يقاتل به هؤلاء الخوارج . قال: فبعث
الحجاج بذلك السيف إلى المهلب و أمره أن يدفعه إلى أشد أولاده
و أتجمعهم . قال: فوهب المهلب هذا السيف لابنه المغيرة^٣ . و زحفت ١٥

(١) في الأصل: الحقنه .

(٢) في الأصل: عُرى .

(٣) في الكامل لابن المبرد ص ٦٨٤: « كان فطرى هدم مدينة إصطخر لأن أهلها كانوا يكتبون المهلب بأخباره و أراد مثل ذلك بمدينة نسا فاشتراها منه آزاد مرد بن الهربد بمائة ألف درهم فلم يهدمها ، فواقعه المهلب فهزمه =

الأزارقة نحو المهلب في جيش لجب، و تقلد المغيرة بذلك السيف و خرج نحو الأزارقة، و دنت الأزارقة يقدمهم صالح بن مخراق العبدى شاكا في السلاح، و على رأسه بيضة مجلية، و قد وضع على قفاه مزودة محشية بالقز و هو يرتجز / و يقول :

٨٣/ الف

قل للحلبيين أناكم صالح و صالح في الحرب كبش ناطح
و صالح في الغيل ليث كالح و صالح ظفر و ناب جارح
يهوى به طرف سريع صالح في كفه غضب حسام لأتح

ثم حمل على خيل المهلب، و حمل عليه المغيرة بذلك السيف فضربه ضربة على بيضته فقدها حتى أسرع السيف إلى رأسه و سقط صالح بن مخراق عن فرسه، فحماه أصحابه و هو لما به، ثم حمل المغيرة على جميع الأزارقة و كان لا يضرب منهم بسيفه أحدا إلا جندله صريعا . قال : فلم يزل كذلك حتى انكشفوا من بين يديه، ثم رجع المغيرة إلى أبيه و السيف بيده خضيا بالدماء . قال فقال المهلب : أحسنت يا بنى ! لقد أخذته بحقه، و أنا كاتب إلى الحجاج بما صنعت في هذا اليوم : فأنشأ المغيرة بن حنناء

١٥ التيمى يقول في ذلك أياتا مطلعها :

= و نفاه إلى كرمان، و اتبعه ابنه المغيرة و قد كان دفع إليه سيفا ووجه به الحجاج إلى المهلب و أقسم عليه أن يتقلده فدفعه إلى المغيرة بعدما تقلد، فرجع به المغيرة إليه و قد دمّاه، فسُرَّ المهلب بذلك .

(١) في الأصل: الحموم .

قل للمهلب قند وقت نفوسنا بينك فعلة تبع ذى التاج
إلى آخرها .

ذكر اختلاف الخوارج و تشتيت أمرهم

قال : و وقع الخلاف بين الأزارقة فاختلفوا فصاروا على ثلاث
فرق : فرقة مع صاحبهم قطرى بن الفجاءة ، و فرقة مع عبد ربه الكبير ، ه
و فرقة مع عبد ربه الصغير . قال : و تشتت أمورهم و اختلفت كلمتهم ؛
فأنشأ رجل منهم يقول فى ذلك أياتا مطلعها :
كنى حزنا أن الخوارج أصبحوا قد انشت نياتهم فتصدعوا
إلى آخرها .

قال : و بلغ المهلب ما هم فيه من التشيت و الاختلاف ، فقال لأصحابه : ١٠
أبشروا ! فهذا الذى كنت أرجو من هؤلاء الخوارج ، و قد أذن الله فى
ملاكهم و بوارهم .

ثم وثب رجل منهم يقال له الصلت بن مرة الأيادى إلى قطرى
ابن الفجاءة فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا كنا مرة أفاعى فأصبحنا اليوم
خنafs ، و قد كنا أسودا فأصبحنا ضباعا ، و قد أصبح المهلب يرجو ١٥
منا ما كنا نرجو منه ، و قد بلغنى أنك تريد الهرب ، فان كنت إنما
تريد / الله و الدار الآخرة فاثبت و مت حتى نموت^٢ معك ، و إلا فذع
أصحابك حتى يستأمنوا إلى المهلب فانه يؤمنهم : قال : ثم أنشأ يقول
أياتا مطلعها :

(١) فى الأصل : تشتت .

(٢) فى الأصل : نمت .

أبقى لنا عبد رب بعد ألفتنا طعن الصدور فصرنا طمحة العرب
إلى آخرها .

قال : فلما سمع قطري بن الفجاءة هذه الآيات استعبر باكيا ووطن
نفسه على الموت ، و نادى فيمن أجابه من الأزارقة و زحف إلى المهلب
ة و أصحابه ؛ و دنا^٢ القوم بعضهم من بعض ، و تقدم قطري أمام الخيل
و هو يرتجز و يقول شعرا . قال : فما لبث قطري بن الفجاءة أن خرج
إليه المهلب بنفسه و هو يرتجز و يقول :

يا قطري أين أين المهرب لا أين منك و الفتي المهلب
يطعن أحيانا و حيناً يضرب كأنه وسط العجاج يلعب

١٠ قال : فعلم قطري أنه المهلب فجعل يرتجز و هو يقول :

إن بلقي بجده المهلب اصبر و إلا لم يضرنى المهرب
شيخ بشيخ ذا و ذا مجرب رحاهما كلاهما مخضب

قال : فاقتل^٣ القوم يومهم ذلك إلى الليل . و ارتحل عبد ربه الكبير

(١) في الكامل للبرد ص ٦٨٧ : « و أنشأ الصلت يقول :

قل للحاين قد فرت عيونكم بفرقة القوم و البغضاء و الهرب
كنا أنا على دين فقيرنا طول الجدال و خلط الجدل بالادب
ما كان اغنى رجلا ضل سعيهم عن الجدال و اغناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطربا مالي سوى فرسي و الرمح من نشب

(٢) في الأصل : دنوا .

(٣) في الأصل : فانتلوا .

و عبد ربه الصغير نحو بلاد كرمان أحدم في سبعة آلاف أو الآخر
في أربعة آلاف، فصار كل واحد منهم على حدة . قال : و ارتحل قطرى
ابن الفجاءة حتى صار إلى مدينة جيرفت^١ فنزلها فيمن بقى معه من أصحابه .
قال : و جعل كل واحد من هؤلاء القوم بعزم^٢ على قتال المهلب بنفسه
و أصحابه ليتبين صبره و جهاده من جهاد غيره ، و أنشأ كعب بن معدان^٥
يقول أبياتا مطلعها .

دعوا التابع و الإسراع و ارتقبوا إن المحارب يشأنى و ينتظر
إلى آخرها .

قال : و اشتد الحصار على قطرى بن الفجاءة و أصحابه بمدينة جيرفت ،
و اتصل الخبر بأصحابه أنه يريد الحرب ، فقام إليه رجل من الأزارقة^{١٠}
يقال له عامر بن عمرو السعدى فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا قد بلغنا عنك
أنك تريد الحرب ، فان / قاتلت قاتلك معك ، و إن هربت فأنا أرا
إلى الله منك ! فقال قطرى بن الفجاءة : من ههنا اضربوا عنقه ! قال :
فضرب عنق السعدى . فوثب ابن عم له فقال له : يا أمير المؤمنين ! يكلمك
ابن عمى بكلمة فيها رضى فتأمر بضرب عنقه ! لا يجب أن يكون جوابك^{١٥}
القتل ، و عقابك السيف ، فان الطاغى يوجع ، و المستعيب يمشب ؛ ألا والله
لم يبق معك أحد إلا فارقك ! فان فعالك هذه من فعال الجبارين ؛

(١-١) قدمها في الأصل : على « و عبد ربه الصغير » .

(٢) مدينة بكرمان - معجم البلدان ٣/ ١٨٩ . (٣) في الأصل : قد عزم .

(٤) في الأصل : فقال له . (٥) وقع في الأصل : يقال .

ثم إنشأ يقول:

أيا قطري بن الفجاءة ملء لنا
من النصف شيء غير فقل الجبار
أما تستحي يا لبق الفجاءة التي
لبست بها عارا وأنت مهاجر
أفي كل يوم للمهلب أسلمت
له شفتاك الفم والقلب طائر
فحني متى هذا الفرار حذاره
وأنت ولي والمهلب كافر

[و] إن قال يوما عامر فضربه
بأبيض مصقول فقله عامر
أسرت ولم تأمر به فدماؤه
تسيل على ثوبيه والرأس نادر
أما حسبنا من عيد رب وصحة
شجي ناشب لم يتلعه الحناجر
قتلت الذي لا تستطيع فراقه
حياتك لا تنفع وموتك صار
فيت قطري إن في الموت راحة
وأنت لديه لا محالة سائر

قال: فهم به قطري أن يقتله، ثم إنه خشي أن يلتاث عليه أهل عسكره
فسكت عنه، وجاء الليل فهرب ذلك الرجل في جماعة من الأزارقة

(١) زيد في الأصل: من .

(٢) في الأخبار الطوال ص ٢٧٧: «ومضى قطري في أصحابه نحو جيرفت،
وهم بالهرب إلى كرمان، فقال رجل من أصحابه:

أيا قطري الخير إن كنت هاربا ستلبسنا عارا وأنت مهاجر

إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحني متى هذا الفرار مخافة وأنت ولي والمهلب كافر»

ولست الأبيات الآتية فيه. ووقع في الأصل: «له شفتاك والفم والقلب

طائر» .

حتى صاروا إلى المهلب فاستأمنوه، فأمنهم وأحسن جوائزهم؛ ثم أنشأ ذلك الرجل يقول:

قد قلت لما أُرجمت لي عجاذة هوى قطري بسطوها يتذبذب

فيا قطري بن الفجاءة ما لنا جواپ لحاك الله إلا المشطب

فلما أبى إلا اللجاج بقتلنا نظرت وكان المستجار المهلب ٥

عفو عن الذنب العظيم كأنه لمن ليس يرجو العفو عن ذنبه أب

عقوبته فيما يعاقب غيره عليه بمصقول الظبي حين يغضب

يعاتبه والمره الشفيق نصيحة يزبدم عفوا إذا القوم أذنبوا

لحقتُ به ما استبان ضلاله كإني إليه كنت بالأمس أهرب

فما جته أغشم إليه بشبهة ولا طالبا مالا ولا المال أطلب ١٠

ولكنني أحدثت لله توبة قفلت إليها والقلوب تقلب

ولم تك لي بعد البصيرة عرجة ولم يك لي بعد المهلب مذهب

قال: وبقى قطري بن الفجاءة مغموما [فيما] هو فيه، لأنه قد فارق رجال

من أصحابه، ففرقة مع عبد ربه بوادي كرمان، والذين هم معه بجيرفت

هو منهم على وجل فلم يدر ما يصنع، وضاق به الأمر؛ فأنشأ يقول: ١٥

أقول لنفسي حين طال حصارها وفارقها للحادثات نصيرها

لك الخير موتي إن في الموت راحة فيأتي عليها حينها ما نصيرها

فلو أنها ترجو الحياة عذرتنا ولكنها للموت يحدى بعيرها

(١) في الأصل: أما .

(٢) في الأصل: الضبي .

(٣) في الأصل: إليها .

وقد كنت أوفى للمهلب ضاعه و يشعبي بنا و الخيل يثق نحوها
 إذا ما أتت خيل الخيل لقيتها بأقرانها أسدا يداني زفيرها
 ولا يتغنى الهندي إلا رؤسها ولا يثقي الخطي إلا صدورها
 ففرق أمرى عبد رب و محبه أدار رحي موت عليها مديرها
 قدما رأى منا المهلب فرصة فها تلك أهداني طويل سرورها
 وأعظم من هذا على نصيبه إذا ذكرت لها النفس طال زفيرها
 فراق رجال لم يكونوا أذلة و قتل رجال جاش منها ضميرها
 لقوني بالأمر الذي في قوسهم ولا يقتل الفجار إلا لجورها
 عبرنا زمانا و الشراة بغبطة يتر بها مأمورها و أميرها

١٠ قال: ثم أرسل قطري إلى من كان معه في مدينة جيفت و أوصاهم
 و عهد إليهم و قال: اعلوا أنى قد عزمت فدا على الخروج إلى المهلب
 و أصحابه فانظروا كيف تكونون فأرسلوا إليه أن يا أمير المؤمنين إننا
 قد عزمنا على الموت، فاعزم على ذلك، فلما كان من الغد فتح / القيم
 أبواب المدينة و خرجوا منها إلى لقاء المهلب و أصحابه في زيادة على
 ١٥ عشرة آلاف، و عني المهلب أصحابه كما كان يعيهم من قبل، و دنا
 القوم بعضهم من بعض، و اختلطوا و تلاحموا و اقتلوا قتالا نعوا ما
 كان قبل ذلك، و لم يزالوا على ذلك يومين و ليلتين.

فلما كان اليوم الثالث أقبل عبد ربه الصغير على أصحابه و هو في
 أربعة آلاف، فقال: و يحكم يا معشر المهاجرين إن قطربنا و أصحابه في

(١) في الأصل: فتعوا.

(٢) في الأصل: دنوا.

الحرب منذ يومين و ليلتين ، و هذا عار علينا أن نسلم إخواننا ، و لكن
 سيروا بنا إليهم . قال : لم يشعر المهلب إلا و عسكر لجب قد وافاه في
 أربعة آلاف من الأزارقة ، فقال لابنه يزيد : أبا خالد ا هذا عبد ربه
 الصغير قد أقبل ، فاضم إليك من أحببت من العسكر و اكفى أمره ،
 و دعني و قطري بن الفجاءة و أصحابه . قال : فما انتصف النهار حتى قتل
 عبد ربه الصغير و قتل عامة أصحابه ، فما انفلت منهم إلا شردمة قليلون .
 و نظر قطري إلى ما قد نزل بعبد ربه الصغير و أصحابه فولى منهزما ،
 و وضع السيف في أصحابه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و نجح قطري و أصحابه
 في الذين بقوا معه ، فر هاربا على وجهه ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقري^١
 يقول أبياتا مطلعها :

١٠ .

نجح قطري و الرماح تنوشه على ساج نهد التليل مقرع^٢

إلى آخرها .

قال : و مضى قطري بن الفجاءة هاربا على وجههم حتى صار إلى
 مدينة الري و معه عبيدة بن هلال و من تبعهم من الأزارقة ، فلما صار^٣
 القوم إلى بلد الري افرقوا ، فصار قطري إلى ناحية طبرستان ، و مضى ١٥

(١) في الأصل : الأشعري .

(٢) من معجم البلدان ٣ / ١٩٠ ، و في الأصل « بفرع » و زاد فيه :

يلف به السافين ركضا و قد بدا لاسناعه يوم من الشر أشنع

و أسلم في جيرفت أشراف جنده إذا ما بدا قرن من الباب يفرع

(٣) في الأصل : صاروا .

عبيدة بن هلال في نفر من أصحابه إلى بلد قومس^١، فنزلها ثم بعث إلى المهلب بن أبي صفرة بهذه الآيات:

طال ليلي وغيّر الدهر جالي ورماني بصائبات النبال

أفرق الدهر بيننا أي قطري ورمانا بفتنة الدجال

وأرى عبد ربه ترك الحق فهذان في الردى والضلال

أوقدوها على الشراة وقالوا شنّ هذا عبيدة بن هلال

ولعمري إن هما زعماء لقليل في جمعهم أمثالي

إنني للصبور في حسّ الحرّ ب يصير بما عليّ وما لي

غير أني لم أحبها علّم الله ولا حل في اللجاج عقالي

قرة العين بالشرارة وأمسى للمحلين غير ما زلزال

وتبارى المهلب بن أبي صفرة للقوم عند هلك الرجال

مدرجليه للفراغ من الحرّ ب ومد اليدين للانفصال

وعيالي بطرحون بحيرفك لك الخير أين مني عيالي

إن تنلهم يد المهلب في الحرّ ب سبايا فأنني لا أبالي

يمنع الشيخ منهم عظم الخطب وأن ليس يجمعهم بحلال^٢

إن من حالة المهلب في الناس له هبة وعز جلال^٣

(١) في الأصل: قومص. وفي معجم البلدان / ١٨٥: «قومس - بالضم

ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة... وهي في ذيل جبال طبرستان».

(٢) في الأصل: خمس.

(٣) في الأصل: بحلال.

قال : فذكروا أن المهلب قد وصلت إليه هذه الآيات ، فلما ظفر بمن
بقي من الأزارقة اشترى عيال عبيدة بن هلال و أولاده بمخمسين ألف
درهم من ماله و ألحقهم بقومه .

قال : و انضمت الأزارقة إلى عبد ربه الكبير فبايعوه بالخلافة
و قالوا : نحن معك أو نفي عن آخرنا . قال : فغضب لذلك عطية بن ه
الأسود و خرج من العسكر مخالفا لعبد ربه ، و تبعه عبد ربه في نفر
من أصحابه فقال : يا أبا الأسود ارجع رحمك الله و لاتشق العصا ، فإن
الناس قد بايعوني ، فلا تخالف ما عليه إخوانك ، فقال له عطية بن الأسود :
لا حاجة لي في المقام معك . قال : فحمل عليه عبد ربه فطعنه في خاصرته
طعنة قتله و رجع إلى عسكره ، فلما كان الليل لم يبق أحد من أصحاب
عطية إلا خرج من العسكر و هم يقولون : الصلاة خلف عبد ربه حرام
بعد هذا ، ثم صاروا إلى المهلب فاستأمنوا إليه ، فأمنهم و أحسن
جوائزهم .

قال : و جمع عبد ربه الكبير من بقي معه من أصحابه ثم قام فيهم خطيبا ،

لحمد الله و أنبي عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر المهاجرين ! فإن كنتم فقدتم ١٥ / ٨٦ / الف
الرجال فلم تفقدوا الإسلام ، و قد أراحكم الله من خمسة أشياء : من جفاء
قطرى بن الفجاءة ، و أنجلاط عبيدة بن هلال ، و نخوة عمرو القنا ، و غي

(١) في الأصل : فقالوا .

(٢) في الأصل : في .

عبد ربه الصغير، وفتنة عطية بن الأسود؛ وقد صيركم الله إلى بصائركم الأولى، فاحمدوا الله على ذلك؛ وقد علمتم أن المهلب قد نزل بمدينة جيرفت واحتوى على غنائم إخوانكم وبنى أعمامكم، وأنا سائر إليه فسيروا على بركة الله.

قال: ثم سارا وسارت الأزارقة معه نحو مدينة جيرفت، وبلغ ذلك المهلب فنادى في أصحابه وأمرهم بالرحيل، ثم خرج من جيرفت كالمنهزم عنها، وأقبل عبد ربه في الأزارقة وقد بلغه خروج المهلب من جيرفت، فظن أنه قد انهزم بين يديه، فأقبل حتى دخل المدينة فزها في أصحابه. وعلم المهلب بذلك فرجع حتى نزل بجيرفت وجميع جنده؛ ثم إنه قام في الناس خطيبا وقال: أيها الناس! إنكم نلتُم ما رجوتُم في عدوكم من الفرقة والتشتيت، وقد كفاكم الله خمسة من قرناء الشيطان: قطرى بن الفجاءة، وعبيدة بن هلال، وعطية بن الأسود، وعمرو القنا، وعبد ربه الصغير؛ وقد بقي عبد ربه الكبير، وأنا أرجو أن يقتله الله غدا إن شاء الله، والقوم لا قوم فاصبروا. فقال الناس: سمعا وطاعة! قال: فعندما عزم المهلب على مناجزة القوم، وجعل يقول لأصحابه: لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم، فإن القوم متكون على ما في المدينة من الأطعمة، ولقد نفذ ما عندهم وجاعوا وإلا خرجوا إليكم. قال: واشتد الحصار على الأزارقة في مدينة جيرفت حتى أكلوا جميع

(١) في الأصل: ساروا.

(٢) في الأصل: فقالوا.

ما قدروا عليه، ثم إنهم تخرجوا إلى حرب المهلب في تعية و جيش
لجب، قال: و عبي المهلب أصحابه كراديس، و جعل في كل كردوس
رجلا من أولاده، ثم أقبل عليهم و قال: يا بني! إنما أقاتل لله، و أنتم
تقاتلون لله و عن أيكم، و تدبون عن دين الإسلام، و ليس يقاتل معكم
إلا من رزقه الله النية في الجهاد، و ليس أحد أولى بحربهم منكم، فقاتلوا
و اصبروا و كونوا كما قال أخو قيس حيث يقول:

إن علي أهل اللواء حقا أن يخضبوا الصعدة أو يبرقا^١

٨٦/ب

و اعلوا يا بني! أنكم لا تملكون رقاب الناس و إنما تملكون طاعتهم.
فكونوا كما قال الأول:

إذا أعطيت راحلة و رحلا و لم أوضع فقام علي ناعي
قال: فعندهما^٢ جد بنو المهلب^٣ في القتال، و إذا غلام من الأزارقة و قد
وقف على تل مرتفع و رفع صوته و جعل يقول:

أفرق الأمر بيننا قُطْرَى و لهجنا بلفظ قيل و قال

و رمانا عمرو القنا بهواه و أخوه عبيدة بن هلال

و رضينا بعبد ربه و المرء رهين بجاذب الأهوال
١٥

فلقد عاب المهلب ما كان رجاء من تقارب الآجال

قال: ثم حمل ذلك الغلام على أصحاب المهلب فلم يزل يقاتل حتى قتل،
و اشتد الحرب على باب جيرفت يومهم ذلك من وقت الضحى إلى أن

(١) في الأصل: برقا - كذا.

(٢-٢) في الأصل: جدوا بني المهلب.

غابت الشمس . قال : و صاح رجل من أصحاب المهلب يقال له سلقط^١
 ابن عمرو فقال : أيها الناس ! انه قد جاء الليل و غابت الشمس ، الليل
 لا يقاتل فيه إلا الشجاع المطبوع على الشجاعة ، فأبكم يبايعني على الموت؟
 قال : فانتدبت^٢ له جماعة من فتيان الأزدي ، و تقدم سلقط هذا فيمن اجتمع
 إليه نحو الأزارقة . فلم يزل يقاتلهم هو و أصحابه حتى أجمهم إلى وادي
 جيرفت ، و صاح المهلب بابنه يزيد فقال : يا بني ! ابسط خيلك على
 القوم ، قال : فبسط يزيد خيله على الأزارقة ، و ثبتت الأزارقة للحرب ،
 و جعل^٣ أصحاب يزيد بن المهلب لا يرون داعيا من الأزارقة إلا و هو
 بالحجارة ، فلم يزالوا كذلك إلى الصباح حتى قتل من الأزارقة بشر
 كثير ، و قتل سلقط بن عمرو الأزدي ؛ فأنشأ سماعة بن يزيد يقول
 أياتا مطلعها :

توى^٤ سلقط في حومة الحرب مسندا فبا عين جودى بالدموع لسلقط
 إلى آخرها .

قال : و ولت الأزارقة منهزمين حتى دخلوا مدينة جيرفت بشر

(١) كذا في الأصل في مواضع كلها ، لم نجد في كتب الرجال و لم نظفر مادة
 « سلقط » في كتب اللغة .

(٢) في الأصل : فانتدبوا .

(٣) في الأصل : جعلوا .

(٤) في الأصل : منهم .

(٥) في الأصل : توى .

وعر ، فأقاموا يومهم ذلك . فلما كان الليل إذا برجل من الأزارقة
قد أشرف على سور المدينة وهو يقول آياتا مطلعها :

٨٧ / الف

/ إلى الله أشكو كربة أن تفرّجا وهما دخيلا لا أرى منه مخرجا
إلى آخرها . قال : فلما سمع المهلب شعره التفت إلى رجل من أصحابه
فقال : أسأله ممن هو ؟ فناده ذلك الرجل : أيها المتكلم ممن تكون ؟ فقال : ه
أنا رجل من الأزد من أهل الكوفة ، وأنا ابن عم سراقه البارقي ، وأيم الله
أني لخائف أن أبتلى الفتنة .

قال : فلما أصبح المهلب عبي أصحابه للحرب ، دنا من باب جيرفت ،
و بلغ ذلك عبد ربه رئيس الأزارقة فقام فيهم خطيبا ، فحمد الله و أشنى
عليه ثم قال : يا معشر المهاجرين ! إن قطري بن الفجاءة عبيدة بن هلال ١٠
و عمرو القنا و شيعتهم إنما هربوا رجاء البقاء ، و ليس إلى البقاء من
سبيل و قد زحف^١ إليكم القوم ، و هؤلاء قوم بخدم و حديثهم ، فان
غلبوكم على الحياة فلا يغلبوكم على الموت ، فانظروا أن لا يبقى^٢ الرماح
إلا بالنحور و السيوف إلا بالوجوه ، و تعجلوا إلى قبل أحداث هذه الدنيا ،
و هوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة ، و لا تيئسوا من النصر ، ١٥
فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و الله مع الصابرين .

قال : فخرجت الأزارقة مستميين^٣ و قد عزموا على الموت . و دنا^٤

(١) في الأصل : زحفوا .

(٢) في الأصل : لا يبقوا .

(٣) في الأصل : مستميتون .

(٤) في الأصل : دنوا .

القوم بعضهم من بعض ، ثم أقبل رجل من الأزارقة حتى وقف بين
الجمين ، قال : و جعل يرتجز ويقول :

إن كان قد فارقنا عبيده و قطرى ذو المدى البعيدة

فعبد رب حمزه عبيده و شوكة و كيدته شديده

٥ قال : ثم حمل على أصحاب المهلب فكبا به فرسه فسقط إلى الأرض .

فأخذ أسيرا و أتى به إلى المهلب حتى وقف بين يديه ، فقال المهلب :

اضربوا عنقه ! فقال : أيها الأمير ! أنا ابن عم لك ، أنا رجل من الأزد

من بارق ، و أنا صاحب الشعر البارحة . قال : نخلى عنه المهلب و لم يقتله .

و اختلط^٢ القوم فاقتلوا قتالا شديدا ، و صاح عبد ربه بأصحابه : يا معشر

١٠ المهاجرين ! روحوا إلى الله فان القوم راحون إلى النار . قال : فعندها

كلبت الأزارقة و اشتد القتال ، و نزل / عبد ربه عن فرسه فكسر جفنه^٣

ب / ٨٧

سيفه ، و نزلت معه الأزارقة و كسروا جفونه سيوفهم ، و عزموا على

الموت . و نادى المهلب بأصحابه : يا معشر المسلمين ! إن هذا يوم له ما

بعده من الأيام و بصبركم أمس بلغتم اليوم ، و بصبركم اليوم تبلغون غدا .

١٥ قال : و كثرت القتلى في الأزارقة و عضهم السلاح و كأنهم كاعوا عن

الحرب ، و نظر المهلب إلى ذلك ، فجمع أولاده و أبطال أصحابه ، ثم حمل

(١) في الأصل : اوتى .

(٢) في الأصل : و اختلطوا .

(٣) في الأصل : حقن .

(٤) في الأصل : حقون .

و حملوا معه ، فقتل عبد ربه و قتل معه قريب من أربعة آلاف رجل
 في ربضة واحدة ، و سالت دماؤهم إلى وادي جيرفت حتى احمر ماء الوادي ،
 و بقي الباقون بلا نظام فولوا هارين ؛ فمنهم من دخل إلى مدينة جيرفت ،
 و منهم من استأمن إلى المهلب فأمنه ، و منهم من هرب على وجهه
 في البلاد . و دخل المهلب إلى مدينة جيرفت فاحتوى على ما كان فيها
 من أمتعة الأزارقة و دوابهم و سلاحهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم ؛
 فأنشأ كعب بن معدان الأشعري يقول في ذلك أبياتا مطلعها :
 ألم يأتها أن الأزارق شرذوا . و صارت عليهم في البلاد الفصائح
 إلى آخرها .

قال : ثم جمع المهلب غنائم الأزارقة فجعل يقسمها في أصحابه على أقدارهم
 و مراتبهم ، ثم أقبل حتى نزل في أصل شجرة في موضع سوق جيرفت
 و قال : يا غلام ! خذ عني سلاحي ، قال : فزرع الغلام درعه و خفيه ، و علق
 سيفه على الشجرة ، ثم مذر جلبيه و قال : الحمد لله الذي ردنا إلى ما كنا
 عليه من الخفض و الدعة ، فإنه ما كان عيشنا بعيش ؛ فأنشأ رجل من
 أصحابه و هو يقول في ذلك أبياتا مطلعها :
 ١٥

لقد نس منا عبد رب و جنده عتاب فأمسى سيدهم في المقاسم
 إلى آخرها . قال : ثم رفع رأسه فاذا بقوم بين يديه لا يعرفهم ، فعلم

(١) في الأصل : الأشعري .

(٢) هو الطفيل بن عامر بن وائلة - انظر الطبري ٢٧٣/٧ و ابن الأثير ٢١٤/٤ .

(٣) الأبيات في الطبري و ابن الأثير :

مما لهم بالبحيش حتى أراحهم بكرمان عن مشوى من الأرض ناعم

أنهم من الأزارقة فاتقاهم على نفسه أن يفتكوا به ، فتبسم ثم قال : ما أشد عادة السلاح ، يا غلام ! رد على درعي وهات خفي ، قال : فأتى بدرعه فأفرغ عليه ، ومدّ خفيه في رجله ، و تقلد سيفه ، ثم قال :

/ إنى أرى وجوها ما أعرفها ، ثم قال لأصحابه : خذوهم ! فأخذوهم ،

٨٨ / الف

وقال لهم المهلب : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم من الأزارقة ، غير أننا

عجزنا عن قتالك فاجتمعنا على قتلك في وقتنا هذا . قال : فضحك المهلب

ثم قال : أجل ما أردتم ما لم يرده الله ، فاختروا الآن واحدة من

اثنين : القتل أم التوبة ؟ فقالوا : بل التوبة ! فأوهمهم المهلب لقوم من

عشارهم^٢ ، فأنشأ رجل منهم يقول آياتا مطلعها :

١٠ خلونا وقلنا للمهلب غرة فاعجلنا لما رأنا المهلب

إلى آخرها .

قال : ثم دفع المهلب كل جريح من الأزارقة إلى عشيرته فقال

داووه فاخلطوه بأنفسكم ، ومن رابكم أمره فاعرضوه على السيف .

= وما فطرى الكفر إلا نعمة طريد يبدوى يله غير نائم

إذا فر منا هاربا كذب وجهه طريقا سوى قصد الهدى و المعالم

فليس ينجيه الفرار وإن جرت به الفلك في لبح من البحر دائم

(١) في الأصل : فأتى .

(٢) في الأصل : لم يرئده .

(٣) في الكامل للبرد ص ٦٩٤ : فأمر بهم فقتلوا .

(٤) في الأصل : امره .

قال

قال : ثم جمع المهلب الأموال فسرحتها مع غلبانه إلى البصرة و أقام بحيرفت حتى أعطى حقوقهم ، ثم قام في الناس خطيبا فحمد الله و أشنى عليه و قال : أيها الناس ! أما ما مضى من جباية الأموال فقد كان لي دونكم من حقوقكم على الولاية ، و أما ما بقي الآن فهو لكم دوني ، و ليس أحد منكم أتلى بلاء حسنا إلا و ما ادخر الله له في الآخرة خير له من هـ ثواب هذه الدنيا ، فإياكم و الحرص ! فان الحرص يضر بالرزق ، و إياكم أن تمنوا على ربكم بالذي كان من جهادكم ! فان المن يحبط الأجر - و السلام .

ذكر كتاب المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج

بعد فراغه من الأزارقة

قال : ثم دعا المهلب برجل يقال له بشر بن مالك الحرسي فأرسله ١٠ إلى الحجاج بالفتح بشيرا ، و كتب معه كتابا : إلى الحجاج بن يوسف من المهلب بن أبي صفرة ، أما بعد ، فالحمد لله الكافي بالإسلام الذي أوصل الشكر بالمزيد ، و قضى أن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده ، ثم إنه قد كان من أمرنا و أمر عدونا ما انتهى إلى الأمير خبره مع كل ذي صباح و مساء ، و قد كانت مني إلى الأزارقة مطاولة ظن ١٥ الأمير أيده الله أني جيت بهم البلاد ، و امرى أني الذي جيت به

(١) كذا في الأخبار الطوال ص ٢٧٩ و مروج الذهب ٢ / ١٤٨ إلا أن فيه « الحرشي » ؛ و في جمهرة الخطب ٢ / ٣٨٦ : مالك بن بشير ؛ و في الكامل للبرد ص ٦٩٤ : « وجه المهلب كعب بن معدان و صبرة بن قليد الأزدي من أزد شنوءة على الحجاج » انظر جمهرة الخطب أيضا .

الأزارقة بنا لا كبر مما جبيناه بهم ١ و إن كنا قد نلناه منهم ما لم ينالوه
 منا، / وقد كان^١ الناس قد رعبوا منهم^٢ رعباً شديداً، حتى روعت
 بهم الفتاة الكعاب، و نؤم بهم الصبي الرضيع،^٣ و أدنيت السواد^٤ من
 السواد حتى تعارفت^٥ الوجوه، و حتى رغب^٦ الناس من النبل إلى الرماح،
 و عن الرماح إلى السيوف؛ و انتهزت^٧ من الناس الفرص و أخذت منهم
 الثياب، و كنت كالطبيب للمريض الذي يحمله بما يشتهي و يسقيه بما يكره،
 و قد وليت^٨ قتالهم رجالاً^٩ من قبلي، فأخطأوا الورد و اظلمأوا الصدر،
 فعارهم قلائد في أعناقهم إلى يوم القيامة، فلم نزل^{١٠} و عدونا على حالتين
 مختلفتين ما يسوءهم منا دون ما يسرهم، و ما يسرهم منا دون ما يسوءنا منهم،
 حتى وقع فيهم الاختلاف و الجوع، فلم يزل بهم ذلك و أصابهم البلاء،
 و هرب منهم أهل الخنى و السفاهة، و أقام^{١١} أهل الحياء و الدين فاتقوا
 العار و تواصلوا بالصبر، و أخذنا ما أخذوا به، و كنا أولى به منهم.

(١) في الأصل : كانوا .

(٢) في الأصل : منه .

(٣-٤) في الأصل : و ادنيت سوادا - كذا . و التصحيح من الكامل للبرد

ص ٦٩٥ .

(٥) من الكامل للبرد ، و في الأصل : تفارقت .

(٦) في الأصل : رعبوا .

(٧) في الأصل : رجال .

(٨) في الأصل : فلم يزل ، و التصحيح من الكامل للبرد .

(٩) في الأصل : اقاموا .

فلم يزل الله تبارك تعالى يمحصنا و يمحقهم، و ينصرنا و يخذلهم، حتى بلغ بنا و بهم الكتاب أجله " فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين "، و السلام عليك و رحمة الله و بركاته . قال : ثم طوى الكتاب و دفعه إلى بشر بن مالك بن لبيد الحرسي و قال : اعلم بأنك ترد على الحجاج من قد علمت، فإذا وقفت بين يديه فانظر كيف تكون . فقال : هـ كفيت أصلح الله الأمير .

ذكر الرسول و كلامه بين يدي الحجاج

قال : ثم رحل بشر بن مالك حتى قدم على الحجاج، فوقف بين يديه و سلم ثم ناوله الكتاب، فلما قرأه الحجاج بن يوسف رفع رأسه إليه فقال : كيف المهلب؟ فقال : بخير أصلح الله الأمير ا قد نال ما رجا، و أمن ما خاف؛ فقال الحجاج : الحمد لله، فكيف كان أمركم من عدوكم؟ قال : كنا إذا لقيناكم بحدنا و حدم أيسوا منا و طمعنا فيهم؛ قال الحجاج : أجل، إن العاقبة للمتقين، فكيف كان بنو المهلب في الحرب؟ فقال : كانوا كفاة السرح بالليل، و ليوث الوغى بالنهار؛ قال الحجاج : فأين المهلب من بنيه؟ قال : فضله عليهم كفضلهم / على غيرهم، قال : ١٥ / الف / أجل، لأنهم خلقوا منه و لم يخلق منهم، قال : فكيف فاتكم قطرى بن الفجاءة؟ قال : كادنا بعض ما كدناه به^٢ . قال الحجاج : صدقت، فأى

(١) سورة ٦ آية ٤٥ .

(٢) في الأصل : كانوا .

(٣) في الكامل للبردص ٦٩٥ : « كدناه ببعض ما كادنا به، فصرنا منه إلى الذي نحب » .

بنى المهلب أفضل؟ قال: ذلك إلى المهلب^١. قال الحجاج: فكيف الجند؟
 قال: أرضاهم الحق و أغناهم النفل؛ قال الحجاج: فكيف رضاهم بالمهلب؟
 فقال: لهم منه إشفاق الوالد،^٢ وله منهم بر الولد^٣؛ فقال الحجاج: أخبرني
 أكنت هيات هذا الكلام الذي أسمعه منك؟ فقال: كلا أيها الأمير
 إنه لا يعلم الغيب إلا الله^٤ قال: فتبسم الحجاج ثم التفت إلى كاتبه عنبة
 ابن سعيد فقال: هذا والله^٥ الكلام الخوولي^٦ لا ما تجيء به أنت و أصحابك.
 قال: ثم أقبل عليه الحجاج فقال: هل تقول الشعر؟ قال: نعم أصلح الله
 الأمير و أنا القائل:

قد حسن أداء الأزارقة الدهر^٧ فأمسوا كعادها و^٨ ثمود

١٠ و أصبنا مع المهلب ما كا^٩ نء تمنى من رأيه المحمود

(١) في ابن الأثير ٢١٤/٤: «و سير المهلب إلى الحجاج مبشرا، فلما دخل عليه
 أخبره عن الجيش و عن الخوارج و ذكر حروبهم، و أخبره عن بني المهلب،
 فقال: المغيرة فارسهم و سيدهم، و كفى يزيد فارسا شجاعا، و جوادهم و سخيمهم
 قبيصة، و لا يستحى الشجاع أن يفر من مدرك، و عبد الملك سم نافع، و حبيب
 موت زعاف، و محمد ايث غاب، و كفاك بالفضل نجدة. قال: فأيهم كان
 أنجده؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها. فاستحسن قوله. انظر الكامل
 للبرد ص ٦٩٤ أيضا. (٢-٢) في الأصل: لهم منه بر الوالد.

(٣-٣) في الأصل: الكلام الخوولي - كذا.

(٤-٤) في الأخبار الطوال ص ٢٧٩: فأضخوا طرا كال.

(٥) ليس البيتان الآتيان في الأخبار الطوال.

لم يضر ذاك بالوعيد ولا الكذب ولم يضر المدو وعيد
 لكن الضرب في العجاجة بالبيض وطمع بشيب رأس الوليد
 كل يوم يثور في عالي النقع أسود مخلوقة لاسود
 كلما شئت راعى قطرى فوق عبل الشوى أقب عنود
 مزبدا يضرب الكتيبة بالسيف وعمرو القنا على الصيخود
 وأخوة عبيدة بن هلال كاهمام المتوج الصنديد
 فاذا ما لقيتهم برد الخلد على منيتي و أى برود
 ثم لا ينثنى الخيدود ولما بل سيفي من ضربة الأخدود
 إن بشرا ومعبدا ومرادا و كيعا وانصب كانوا شهودى
 ثم لا أنطق الحديد بحرف من فعلى ليس الفعال بمودى
 أو يقول الأناص^١ أحس و الله لبشر^٢ بن مالك بن لبيد^٣

(١-١) في الأخبار الطوال : بطعان الحكمة في ثمر القوم و ضرب .

(٢) ليس البيت في الأخبار الطوال .

(٣-٣) من الأخبار الطوال ، و في الأصل : سبب داعى - كذا .

(٤) البيت في الأخبار الطوال :

معلمها يضرب الكتيبة بالسيف وعمرو كالنار ذات الوقود

(٥) الأبيات الآتية ليست في الأخبار الطوال .

(٦) في الأصل : أخو .

(٧) في الأصل : الناس .

(٨) في الأصل : بشر .

(٩) في الأصل : سليد - كذا ؛ و قد سبق أن اسم جد البشر لبيد - انظر ص ٧٣ .

نلت هذا مع المهلب إني واثق ما شكرته بمزيد
كلنا عنده كبعض بيده في سؤال لنا عن المفقود
/ : يداوى جريحنا بيديه ثم يكفى وليمة المولود
كل خير يقوله الناس فيه من بلاء و نائل محمود
يجد الناس مثل من فقدوه غير ذا الشيخ ليس بالموجود

ب / ٨٩

قال : فلما فرغ بشر بن مالك هذا من نشيده أمر له الحجاج بعشرة آلاف
درهم و فرس و درع و غلام و جارية ، ثم كتب إلى المهلب .

ذكر كتاب الحجاج إلى المهلب

أما بعد ، فإن الله تبارك و تعالى قد صنع لك و صنع بك خيرا .
١٠ و قد كانت مني إليك ظهيرة ، و دعاني إليها لجاج الحرب و تعجيل
الفراغ ، و أنت كنت أعلم بما يليك مني ، و قد تيقنت من رأى البركة
بحمد الله و منه ، و قد فرغ الله بك من عدوك ، و علت يداك على ما كنت
عليه ، فأما قطرى بن الفجاءة و عبيدة بن هلال و عمر و القنا و فلهم فنحن
نكفيهم إن شاء الله . فانظر إن كان في القوم بقية تخافها على البلاد فأوقف
١٥ لها خيلا تكون بازائها ، و استخلف على القوم أجرا ولدك و أمضاهم
عزيمة ، و اقدم إلى علي بركة الله و عون ، و ليكن معك بنوك و فرسانك ،
و لا تأذن لأحد منهم بالانصراف حتى تقدم بهم علي إن شا الله - و السلام .

(١-١) في الأصل : اجراء احدي - كذا .

(٢) في ابن الأثير ٢١٤/٤ : « كتب إلى المهلب يشكره و بأمره أن يولى كرمان

من يثق إليه و يجعل فيها من يحميها و يقدم إليه » .

قال: فلما ورد كتاب الحجاج على المهلب دعا بابنه يزيد فاستخلفه على بلاد کرمان، و قال: يا بني اعلم قد كان بالأمس لك، اليوم لغيرك، و ليس بسط يديك فيما تملك كبسطها فيما لا تملك، و اعلم يا بني أنه إنما لك من بلاد کرمان ما فضل عن الحجاج، و أنك لن تحتل إلا ما يحتل أبوك، و قد رأيتني يا بني في أيام مصعب بن الزبير و أنا لا أطلب بدرهم واحد فما سواه فكن يا بني كذلك، و اعلم أن بلاد کرمان ليست لك و لا لأبيك بميراث، و انظر من تخلف معك من قومك فأحسن إليهم بقدر حاجتك إليهم، و إن رابك أمر من الأمور فرده إلى - و السلام.

قال: ثم تجهز المهلب و سار حتى قدم على الحجاج في بنيه و فرسان أصحابه و شجعانهم، فلما دخل و سلم رد الحجاج عليه السلام / ثم قربه ١٠ / ٩٠ الف و أدناه و أجلسه معه على فراشه، فقال المهلب: أيها الأمير! أحمد الله على هلاك هذا العدو حمد من يعلم أن النعمة منه و أن الحمد له^٢، و أشكره شكر الموجب لك به المزيد، و بهيئتك به النعم، فلسنا نحن على الله عز و جل و لا على الناس خيرا كان منا، بل لله المن علينا - و السلام. قال الحجاج: أحسنت أبا سعيد! أتيت بكلام قليل في إيجاز، ١٥ و قد قضيت ما عليك و بقي ما علينا، و لكني أحب أن تعرض علي فرسانك الذين كانوا يملون بين يديك. قال: فجعل المهلب يعرض على الحجاج فارسا بعد فارس و يسميه له باسمه و يخبر بنجدته و شجاعته،

(١-١) في الأصل: و من رأى بك.

(٢) في الأصل: عليه.

حتى عرض عليه ستمائة و عشرون رجلا كل رجل منهم يعد بألف رجل . قال : فأمر الحجاج لكل واحد من هؤلاء الأبطال بجائزة سنوية و أمر لسائر الجند بألف ألف درهم . ثم عقد للمهلب عقدا و وآاه بلاد خراسان و عزل عنها أمية بن عبد الله .

٥ ذكر ولاية خراسان للمهلب بعد فراغه من حرب الأزارقة

قال : فسار المهلب حتى دخل أرض خراسان في عسكر لجب و نزل مدينة مرو ، ثم جعل يغزو الكفار غزوا متداركا لا يفتر من الجهاد ، فحبل له بسمرقند ، و أخرى بينخارا ، و أخرى بلخ ، و أخرى بطخارستان^١ ، و أخرى ببست^٢ ، و كلها فتح فتحا أخرج من ذلك الخمس ؛ فوجه به إلى الحجاج و قسم باقي الفئ^٣ في أصحابه . قال : و فرح^٤ أهل خراسان بولاية المهلب بن أبي صفرة عليهم فرحا شديدا .

(١) في الأصل : بخارستان - كذا ؛ و التصحيح من معجم البلدان ٦ / ٣١ ، و به « هي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا و السفلى ، فالعليا شرقي بلخ و غربي نهر جيحون و بينها و بين بلخ ثمانية و عشرون فرسخا . و أما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ و أضرب في الشرق من العليا » .

(٢) في معجم البلدان ٢ / ١٧٠ : « بست مدينة بين سجستان و غزني و هراة ، و أظنها من أعمال كابل ، فان قياس ما نجده من أخبارها في الأخبار و الفتوح كذا يقتضى » ؛ و في الأصل « بشت » - كذا .

(٣) في الأصل : فرحوا .

ذكر مسير سفیان بن الأبرد الكلبي

لما بعث به الحجاج إلى حرب من انفلت من الأزارقة

قال: ودعا الحجاج برجل يقال له سفیان بن الأبرد الكلبي فضم

إليه جيشا عظيما من أهل الشام و أهل العراق، و أمره أن يطلب قطري

ابن الفجاءة و أصحابه حيث كانوا من بلاد الله . قال: فسار سفیان بن ٥

ابن الأبرد من العراق حتى قدم مدينة الرى فنزلها، و قطري بن الفجاءة

يومئذ بطبرستان / قد تغلب عليها فأخذها و جعل يجبي خراجها . قال: ٩٠ / ب

فسار إليه سفیان بن الأبرد في جيشه ذلك، فبلغ ذلك قطري بن الفجاءة

فجمع إليه أصحابه من الأزارقة و من التأم إليه من أهل البلد، و دنا

القوم بعضهم من بعض فاقتلوا قتالا شديدا . قال: و كان تحت قطري ١٠

ابن الفجاءة بردون له أشهب، فكبا به البرذون فسقط قطري و سقط

عليه البرذون، فكسر نخذه و أحاطت به الخيل من كل جانب، فقال

لهم قطري بن الفجاءة: يا فساق يا فجارا هلموا فهذه إربتكم التي كنتم

تطلبون ا قال: فبرز إليه رجل يقال له باذام^٢ مولى عبد الرحمن بن محمد

ابن الأشعث فضربه ضربة اتقاها قطري بيده، فنكى السيف في قطري ١٥

فرمى بها، ثم ضربه أخرى فسقط قطري على قفاه، فتقدم إليه باذام

(١) في الأصل: دنوا .

(٢) في الطبري ٧ / ٢٧٥: بادام؟ و في ابن الأثير: باذان .

فقتله واحترز رأسه .

قال : و عطفت الخيل على أصحابه و فيهم عمرو القنا و صالح بن مخراق و فرسان من الأزارقة ، فلم يزالوا يقتلون حتى قتلت الأزارقة بأجمعها في معرك واحد ، فما انفلت منهم إلا رجل واحد يقال له قيس ابن الأصم الضبي و هو الذي يقول أبياننا مطلعها :

صلى الإله على قوم شهدتهم كانوا إذا ذكروا و ذكروا شهقوا إلى آخرها .

قال : ثم أمر سفيان بن الأبرد برأس قطري بن الفجاءة و رأس عمرو القنا و صالح بن مخراق و رؤس القوم بأجمعهم ، فجمعت و علقت في أعناقهم و آذانهم الرقاع . بعث بها إلى الحجاج و كتب إليه بخبره مع القوم .

قال : ثم سار سفيان بن الأبرد في أصحابه حتى صار إلى قومس ، و نزل على ذلك الحصن الذي فيه عبيدة بن هلال ، فأنشأ عبيدة بن (١) في قاتل قطري اختلاف لأن جماعة جاءت إلى قطري ، منهم سورة بن أبحر التميمي و جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف و الصباح بن محمد بن الأشعث و بادام مولى بني الأشعث (و في ابن الأثير : باذان مولاهم) و عمر بن أبي الصلت ابن كذا مولى بني نصر بن معاوية و هو من الدهاقين و قتلوه ، فكل هؤلاء ادعوا قتله - انظر الطبري و ابن الأثير .

(٢) في الإصل : الأذان .

(٣) في الأصل : قومس .

هلال يقول :

ذكرت الصغير و أشياعه فيا لك هما إلينا سرى

فيا ليتنى قبل هذا الحصار ثوبت بحيرفت فيمن ثوى

ونحن من الخيل ذو منعة أجش هزيمًا إذا ما جرى

/ قال : فلما طال الحصار على عبيدة بن هلال و أصحابه بقومس^٢ ركب • ٩١/ الف
سفيان بن الأبرد الكلبى ذات يوم و دنا من الحصن فى نفر من أصحابه ،
ثم قال : يا معشر الأزارقة ! حتى متى و إلى متى هذا الحصار ؟ و أنتم قوم
عرب تكرهون العار ، اعلبوا أنه لا أمان لأحد منكم عندى إلا من
جاء برأس عبيدة بن هلال و أخيه و ابن عمه ، قال : فكاد^٣ القوم يثبوا
بعضهم على بعض لما فيهم من الجوع و الجهد . قال : و أقبل عبيدة بن ١٠
هلال حتى أشرف من الحصن على سفيان بن الأبرد و أصحابه ، فقال :
يا أهل الشام ! يا عبيد من غلب ! يا بقية الأحزاب ! اجتمعوا إلى ! فدنا^٤
الناس من الحصن ، فقال : أيما أحب إليكم : أقرأ القرآن أم أنشدكم
الشعر ؟ فقالوا : أما القرآن فقد حفظناه يا عبيدة بن هلال و لكن أنشدنا
شيئا من شعرك . فقال عبيدة : يا فسقة يا فجرة يا كفره ! أنتخارون ١٥
الشعر على القرآن ، يا عبيد عبد الملك بن مروان و الحجاج دهمان ! قال :
ثم أنشأ يقول :

(١) فى الأصل : هزيم .

(٢) فى الأصل : بقومص .

(٣) فى الأصل : فكادوا .

(٤) فى الأصل : فدنوا .

إلى الله أشكو^١ ما أرى^٢ بجيادنا
 فان يك أفاها الحصار^٣ فرما
 قتل عزيز في العشيرة فقده
 تعاورها القذاف^٤ من كل جانب
 وقد كن مما أن^٥ "برين بغبطة"^٦
 "فيا نفس صبرا"^٧ كل ما حتم^٨ واقع^٩ وليس إلى ما تعلمين سبيل

(١) في المؤلف والمختلف للآمدى ص ١٥٤ : نشكو .

(٢) في الطبرى ٢٧٥/٧ وابن الأثير ٤/١٥٠ : ترى . وفي المؤلف والمختلف : ترى .

(٣) في المؤلف والمختلف : «التساوك : مشى فيه إبطاء و رداة من الهزال والضر» .

(٤) من الطبرى وابن الأثير والمؤلف والمختلف : وفي الأصل : بزهن .

(٥) في المؤلف والمختلف : الحصار .

(٦) في المراجع : فيما .

(٧) ليس البيت في الطبرى وابن الأثير والمؤلف والمختلف .

(٨-٨) من الطبرى وابن الأثير ، وفي الأصل : فادرها العدا . وليس البيت

في المؤلف والمختلف .

(٩) في الأصل : بقومص .

(١٠) في الطبرى وابن الأثير : ذلول .

(١١) في المؤلف والمختلف : قد .

(١٢-١٢) كذا في المؤلف والمختلف ، وفي الطبرى وابن الأثير : يقدن على الوجى .

(١٣) من المراجع المذكورة . وفي الأصل : القتال .

(١٤) ليس البيتان الآتيان في الطبرى وابن الأثير والمؤلف والمختلف .

(١٥-١٥) في الأصل : بجهاجم .

وقومى إلى دروازق الحصن فانظرى إلى خندق فيه الحصار طويل
 لعمري لئن أعطيتُ سفيان يعنى وخالفت ربي إنسى لجهول
 قال: ثم أمر عبيدة بن هلال بباب الحصن ففتح، ثم خرج فى أصحابه
 إلى سفيان بن الأبرد وأصحابه، فاقتلوا قتالا شديدا على باب الحصن ساعة،
 ثم نزل عبيدة بن هلال عن فرسه فعرقه وكسر جفن سيفه وترك
 أصحابه ففعلوا كذلك، فلم يزل يقاتلون / قتال قوم قد أسوا من الحياة
 حتى قتل عبيدة بن هلال وأصحابه كلهم فى معركة واحدة، فأنشأ بعض
 الخوارج يقول أياتا مطلعها:

ذكرت الشراة الصادقين* وقد فنوا وذكّرني أهل القران السدور*

إلى آخرها. قال: ثم أمر سفيان بن الأبرد برأس عبيدة بن هلال ١٠

(١) أصله دروازه، يراد به باب المدينة - انظر معجم البلدان ٤ / ٥٥٠ .

(٢-٢) فى الطبرى وابن الأثير: فارقت دينى. وليس البيت فى المؤلف والمختلف.

(٣) فى الأصل: فلم يز الواء.

(٤) هو قيس بن الأصم كما فى معجم البلدان ٥ / ٥٦٠ .

(٥) فى المعجم ٥ / ٥٧: الصالحين .

(٦) سدور موضع بقومس التجا إليه الخوارج وأميرهم عبيدة بن هلال بعد

مهلك قطرى بن الفجاءة بطبرستان - المعجم ٥ / ٥٦٠ .

(٧) الأبيات فى المعجم .

بقومس فارفضت من العين عبرة يجود بها ريعانها المتحصن

فقلت لأصحابى قفوا حين أشرفوا قليلا لى نيكى ونوفى وننظر

إلى بلد الشارين أخص عظامهم تضمونها من أرض قومس أنصر

و رؤس أصحابه، فجمعت و رجعت إلى الحجاج، و وجه بها الحجاج إلى عبد الملك بن مروان .

قال : و كان حرب الأزارقة من أول أمرهم و خروجهم إلى أن أبادهم الله تبارك و تعالى، و فرغ من حربهم ثمان عشرة سنة -
 ٥ و الله أعلم .

ذكر خروج شبيب بن يزيد و ما كان من أمره و خروجه على الحجاج

قال : فلما كان بعد ذلك بمدة قليلة خرج رجل من بني شيبان^٢ يقال له^٣ شبيب بن يزيد حتى صار إلى دمشق و كان يرى رأى الشراة،
 ١٠ فنزل على رجل من أشرف دمشق يقال له روح بن زنباع الجذامي؛ فقال روح : بمن الرجل ؟ قال : رجل من بني شيبان ثم أحد بني مرة، و لي شرف و قدر و طاعة في قومي، و قد فرغت إليك، فان رأيت أن تكلم لي أمير المؤمنين أن يفرض لي فرضا و أكون في ناحية فعلت منعا^١ قال روح : أفعل ذلك و كرامة لك . ثم أقبل روح حتى دخل
 ١٥ على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ا عندى رجل من بني شيبان و له شرف و قدر في قومه، فان رأى أمير المؤمنين أن يلحقه بقومه و بغيره من أهل الشرف فعل منعا . فقال عبد الملك بن مروان : يا أبا زرعة ا إني لا أكره أن أفرض لأحد من أهل بالشام فرضا

(١) في الأصل : حروبهم .

(٢) في الأصل : سفيان ، و التصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٧ .

(٣) زيد في الأصل : يزيد بن - خطأ . (٤) موضع النقاط بيض في الأصل .

لأن رأيهم رأى الخوارج ، ولكن هل سألت هذا الرجل عن نسبه ؟
 فقال : نعم يا أمير المؤمنين - يذكر أن نسبه كذا وكذا ، فقال عبد الملك
 ابن مروان : ما أعرف هذا النسب . قال : فرجع روح بن زنباع إلى شبيب
 فقال : إني قد ذكرت لأمير المؤمنين و ذكرت / له نسبك ، فذكر أنه
 لا يعرفك ؛ فقال شبيب : أرجو أن يعرفني بعد هذا اليوم إن شاء الله !
 قال : ثم خرج شبيب حتى قدم العراق ، وكان له منزل بالكوفة ، فأرسل
 إلى امرأته وأمه فانتخبهما إليه ، و جعل يبعث إلى قبائل العرب فيدعوهم
 إليه و يوعدهم الغارة ، فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه جيش لجب .
 قال : و بلغ ذلك الحجاج فوجه إليه برجل من أهل الشام يقال له
 عبدة بن مخراق القيني في ألف فارس فهزمه شبيب و قتل عامة رجاله ؛
 ثم وجه إليه برجل يقال له يزيد بن هيرة المحاربي في ألفي فارس فهزمه
 شبيب و قتل عامة أصحابه ؛ ثم وجه إليه بعبد الرحمن بن محمد بن
 الأشعث بن قيس الكندي فهزمه شبيب و أتى على أصحابه ؛ ثم وجه إليه
 بزحر بن قيس الجعفي فهزمه هزيمة قبيحة و قتل من أصحابه جماعة ؛ و انفلت
 زحر بن قيس و به ثمانون طعنة و ضربة واحدة و أنه ليحمل في القطن ؛
 ثم وجه إليه بعتاب بن ورقاء التميمي فقتله شبيب و هزم أصحابه ؛ ثم وجه
 إليه بالطهمان مولى آل بني معيط^٢ فقتله شبيب ؛ فوجه إليه الحجاج بمولى

(١) في الأصل : فانتخبهم .

(٢) زيد في الأصل : بزحر بن قيس الجعفي و - لعنه من سهو الناسع ، و سيأتي
 بعد ؛ ثم وجه إليه بزحر بن قيس الجعفي .

(٣) في سمط النجوم العوالي ٣ / ١٥٥ : طهمان مولى الحجاج .

له يقال له أبو الورد فقتله شبيب؛ ثم وجه إليه زياد بن عمرو العتكي فهزموه شبيب وقتل عامة أصحابه؛ ثم وجه إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب؛ ثم وجه إليه برجل يقال له الطرس مولى بني تميم فقتله شبيب؛ كذلك أربع سنين كاملة يهزم عساكر الحجاج ويقتل رجاله.

قال: وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، ثم كتب إلى الحجاج بأمره أن يخرج إليه بنفسه. قال: فعندها خرج الحجاج من الكوفة في عسكر لجب حتى نزل بموضع يقال له السبخة^٢. وبلغ ذلك شيبا فسار / إليه في جيشه ذلك فلم يشعر الحجاج إلا وخيل شبيب قد وافقه وهم يقولون: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون نحن المطالبون بدماء الأزارقة. قال: ثم وضعوا السيف في أصحاب الحجاج، فقتل منهم نيف عن مائة رجل وانهزم الباقون مع الحجاج حتى دخل الكوفة؛ ورجع شبيب بأصحابه حتى نزل مدينة الأنبار.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين الغوث الغوث! فان شبيب بن يزيد قد هتك الحرم، وأيتم الأولاد، وأرمل الأزواج. قال: فوجه إليه عبد الملك بن مروان بألف رجل من أهل الشام. قال: وبلغ الخبر إلى شبيب بأن الحجاج قد وافقه الجيوش من

ب/٩٢

(١) في الأصل: عبد الله - والتصحيح من الطبري ٧/٢٣٦.

(٢) كذا في الأصل، وليس ذكر مولى بني تميم في الطبري وابن الأثير.

(٣) في الأصل: سحبه - كذا بلا نقط - هو التصحيح من الطبري وابن الأثير.

(٤) زيد في الأصل: و.

أهل الشام في أربعة آلاف فارس ، فأقبل على أصحابه فقال : ما الرأي
 عندكم الآن ؟ فقالوا : الرأي رأيك يا أمير المؤمنين ! قال : فاني رأيت
 أن أكبس الكوفة الليلة لنا أم علينا ؛ فقال^٢ أصحابه : هانحن معك ،
 فافعل ما أحببت . قال : فاعلفوا إذا خيلكم وحشوها واسقوها ، ففعلوا
 ذلك . ثم ركب شيب وركب^٣ معه أصحابه ، وأقبل نحو الكوفة ومعه أمه^٤ .
 يقال لها الجهيزة في امرأة من نساء الخوارج ومعه أيضا امرأته^٥ . قال :
 وكانت غزاة من سبي أصفهان ، فأقبلت غزاة ومعهما خمسون امرأة من نساء
 الخوارج . قال : فسار شيب أيضا في عسكره ومعه مائتان وخمسون امرأة
 من نساء الخوارج ، قد تقلدن بالسيوف وفي أيديهن الرماح ؛ وقد ذكر
 ذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي في شعره حيث يقول أبياتا مطلعها :
 أبي القاسطون من أهل العراق على الله في الحرب إلا قسوطا
 إلى آخرها . قال : فكبس شيب بن يزيد الكوفة ليلا وقد هدأت العيون
 فلم يكذب أن دخل المسجد الأعظم ، فدعا بأمه وامراته فأقدهما
 على المنبر ، ثم وضع السيف في أهل المسجد من المصلين والحرس

(١) في الأصل : البس - كذا .

(٢) في الأصل : فقالوا .

(٣) في الأصل : ركبوا .

(٤) في الأصل : امرأة ، والصواب ما أثبتناه - انظر جمهرة أنساب العرب

ص ٣٠٨ و تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٧٤ .

(٥) و اسم امرأته غزاة ، وفي الأصل : أمه - خطأ .

(٦) في الأصل : فاقدمهم .

فقتلوا بأجمعهم ، و هو يقول : يا عدو الله ابا ابن أبي رغال / يا أختامودا
 اخرج إلينا . و الحجاج يقول لغلمانه : لا تكلموهم ، فعمل الله أن يكفينا
 أمرهم . قال : و قد ذكر ذلك رجل من الخوارج^١ حيث يقول :
 لعمرى لقد نادى شيب و محبته على الباب لو أن الأمير يجيباً
 ه فابلغ أمير المؤمنين نصيحة^٢ و ذو النصح لو يرضى^٣ إليه قريب
 أ تذكر إذ دارت عليك رماحنا^٤ يمكن^٥ و الكلي ثم غريب
 فلا صلح ما دامت منابر أرضنا^٦ يقوم عليها من ثقب خطيب
 فانك إن لم ترض^٧ بكر بن^٨ وائل يكن لك يوم بالعراق مصيب
 فلا ضير إن كانت قريش عداتنا^٩ يصيبون منا مرة و نصيب^{١٠}
 فان بك منكم^{١١} كان مروان و ابنه و عمرو و منكم^{١٢} هاشم و حبيب

(١) هو عتبان بن أصيلة - و يقال وصيلة - الشيباني ، كما في معجم الشعراء
 ص ٢٦٦ ، و في تاريخ الإسلام للذهبي ٣/١٦٠ : عتبان الحروري - و ورد فيه
 البيتان فقط .

(٢) ليس البيت في معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

(٣) في معجم الشعراء : فبلغ أمير المؤمنين رسالة . و ليس البيت في
 تاريخ الإسلام .

(٤) في معجم الشعراء : يرعى .

(٥) ليس البيتان الآتيان في معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

(٦-٧) في معجم الشعراء : بأنك إلا ترض .

(٧) في الأصل : بنى ، و التصحيح من معجم الشعراء .

(٨-٨) من معجم الشعراء و تاريخ الإسلام ، و في الأصل : و إن يك منهم .

(٩) في الأصل : منهم ، و التصحيح من معجم الشعراء و تاريخ الإسلام .

فنا سويداً والبطين وقعب و منا أمير المؤمنين شيب
 و منا سنان الموت و ابن عويمر و مرة فانظر أين ذاك يغيب
 قال : فلم يزل كذلك حتى إذا طلع الفجر قال لبعض أصحابه : أذن و أقم ،
 فأذن و أقام ، و تقدم شيب فصلي بأصحابه ، فقرأ بهم في الركعة الأولى
 بأم القرآن و البقرة و الثانية بأم القرآن و آل عمران ، حتى كادت الشمس
 أن تطلع ، ثم جلس في المحراب يسبح ، و أقبلت الخيول من كل جانب حتى
 أحذقت بأبواب المسجد و هم يقولون : لا حكم إلا لله و لو كره المشركون .
 قال : و أقل الحجاج و معه أربعة آلاف رجل من أهل الشام ،
 فخرج إليهم شيب و أصحابه ، و اضطرب^٢ القوم في وسط السوق اضطراباً
 شديداً حتى قتل من الفريقين جماعة ؛ فأنشأ عبد الرحمن بن عمرو الشيباني
 يقول في ذلك أياتاً مطلعها :

يا ليتني في الخيل و هي قدومهم في السوق يوم اصطفن بالحجاج
 إلى آخرها . قال : و اشتبكت الحرب بين الحجاج و شيب ، و كثر القتلى
 بين الفريقين ؛ و حملت غزاة امرأة^٤ شيب فممن معها من النساء و حمل^٥

(١) في تاريخ الإسلام : حصين .

(٢) ليس البيت في معجم الشعراء و تاريخ الإسلام إلا أن في المعجم بدل
 هذا البيت :

فوارسنا من يقهم بلق حنفة و من ينج منهم ينج و هو سليب
 (٣) في الأصل : اضطربوا .
 (٤) في الأصل : أم - خطا .
 (٥) في الأصل : حملوا .

أصحاب شبيب معهن^١، و انهزم^٢ الناس من بين أيديهم / حتى صار الحجاج إلى باب قصره فأنشأ بعض الخوارج في ذلك يقول:

صرعت غزاة قلبه بكتيبة تركت مسامعه كأمس الدابر^٣
 ألبث الخوان^٤ وفي الحروب^٥ نعامه^٦ اقتناه تنفراً من صفيير الصافر
 هـ هلا خرجت^٧ إلى غزاة في الوغى^٨ إذ صار^٩ قلبك في جوائح^{١٠} طائر
 الق^{١١} السلاح وخذ وشاح معصفر^{١٢} و اعمد بمنزلة الجبان الكافر

(١) في الأصل: معهم .

(٢) في الأصل: انهزموا .

(٣) في العقد الفريد ٥ / ٢٧٨ :

صدعت غزاة جمعه بمساكر تركت كتابه كأمس الدابر

وفي الأصل: « دابر » مكان « الدابر » .

(٤-٤) في العقد الفريد و تاريخ الإسلام ٣ / ١٦٠ و سمط النجوم العوالي ٣ / ١٥٧ :
 أسد على .

(٥) من العقد الفريد و تاريخ الإسلام و سمط النجوم العوالي ؛ وفي الأصل:
 النحور .

(٦-٦) في الأصل: هو جاسفر - كذا ، و التصحيح من سمط النجوم العوالي
 و تاريخ الإسلام ؛ وفي العقد الفريد: ربواه تجفل .

(٧) في العقد الفريد و تاريخ الإسلام و سمط النجوم العوالي: برزت .

(٨-٨) في العقد الفريد و تاريخ الإسلام و سمط النجوم العوالي: بل كان .

(٩) في العقد الفريد: محالب، وفي تاريخ الإسلام و سمط النجوم العوالي: جناح .

(١٠) في الأصل: القى . وليس البيت في المراجع المذكورة .

قال: فلم يزل شيب و أصحابه يضارب فيهم و يطاعن من رقت الغداة إلى الليل، و أجهد أصحابه و قتل منهم جماعة، فانهزم شيب و خرج من الكوفة و مضى هاربا على وجهه و قد قتل أصحابه، حتى صاروا إلى مدينة الأنبار فنزلها.

قال: و وجه الحجاج في طلبه برجل من الكوفة يقال له حبيب^٥ ابن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف رجل، و بلغ ذلك شيبا فخرج إليه فيمن بقي من أصحابه، فاقتل^٦ القوم يوما و ليلة قتالا شديدا، ثم ولى شيب^٧ منهزما حتى صار إلى بادرايا^٨ و باكسايا^٩ ثم صار من هناك [إلى كرمان - ^{١٠}] فنزلها.

فوجه إليه الحجاج بسفيان بن الأبرد الكلبي، فأقبل بسفيان حتى نزل على شاطئ الدجيل^{١٠}، و أقبل شيب نحوه، فلما أقبل ليعبر الدجيل

(١) في الأصل: قتلوا.

(٢) من ابن الأثير ٢٠٨/٤ و الطبري ٢٥٤/٧، و في الأصل: علقمة.

(٣) في الأصل: فاقتلوا.

(٤) في الأصل: شيبا.

(٥) طسوج بالنهر وان و هي بلدة بقرب باكسايا بين البندنجين و نواحي واسط - انظر معجم البلدان ٢٨/٢.

(٦) بضم الكاف و بين الألفين ياء - بلدة قرب البندنجين و بادرايا بين بغداد و واسط من الجانب الشرقي في أقصى النهر وان - المعجم ٤٥/٢.

(٧) من ابن الأثير و الطبري.

(٨) في معجم البلدان ٤٢/٤ نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك

إلى ما قبله أمر سفيان بن الأبرد بالغواصين بحسر الدجيل فقطع ،
و استدارت السفن ففرق شيب مع فرمه وسلاحه . قال : فأمر سفيان
ابن الأبرد بالغواصين فأخرجوه من الماء و احزوا رأسه ، و وجهه به
سفيان إلى الحجاج و قتل أمه جهيزة و امرأته غزالة و قتل عامة أصحابه ،
ه فلم ينفلت منهم إلا القليل .

قال : و أمر سفيان بن الأبرد جماعة من أصحاب شيب فوجه بهم
إلى الحجاج ، فلما وقفوا بين يديه رفع رأسه فنظر إلى شيخ منهم وسم
بسيم فقال له : يا شيخ ! اخترت الدنيا على الآخرة ؟ قال : كلا يا حجاج !
ولكني اخترت الآخرة على الدنيا بخروجي عليك و على صاحبك الفاجر .
١٠ فقال الحجاج : اضربوا عنقه ، فقال الشيخ : الحمد لله و لا حكم إلا لله ،
الحمد لله على ما قضى و قدر ، و لكني لا تعجل يا حجاج فقد قلت بيتين
من الشعر أريد أن أختم بها عملي ، فقال الحجاج : قل ما بدا لك ،
فأنشأ بقول :

أبرأ إلى الله من عمرو و شيعته و من علي و من أصحاب صفين
١٥ و من معاوية الغاوي و شيعته لا بارك الله في القوم الميامين
قال : ثم قدم فضرب عنقه .

ثم قدم إليه آخر ، فقال له الحجاج : ما دينك أيها الرجل ؟ فقال :
= الفرس ، و نخرجه من أرض أصبهان و نصبه في بحر فارس قرب همدان .
و كانت عند دجيل هذا وقائع للخوارج و فيه غرق شيب الخارجي .
(١٤١) في الأصين : أمه غزالة و امرأته الجهيزة - خطأ ..

أنا على دين صاحب الفلك، قال الحجاج: وأنا على دين صاحب الفلك أيضا، فما تقول في علي و عثمان؟ قال: كافران، فقدم ثم ضرب عنقه. ثم قدم إليه آخر، فقال له الحجاج: ما دينك؟ قال: أنا على دين صاحب الأحقاف، قال الحجاج: وأنا على دين صاحب الأحقاف، فما تقول في علي و عثمان؟ قال: كافران جميعا؛ فقدم فضربت عنقه. ثم قدم إليه رجل، فقال له الحجاج: ما دينك؟ فقال: أنا على دين صاحب الحجر، قال: فما تقول في علي و عثمان؟ قال: كافران؛ قال: فقدم فضربت عنقه.

و قدم إليه ثلاثة نفر في حبل وقد شدت أيديهم على أعناقهم، قال لهم الحجاج: ما دينكم؟ فقال أحدهم: أنا على دين الذي وفي، وقال الآخر: وأنا على دين صاحب الأيكة، وقال الثالث: وأنا على دين صاحب الألواح؛ فقال الحجاج: وأنا على دين من ذكركم، فقال: ما تقولون في المختين علي و عثمان والحواريين طلحة و الزبير والحكمين عمرو بن العاص و أبي موسى الأشعري؟ فقالوا: نقول إنهم كفار و ليس الحكم إلا الله رب العالمين؛ فقدموا فضربت أعناقهم صرا. ثم قدم إليه رجلان يجعلان في قيودهما حتى وقها بين يديه. فقال الحجاج لأحدهما: ما دينك؟ فقال: أنا على دين الإسلام الذي بعث الله به

(١) في الأصل: الحديد - كذا.

(٢-٢) في الأصل: رجلين ينجلون في قيودهم حتى وقفوا.

(٣) في الأصل: لأحدهم.

ب / ٩

نيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهدى به من الضلالة ، و أنقذ به من العمى
 و الضلالة و الجهالة ، و على دين صاحبه أبي بكر الصديق الذى ولى أمور الناس
 من هذه الأمة فكان محمودا ، و خرج من هذه الأمة مفقودا ، و على دين
 صاحبه عمر بن الخطاب الذى عاش فى الدين حيبا ، ثم قبضه الله إليه سعيدا
 ٥ و شهيدا . قال الحجاج : فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : ذاك
 رجل لا يلتقى باسمه الشفتان : قال : فما تقول فى أمير المؤمنين على بن
 أبى طالب ؟ قال : ذاك رجل آمن صغيرا و كفر كبيرا . قال : فما تقول
 فى معاوية بن أبى سفيان ؟ قال : و ما أقول فى رجل بين أطباق النيران
 ينادى : يا حنان يا منان ، و الرب عليه غضبان ! قال : فما تقول فى عبد الملك
 ١٠ ابن مروان ؟ قال : و ما الذى أقول فى ابن طريد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم و لعينه ، لقد أخطأ خطيئة أطبق بها السماء على الأرض بتوليته
 إياك على رقاب المسلمين ، فويل له من ديان يوم الدين ! قال : دع عنك
 هذا ، قال : ما تقول فى أنا ؟ فقال : ما عرفتك إلا عادلا قاسطا ؛ فقال
 الحجاج : قاتلك الله من رجل كأنك أردت قول الله تبارك و تعالى
 ١٥ " الحمد لله الذى خلق السموات و الأرض و جعل الظلمت و النور
 ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " ؟ فقال : هذا أردت يا حجاج ! قال :
 و كأنك أردت قوله عز و جل : " و أما القسطنون فكانوا لجهنم حطباً " ؟

(١) سورة ٦ آية ١ .

(٢) زيد فى الأصل : يا حجاج - خطأ .

(٣) سورة ٧٢ آية ١٥ .

قال: هذا أردت يا حجاج! فقال الحجاج: أخروه، فأخروه فضربت عنقه صبوا.

ثم أقبل على الآخر فقال له: ما تقول فيما سألت عنه صاحبك؟ فأشأ يقول:

أحجاج إني والذى أنا عبده على خير للعالمين محمد
و دين أبى بكر وصاحبه الذى مضى عادلا فى حكمه لا يفند
و لست اثمان بن عفان باغضا و لا قاتلا فيه مقالة ملحد
و إن يك عثمان بن عفان ظلما فربك للعبد الظلوم بمرصد
و أما على ذو المعالي فأنه وصي نبي ذى سناء و سودد
و إن يك مظلوما فأنه ناصر فينصره من كل باغ و معتدى
و قد كان مولى المؤمنين و إنى مقر به فى كل ناد و مشهد
فذلك دبنى لا أدين بغيره و لست كهذا الكافر المتلدد

/ قال: فأمر به الحجاج فأطلق من قيده، و كساه و أحسن إليه و أحقه ٩٥ / الف بعطائه.

قال: ثم قدمت إليه امرأة من نساء الخوارج و كانت من المتكلمات ١٥ يقال لها أم علقمة، فقال لها الحجاج: يا عدوة الله! الحمد لله الذى قتل أباك و أخاك و زوجك، فقالت: نعم الحمد لله الذى قدمهم إلى الجنة و أخرنى بعدهم، و قد علمت أنه لم يؤخرنى إلا لذنوب عظيم قد أتته.

فقال الحجاج: لأفعلن بك و لأفعلن! فقالت: ويلىك يا حجاج! على تبرق

(١) فى الأصل: الله.

وترعد! والله لقد خفت الله خوفا جعلك في عيني أصغر من الذباب .
قال : وجعلت أم علقمة تكلم الحجاج وهي منكسة الرأس ، فقال لها
الحجاج : ارفعي رأسك وانظري إلي ، فقالت : إني لأكره أن أنظر إلى
من لا ينظر الله إليه . قال : فأمر الحجاج بقتلها فكانت السيف تأخذها
ه وهي تقول : لا حكم إلا لله ، حتى بردت .

قال : وكان آخر من قدم إليه رجل من هؤلاء الخوارج له شاهد
وسمت وطلل ، فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب ، فقال لحاجبه :
ما هذه الضجة ؟ فقال : نسوة بالباب يسألن ' الإذن على الأمير ، فقال
الحجاج : ائذن لهن بالدخول . فدخلن و هن ثلاث^٢ وعشرون امرأة ،
١٠ كلهن أهل بيت هذا الخارجي الذي هم الحجاج بقتله ، فقال لهن الحجاج :
ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت : أصلح الله الأمير ! إن رأيت
أن تفضل^٣ باستماع ما أقول ! فقال الحجاج : قولي ما أحببت^٤ ، فأنشأت
وجعلت تقول :

أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل أجما
١٥ أحجاج إمام^٥ أن تمن بركة علينا^٥ وإما أن تقتلنا معا

(١) في الأصل : يسألون .

(٢) في الأصل : ثلاثة .

(٣) في الأصل : نتفضل .

(٤) في الأصل : احببتي .

(٥-٥) في الأصل : أن تمن علينا بركة .

أحجاج لم تضجع له و نساته ثمانا و تسعا و اثنتين و أربعا

فن رجل دان يقوم مقامه علينا فهلا لا تزدنا تضعضا

قال: فغلى الحجاج سيبله و زاده في عطائه مائة^١ دينار، و كتب إلى

عبد الملك بن مروان يخبره بخبره و خبر النسوة و المرأة و شعرها .

قال: فكتب إليه عبد الملك بن مروان: زده في عطائه دنائير^٢ أخرى^٣ .

/ فصارت له زيادتان^٤: زيادة الحجاج و زيادة عبد الملك بن مروان ؛

فأنشأت ليلي الأخيلية تمتدح الحجاج و هي تقول:

٤ إذا نزل^٥ الحجاج أرضا منيعة^٦ تتبع أقصى دائها فشاها

شفاها من الداء العضال الذي بها همام^٧ إذا هز القناة سقاها

سقاها دماء المارقين و علها إذا جمحت^٨ يوما و خيف رداها^٩ .

(١) زيد في الأصل: و . (٢) في الأصل: دينار . (٣) في الأصل: زيادتين .

(٤) قبله في ديوانها المطبوعة بدار الجمهورية بغداد سنة ١٣٨٦ هـ ص ١٢٠

والأغاني ١١ / ٢٤٨ :

أحجاج إن الله أعطاك غاية يقصر عنها من أراد مداها

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما // منابيا بكف الله حيث تراها

(٥) في الديوان ص ١٢١ و الأغاني و تاريخ الإسلام للذهبي ٢٠٦ / ٣ : هبط .

(٦) في الديوان و الأغاني و تاريخ الإسلام : مريضة .

(٧) في الديوان و الأغاني و تاريخ الإسلام : غلام . و بهامش الديوان : « قيل

لما بلغت ليلي هذا البيت عقب الحجاج قائلا : لا تقولي غلام ، قولي همام » .

(٨) من الديوان و الأغاني ، وفي الأصل : اجتمعت . وليس البيت في تاريخ الإسلام .

(٩) في الديوان و الأغاني : أذاها . و بعده في الديوان و الأغاني : =

أحجاج لا تعطى العصاة مُنّام^١ فلا وإلهى لا تصيب^٢ منهاها
ولا كل خلاف تقلد بيعة^٣ بأعظم حق الله حين^٤ شراها

ذكر عمران بن حطان الخارجي

قال: و جعل الحجاج يطلب عمران بن حطان بالعراق أشد الطلب لأنه
كان من رؤساء الخوارج و أعلامهم، و علم عمران بن حطان أن الحجاج
يطلبه، فضاعت عليه العراق فهرب حتى لحق بالشام خوفا من الحجاج،
فزل على قوم من بنى غسان فأنكروه، و تحول عنهم فزل على قوم من
بنى لخم فأنكروه رب منزله، فتحول حتى صار إلى روح بن زنباع الجذامي
و نزل عليه، و كان عمران بن حطان هذا من أفصح الناس و أعلمهم
بأيام العرب، و كان روح بن زنباع هذا سيدا في قومه عظيم القدر عند
أهل الشام، فلما نزل عليه عمران بن حطان سأله روح بن زنباع عن اسمه
و نسبه، فغير اسمه و نسبه و ذكر أنه من أزدشنوءة، قال: فقربه روح

= إذا سمع الحجاج رِزْ كَتِيبَة أعدد لها قبل النزول قراها

أعد لها مصقولة فارسية بأيدي رجال يحبون صراها

و زيد في الديوان فقط :

ولد الأبيكار و العون مثله بنجد و لا أرض يجف نراها

(١) من الديوان و الأغاني، و في الأصل: لا تعطى. و ليس البيتان الآتيان في تاريخ الإسلام.

(٢-٢) في الديوان و الأغاني: و لا الله يعطى للعصاة.

(٣-٣) في الديوان و الأغاني: فأعظم عهد الله ثم.

ابن زنباع و أكرمه بغاية الكرامة . ثم قال ذات يوم لعبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين إن في ضياقتي رجل من أزد شنوءة لم أر مثله ساعة ، ثم جعل يحدثه بما سمع منه من أخبار العرب ، فقال عبد الملك بن مروان : ويحك يا أبا زرعة ! هذا رجل علامة فصفه لي ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! هو رجل آدم ، طويل ، أفوه ، فصيح ، حسن الرواية للشعر ، كثير الصلاة ، ما دفعت إلى رجل هو أكثر صلاة منه ولا أعبد . قال فقال عبد الملك^٢ ابن مروان : ويحك يا أبا زرعة ! هذه صفة رجل مسلم زاهد ، و إنى لأحسبه حروري أهل العراق ، ولكن إذا رجعت / إلى منزلك فسله من الذي يقول :

١٠. إنى لأحسبه يوما فأذكره من أرجح الناس عند الله ميزانا^٣
يا ضربة^٤ بحسام^٥ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
قال : فقال روح بن زنباع : إنى قد سألت عن ذلك يا أمير المؤمنين ، فأخبرني بهذا الشعر و رواه لي عن آخره و ذكر أنه لعفران بن حطان في ملجم و ضربته علي بن أبي طالب ! قال فقال : يا غلام ! على بكتاب

(١) أى ما انتهيت إلى رجل .

(٢) فى الأصل : عبدا لله - خطأ .

(٣) فى الكامل للبرد ص ٥٣١ و تاريخ الإسلام ٢/ ٢٨٥ :

إنى لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

(٤) من الكامل للبرد و تاريخ الإسلام ، و فى الأصل : بضربة .

(٥) فى الكامل و تاريخ الإسلام : من تقي .

الحجاج ا فجاء به فاذا فيه : و إني لاخبرك يا أمير المؤمنين إن رأسا من رؤس الخوارج يقال له عمران بن حطان كان قد أفسد قياما من الناس بالعراق ، و قد كنت أردت أخذه ، فلما ضاقت عليه العراق لطلبي إياه خرج إلى الشام ، فهو ينتقل في مدائنها ، و علامته يا أمير المؤمنين أنه رجل آدم طويل أفوه ، فان ظفرك الله به فسرجه إلى لاظهر منه البلاد ، و أريح منه العباد - و السلام . قال فقال روح : هذه و الله صفته يا أمير المؤمنين ! قال عبد الملك بن مروان : فجئني به يحدثني يوما واحدا و هو آمن بأمان الله ، و اكتب له كتابا منشورا أن لا سبيل للحجاج عليه أبدا ما بقي . قال : فانصرف روح بن زنباع إلى منزله ، ثم قال : أيها الشيخ ابن أمير المؤمنين أحب زيارتك فزره إن شئت ، فانه أمرني بذلك ، فقال : ما أشوقني إلى محادثة أمير المؤمنين ، ولكنني أخاف على نفسي ، و لكن اتنى منه بكتاب أمان بخط يده . قال : فركب 'روح بن زنباع' فرسه و مر على وجهه ، فقال عبد الملك بن مروان : أما الأمان فأكتبه لك ، و لكنني أظنك لا تجده في منزلك إذا رجعت فأعلم ذلك ا فانصرف روح بن زنباع إلى منزله فاذا الأمر على ما قال عبد الملك بن مروان ، فرجع إليه فأعلمه بذلك ، فقال : قد علمت ذلك أبا زرعة ا و الرجل هو عمران بن حطان . فلما كان بعد أيام أتاه غلام برقة فقال : وجدت هذه الرقة تحت فراش ضيفنا الذي هرب ا قال : فنظر روح بن زنباع

(١) في الأصل : للحجاج .

(٢-٢) في الأصل : عمران بن حطان - خطأ .

في الرقة فاذا / فيها هذه الآيات :
يا روح كم من 'أخي مثوى' نزلت به
حتى إذا خفته زابلت' منزله
قد كنت ضيفك' 'حيناً لا يروعي'
حتى أردت بي العظمى فأوحشني'
فاعدر أخاك ابن زباع فان له
يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمين
لو كنت مستشعراً "يوماً لطاغية"
قد ظن ظنك من لحم و غسان
من بعد ما قيل عمران بن حطان
منه 'طوارق' من إنس و من جان
ما أوحش' الناس من خوف ابن مروان ه
في 'الحادثات هنات' ذات ألوان
و إن 'معد بن عدنان' فعدنان
كنت المقدم في سرى و إعلان

(١-١) في تاريخ الإسلام : كريم قد .

(٢) في الكامل للبرد ص ٥٣٢ : فارقت .

(٣) من تاريخ الإسلام ، و في الأصل : ظيفك ؛ و في الكامل للبرد : جارك .

(٤-٤) في الكامل للبرد و تاريخ الإسلام : حولاً ما تروعي .

(٥) في الكامل للبرد و تاريخ الإسلام : فيه .

(٦) في الكامل للبرد : ردائع .

(٧) في الكامل للبرد : فادر كني .

(٨) في الكامل للبرد : أدرك ، و في تاريخ الإسلام : يوحش .

(٩-٩) في الكامل للبرد : الذائبات خطوباً .

(١٠-١٠) في الكامل للبرد : لقيت معدياً . وليس البيت في تاريخ الإسلام .

(١١) في الكامل للبرد و تاريخ الإسلام : مستغفراً .

(١٢) من الكامل للبرد و تاريخ الإسلام ؛ و في الأصل : لطاعته .

لكن أبت^١ لي آيات مفصلة^٢ عند^٣ الولاية في طه و سبحان^٤
قال: فعلم روح بن زنباع أنه عمران بن حطان، و ندم على ما أخبر به
عبد الملك بن مروان.

قال: و مضى عمران حتى نزل على زفر بن الحارث الكلابي و كان
٥ زفر أيضا سيذا في قومه، فقال له: ممن الرجل؟ فقال له: رجل من حمير
من الأوزاع، و كان لزفر خثولة من الأوزاع فقربه و أدناه، فأقام
عنده مدة. ثم قال له ذات يوم: أيها الرجل! إني أرى لك حالا ليست
كالأحوال، فان كنت خائفا آمناك و إن كنت فقيرا أغنيك! قال:
فتبسم عمران ثم قال: الله المؤمن^٥ و الله المعنى: و إنما أنا ابن سليل.
١٠ قال: فينا هو كذلك إذ أقبل رجل من عند روح بن زنباع إلى زفر
ابن الحارث في أمر من الأمور، فلما نظر إلى عمران بن حطان عرفه،
فقال لزفر: هذا كان ضيفا لروح بن زنباع و هو رجل من الأزدي، قال
فنظر إليه زفر نظرة مغضب و قال: يا شيخ! أزدى مرة و أوزاعي
أخرى! أو نبأتني عن شأنك و أمرك كان خيرا لك! و كأنه أسمعه
١٥ كلاما. قال: فسكت عمران بن حطان ولم يقل شيئا، فلما كان الليل

(١) من الكامل للبرد و تاريخ الإسلام، و في الأصل: اتت.

(٢) في الكامل للبرد: مطهرة.

(٣) في تاريخ الإسلام: عقد.

(٤) في الكامل للبرد و تاريخ الإسلام: عمران،

(٥) في الأصل: الموتى - كذا،

هرب على وجهه في البلاد، وكتب إلى زفر بهذه الآيات :
 إن التي أصبحت يعي بها زفر / أنشأ يسألني حولا لا خبره
 وأعبا عياها على روح بن زباع / والناس من بين مخدوع و خداع
 حتى إذا انجذمت مني حباله^٢ / كف السؤال ولم يولع باهلاعي
 فكفف كما كف روح^٣ إنني رجل / إما صريح^٤ وإما فقعة القاع^٥
 وازجر لسانك عن شتمى ومنقضى / ماذا تريدون من شيخ لأوزاع^٦
 إذا الصلاة فاني لست تاركها / كل امرئ للذي يسغى له ساعى^٧
 أكرم بروح بن زباع وأسرته / حتى^٨ دعا أوليهم للعللى داعى
 جاورتها^٩ سنة فيما^{١٠} زعمت له^{١١} / عرضى صحيح ونومى غير تهجاع

(١-١) في الكامل للبرد ص ٣٣ : « أعبت عياها » . وفيه : « قال أبو العباس :
 أنشدني الرياشي : « أعبا عياها على روح بن زباع » وأنكره كما أنكرناه لأنه
 قصر المدود و ذلك في الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور » .

(٢-٢) في الكامل للبرد : ما زال يسألني .

(٣-٣) في الكامل للبرد : انقطعت عنى وسائله .

(٤) في الكامل للبرد : عنى .

(٥) في الكامل للبرد : صميم .

(٦) البيت في الكامل للبرد :

واكفف لسانك عن لومى ومسألتي / ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع
 (٧) في الكامل للبرد :

إما الصلاة فاني غير تاركها - / كل امرئ للذي يُعنى به ساعى

(٨) في الكامل للبرد : قوم .

(٩) في الكامل للبرد : جاورتهم .

(١٠-١٠) في الكامل للبرد : أسر به .

فارتع فانك منعى بمحادثة حسب اللبيب بما يوعيه من واعى
قال : فعلم زفر بن الحارث أنه عمران بن حطان ، فطلبه ليأخذ أشد
الطلب ليرده إلى منزله و يأخذ له الأمان ، فلم يقدر عليه .

قال : و مضى عمران بن حطان حتى صار إلى بلاد عمان فنزل على
قوم من الأزد وكانوا يرون رأيه و يتناشدون أشعاره و يكون عليه
و على أبي بلال الحرورى . قال : فتعرف إليهم عمران بن حطان و أقام
بينهم آمنا مطمئنا لا يخاف أحدا ثم أنشأ يقول :

نزلت^١ بحمد الله في خير أسرة^٢ أسرنا فيهم^٣ من الأنس و الحفر^٤
نزلت^٥ بقوم يجمع الله شملهم^٦ وليس لهم عود سوى الحق^٧ يعتصر^٨
١٠ من الأزد إن الأزد أكرم أسرة^٩ يمانية حقا^{١٠} إذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمشر^{١١} بدوني^{١٢} و قالوا من ربيعة أو مضر

(١) البيت في الكامل للبرد .

فاعمل فانك منعى بواحدة حسب اللبيب بهذا الشيب من ناعى

(٢) في الكامل للبرد : نزلنا .

(٣) في الكامل للبرد : منزل .

(٤-٥) في الكامل للبرد : نسر بما فيه .

(٥) في الكامل للبرد : المجد .

(٦) في الكامل للبرد : معشر .

(٧) في الكامل للبرد : طابوا .

(٨) في الكامل للبرد : أتوني .

أول الحى فحطان أو تلك سفاهة كما قال لى^٢ روح و صاحبه زفر
 وما منها إلا يسر^١ بتهمته^١ تقربى منه وإن كان ذا زمره
 فنحن بنو الإسلام و الله واحد و أولى عباد الله بالحق من شكر
 قال : فلم يزل عمران بن حطان مقبياً بأرض عمان مدة من عمره
 إلى أن مات الحجاج و تغيرت الأمم ، ثم صار إلى البصرة و بها يومئذ
 رجل يقال له سويد بن منجوف ، و تحته امرأة من بنات الخوارج
 يقال لها حمرة ، فلما سمعت بعمران بن حطان و عبادته و نسكه بعثت إليه
 أن خلصنى من سويد بن منجوف فانى قد كرهته ، و قد أحببت أن أكون
 لك فان رأيتك و دينى دينك . قال : فأقبل عمران و معه نفر من
 الخوارج حتى استأذنوا على سويد ، فأذن لهم ، فدخلوا و جلسوا فقال
 عمران : أيها الرجل ! إنا قد أتيناك فى أمر لا أظن أن أحدا قبلنا جاء
 فى مثله ، قال : و ما ذاك يا أبا شهاب ؟ قال : إن حمرة امرأة من بنات
 المسلمين و قد كرهتك و نحن نحب أن نخلى سبيلها فان أعوانها عليك من
 المسلمين كثير ، فخل^٢ سبيلها طائفا فهو خير لك و أحسن بك . قال : فاتق

(١) فى الكامل للبرد : أم .

(٢-٢) فى الكامل للبرد : فتلكم .

(٣-٣) من الكامل للبرد ، و فى الأصل : كسأتى .

(٤) فى الكامل للبرد : بنسبة .

(٥) فى الكامل للبرد : نفر .

(٦) فى الكامل للبرد : بانه

(٧) فى الأصل : نفلى

سويد على نفسه من الخوارج ، ثم صاح بها و قال : يا حمرة ! ما تقولين فيما تسمعين ؟ فقالت : لا خير لك في مستكره و لست أحل لك لأنك لست على ديني و رأيي ! قال : نفخى سويد سبيلها . فلما انقضت عدتها تزوجها عمران بن حطان ثم أنشأ يقول :

سويد بن منجوف كريم نمت به ٥

دعنى إليه حاجة فوجدته

دعا حمرة لم يقبل الكفر قلبها

فقال لها يا حمرة ردى جوابه

فقالت مقال المستزيد لنفسه

١٠ فلم أر مطلوباً إليه حليله

على مثلنا منه فله دره ، و إن كان شيخاً للهدى غير تابع

فقيل لسويد بن منجوف : أطلقت حمرة خوفاً من الخوارج ؟ فقال : لا ،

و لكنى لا أحب أن يكون عندى من بكرهنى ؟ قال ثم أنشأ يقول :

تركت لعمران بن حطان أخته و أعطيتها من أمرها ما تمت

١٥ و قد كان ديني في المنية دينها

على غير ذنب كان منى علمته

فان تكن الأيام أحدثن فرقة

على أنها صامت لجاجا و صلت

فأنا بالباكي عليها صابئة

٢٠ قال : فلما ملك عمران بن حطان أتاها سويد بن منجوف فاستأذن عليها ،

٩٨ / الف

فأذنت له ثم قالت : ما حاجتك ؟ قال : جئت مخاطبا إليك نفسك ، و أنا من قد عرفت^١ و قد مضى أبو شهاب^٢ لسيله ، فإن أردت^٣ شيئا من ذلك فلا تعدليه عندي . قال فقالت له : مكانك حتى أخرج إليك^٤ ثم قامت فدخلت إلى مخدع لها فلبست مطرفا كان لعمران بن حطان و لفت عمامته على رأسها و خرجت ، فقال لها سويد بن منجوف : ما هذا يا حمرة ؟ فقالت : ه إنى سمعت خليلي أبا شهاب و هو يقول في بعض قوله :

و يلبس يوما عرسه من ثيابه إذا قيل هذا يا فلانة خاطب

كان لم يكن من قبل ذاك ولم يكن نصيب لها في سالف الدهر صاحب

فأحبت أن أصدق قول أبي شهاب بلبسى هذا من ثيابه ، فانصرف عنى

من حيث جئت فلا حاجة لى فى التزويج بعد أبى شهاب . ١٠

ثم رجنا إلى الخبر الأول و أمر خراسان

و هذا ابتداء أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى ، و الحديث

طويل و هذا ابتداء ، و سنأتى به من أوله إلى آخره إن شاء الله تعالى .

قال : و صفت العراقان^٥ للحجاج بن يوسف فلم يكن أحد يناويه ،

(١) فى الأصل : عرفنى .

(٢) فى الأصل : أبا شهاب .

(٣) فى الأصل : أردتى .

(٤) فى الأصل : ذلك .

(٥) فى الأصل : الجزء .

(٦) فى الأصل : العراقين .

و جعل الحجاج بضرب على الناس البعوث و يوجه بهم في الاعمال ،
 فخرج اسم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلم يحب أن يخرج فيه ،
 فجاء إلى أمه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أماه إن
 الحجاج قد ضرب على الناس بعثا إلى موضع كذا و كذا و قد خرج
 اسمي في ذلك البعث ، و قد أحببت أن تكلميه في ذلك فلعله أن يعفني
 من الخروج فيه . قال : و كانت أم عمران امرأة عاقلة لبية جزلة من
 النساء ، و لم يكن بالعراق امرأة هي أكرم على الحجاج منها لشرفها في
 قومها . قال : فركبت إلى الحجاج فكلمته في ابنها عبد الرحمن بن محمد ،
 فقال الحجاج : يا أم عمران إني ما كنت / أحب أن أرخص لأحد من
 الناس في التأخر عن هذا البعث إلا أن يكون مشغولا بعمل من أعمال
 أمير المؤمنين ، و ما ل حاجتك من مدفع و قد أعفيناك من ذلك البعث
 علي أن يكون في أعوان أبي مسلم حتى خليفته . قال فقالت أم عمران :
 أيها الأمير اجعله حيث شئت بعد أن تعفيه من السفر ، قال الحجاج :
 فانا قد أعفيناك يا أم عمران . قال : و انصرفت أم عمران إلى منزلها ،
 ١٥ و صار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى أبي مسلم خليفة الحجاج .
 قال : و كان أبو مسلم هذا رجلا فيها عاقلا ليبا عالما بالسنن و الفرائض ،

٩٨/ب

(١) زيد في الأصل : أنه .

(٢-٢) كذا في الأصل ، و لعله « عني خليفته » و لكن ما وجدنا أبا مسلم هذا
 في خلفاء الحجاج و نوابه .

(٣) في الأصل : خليفته .

(٤-٤) في الأصل : رجل فهم عاقل لبيب عالم - كذا .

و كان (٢٧)

١٠٨

وكان إذا أصبح و اجتمع إليه الناس يقول لهم : لا تتكلموا و اذكروا الله ،
ثم يبدأ هو بالكلام فيتكمم ، ثم يتكلم رجل منهم حتى يأتي على
آخرهم ؛ قال الشعبي : فجلس يوما كما كان يجلس في أصحابه ، فتكلم و تكلم
الناس حتى أفضى الكلام إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فتكلم
و أوجز و أحسن ؛ قال : فأعجبني منه و أنا لا أعلم ما في قلبه .
قال : ثم جمع الحجاج الناس ذات يوم فقال : دلوني على رجل يصلح
للشرطة ، فقال له كاتبه عنبسة : أصلح الله الأمير ! عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث في شرفه و جلده و مكانه من أهل مصره ! فقال الحجاج :
هو لها . قال الشعبي : فبادرت إليه و هو في منزل أمه أم عمران ، فقلت
له : البشري يا أبا الأشعث ! فقال : بماذا ؟ فقلت : إن الأمير ذكر رجلا
يصلح للشرطة فذكرك له عنبسة بن سعيد ، قال الشعبي : فرأيت قد غضب
فقال : ويحك يا أبا عمرو ! و مثل يتقلد سيفاً و يمشي بين يدي ابن أبي رغال !
و الله ما رأيت أحداً قط 'على منبر' يخطب إلا و ظننت في نفسي أنا أحق
بذلك منه ! قال فقلت له : دع عنك هذا ، فإن الحجاج ليس ممن يعادى

(١) في الأصل : اجتمعوا .

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبي ، من التابعين ، اتصل بعبد الملك بن مروان فكان
نديمه و سميره و رسوله إلى ملك الروم - مات سنة ١٠٣ هـ بالكوفة - انظر
تهذيب التهذيب ٦٥/٥ و تهذيب ابن عساكر ١٣٨/٧ .

(٣) في الأصل : تكلموا .

(٤-٥) في الأصل : « على منه » .

و لا يباح ، فلا تسأله عن نفسك ! فتبينت الكراهة في وجهه .
 ثم ركب و ركبت معه إلى عنبسة بن سعيد كاتب الحجاج ، فلما
 دخلنا عليه قلت : أصلحك الله ! إني قد أخبرت أبا الأشعث بما كان من
 بك و عنايتك و رأيك فكره ذلك ! فقال عنبسة : ولم ذلك ؟ قال
 ابن الأشعث : لأنه لا حاجة لي في ولاية الشرطة . قال الشعبي : فسكت
 عنبسة ، فقلت له : جعلت فداك ! تدارك إصلاح ذلك ، فقال : أفل
 ذلك . ثم ركب إلى الحجاج فلما دخل و أخذ مجلسه جعل يتعاس في
 المجلس ، فقال له الحجاج : ما قصتك ؟ فقال : أصلح الأمير ! إني امتنعت
 اليوم من القائلة ، قال الحجاج : ولم ذلك ؟ قال : لأنني أشرت على الأمير
 أصلحه الله بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، و هو رجل شريف شديد
 الحياء من الناس ، و أخاف عليه الشفاعات . قال الحجاج : فلا حاجة لي
 فيه ، و لكن دلوني على رجل يصلح لهذا الأمر ! فقال له بعض جلسائه :
 فأى رجل يريده الأمير - أصلحه الله ؟ قال : دائم العبوس ، طويل
 الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجم الحيانة ، يهون عليه شبال الأشراف في
 الشفاعات . فقال له أهل المجلس : ما نعرف مثل هذا إلا عبد الرحمن بن
 عبيد السعدى ، فقال له الحجاج : يا عبد الرحمن ! إني قد استعملتك على
 الشرطتين جميعا البصرة و الكوفة ، فصيف عندنا بالكوفة و شتاً بالبصرة ،
 فقال : أصلح الله الأمير ! قد قبلت ما وليتني فاكفني حاشيتك و أهلك

(١) في الأصل : أبا عبد الرحمن .

(٢) في الأصل : شتى .

(٣) في الأصل : فاكفيني - كذا .

وولدك في الشفاعات ا فقال قد كفييناك ذلك ، يا غلام امر المنادي فليناد :
 ألا او من طلب شفاعه من حاشية الأمير و أهله و ولده فقد برئت منه الذمة ا
 قال الشعبي : فوالله ما رأيت أحدا قط يشبه عبد الرحمن بن عبيد ا كان
 إذا أتى برجل قد نقب على قوم منزلهم وضع منقبه في بطنه حتى يخرج
 من ظهره ، و إذا أتى برجل قد شهر سلاحا قدمه فقطع يده ، و إذا
 أتى برجل قد أحرق على قوم شيئا أمر به فأحرق بالنار حرقا ، و إذا
 أتى برجل قد شك فيه آخره فضربه ثلاثمائة سوط و خلى عنه ؛ و كان
 لا يحبس أحدا إلا في دين ، و كان إذا انحدر إلى البصرة يخلف خليفة
 بالكوفة ، و إذا رجع إلى الكوفة فخليفته بالبصرة ، و كان خليفته جميعا
 يعملان في الناس كعمله .

١٠

قال : و دعا الحجاج أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فعقد له
 عقدا بولاية سجستان و أمره أن يغزو أرض كابل ، فسار أمية بن عبد الله
 في جمع عظيم حتى دخل أرض كابل و غلغل فيها ، فلما أراد الخروج
 أرسل مالك البلد و اسمه رتبيل فأخذ عليه الشعاب و العقبات و المضايق ،
 فلم يقدر أمية على الخروج من البلد ، فصالح رتبيل ملك كابل على مائتي
 ألف درهم ، فأعطاه ذلك ثم خرج من البلد ، و قد سلم و سلم أصحابه .
 قال : و بلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان :

(١) في الأصل : اوتى .

(٢-٢) في الأصل : « كانوا خليفته جميعا يعملون » .

(٣) في الأصل : عبد الرحمن - خطأ .

(٤) في الأصل : سلموا .

يا أمير المؤمنين ! إن أمية بن عبد الله اشترى النار بالجنة و زاد مائتي ألف درهم ! فكتب إليه عبد الملك بن مروان أن اعزله عن البلاد و وول مكانه عبيد الله بن أبي بكرة .

قال : فتقدم ابن أبي بكرة إلى سجستان ، ثم إنه جمع الناس و غزا أرض كابل و معه يومئذ شريح بن هاني الحارثي في أهل الكوفة ، فلما توسط المسلمون البلاد و أخذ عليهم أيضا رتبيل العقبات و الشعاب كما فعل بأمية بن عبد الله من قبل ، قال : فبقي ابن أبي بكرة لا يقدر على الخروج ، فبعث إلى رتبيل أنك قد فعلت كذا الفعال بغيري ، و لكن ما يغنيك ، و ما الذي تريد ؟ قال : أريد منك أن تحط عنى خراج عشر سنين ، و تعطيني ألف ألف درهم و نصف ما معك من السلاح و الكراع ، و تعطيني ولدك و أشراف قومك رهائن حتى أخلى لك السبيل فأرسل ابن أبي بكرة إلى من كان معه من أهل البصرة و أهل الكوفة فأخبرهم بهذا الخبر ، فقال البصريون : أيها الأمير ! الرأي عندنا أن نصالحه و نعطيه ما سأل ، فقال شريح بن هاني الحارثي و أهل الكوفة : لا والله ما كان ذلك لرتبيل منا أبدا ! قال : فعضب ابن أبي بكرة ، ثم قال شريح بن هاني : هذا ما أنت و الاعتراض على ما أريد ، تريد أن تنقض / على أمري و يقتل / الف

(١) في الأصل : ولي .

(٢-٢) في الأصل : توسطوا المسلمين .

(٣) في الأصل : قالوا .

(٤) في الأصل : لا .

(٥) في الأصل : يقتلوا .

المسلمون فقال شريح: يا ابن [أبي] بكرة إنما أنت عبد حبشي، و شرفك
 بالبصرة حمامك و بستانك، فدع عنك هذه الرئاسة فإنا إنما قدمنا إلى
 هذا البلد لأجل الجهاد، و الله لا امتنا إلا كراما إن شاء الله. قال:
 ثم أقبل شريح على أهل الكوفة فقال: أخبروني عنكم ما ذا نقول غدا
 لشباب مذحج بالكوفة؟ إنا قد اشترينا اللوم بالكرم و الكفر بالإيمان
 و النار بالجنة كما فعل ذلك أمية بن عبد الله من قبلنا ثم قال: ألا من
 كان ههنا من مذحج و همدان فليتقدم معي إلى أعداء الله! قال: فأجابته
 الناس من كل ناحية بالتلبية. قال: و كان شريح بن هانيء في وقته ذلك
 قد نيف على مائة سنة و هو أحد المعمرين، و قد أدرك النبي صلى الله
 عليه و سلم و أبا بكر^١ و عمر و عثمان، و قد شهد وقعة الجمل و صفين^{١٠}
 و النهروان مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه. قال: فتقدم يومئذ
 عشرة آلاف رجل من أهل الكوفة و هو يرتجز و يقول:

أصبحت ذابث أقاسى الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا
 ثمّة^٢ أدركت النبي المنذرا و بعده صديقاه و عمرا
 و يوم مهران و يوم تسترا^٣ و الجمل المعروف يدعى عسكريا^{١٥}

(١) في الأصل: فأجابوه.

(٢) في الأصل: أبي بكر.

(٣) في الأصل: ثم، و في الطبرى ٧ / ٢٨٢: ثمّت؛ و التصحيح من ابن
 الأثير ٤ / ٢١٨.

(٤) في الأصل: ادركنا.

(٥) في الأصل: و يوم نهروان و يوم دسترا. و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير.

(٦) ليس المصراع في الطبرى و ابن الأثير.

و الجمع من صفتينهم و النهرا^٢ مبهات ما أطول هذا عمرا
 قال: فلم يلبث حتى حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل، و قتل^٣ جميع من
 كان معه من أهل الكوفة. و أما ابن أبي بكره فإنه كره الموت، فصالح
 رتييل ملك كابل على أنه يضع عنه خراج عشر سنين و يعطيه ألف ألف
 درهم و يرهن عنده ابنه و أشراف قومه، ففعل ثم خرج من أرض كابل
 حتى صار إلى مدينة بست فنزلها، و بلغ ذلك الحجاج بن يوسف و أهل
 العراق؛ فأنشأ أعشى همدان وهو يقول في ذلك أبياتا مطلعها:
 ما بال حزن في الفؤاد يولج [و] دمك المنحدر المنهج

ب / ١٠٠ / إلى آخرها .

١٠ ابتداء أمر [ابن] الأشعث مع الحجاج بن يوسف

قال: فعندما دعا الحجاج بعبدة الرحمن بن محمد بن الأشعث فعقد له
 عقدا و ضم إليه جيشا، و قال: قد علمت ما نزل بشرح بن هاني^٤
 و المسلمين^٥ بأرض الكفار، و ما كان من هذا المناق عبيد الله بن أبي
 بكره و ما كان من صلحه مع رتييل، فسرا^٦ و لا تعرج على شيء حتى

(١) في الطبري و ابن الأثير: في .

(٢) قبله في الطبري و ابن الأثير: و باجميرات مع المشقرا .

(٣) في الأصل: قتلوا .

(٤) زيد في الأصل: الهاطل .

(٥) في الأصل: المسلمون .

(٦) في الأصل: فسير .

تدخل أرض الداور^١ من بلاد الترك و كابل، ثم فرق الجنود بها و ابلغ فيها الغاية لأبعدها. ثم مكثه الحجاج بن يوسف من الأموال و ضم إليه الأشراف من القبائل.

قال، و جاءت^٢ إخوة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، منهم قيس و إسحاق و المنذر و الصباح حتى دخلوا على الحجاج فقالوا: أيها الأمير^٣ لا توجه عبد الرحمن في هذا الجيش، فاننا نتخوف أن يخرج عليك^٤ قال: فتبسم الحجاج ثم قال: ليس هذا أول حسد الإخوة، وإنما أتم حسدتموه لأنه ليس من أممكم. فقالوا: أيها الأمير^٥ أما نحن فقد قضينا ما علينا و نحن خارجون معه^٦.

قال: و خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من الكوفة و معه ١٠ أشراف الناس و فرسان أهل العراق حتى صاروا إلى فارس، و بها يومئذ رجل يقال له هيمان^٧ بن عدي السدوسي في عسكر لجب، غير أنه كان عاملا للحجاج فخالفه و عصى عليه و خلع الطاعة. قال: فخاربه ابن الأشعث حتى هزمه من فارس إلى كرمان و قتل عامة أصحابه، ثم بعث برؤسهم

(١) الداور اسم إقليم خصيب و هو ثغر الفور من ناحية سجستان - معجم البلدان ٤/ ٢٨٠.
(٢) في الأصل: جاؤا.

(٣) في الطبري ٨/ ٤: « فأتى الحجاج عمه إسماعيل بن الأشعث فقال له: لا تبعثه فاني أخاف خلافه و الله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاية عليه طاعة و سلطانا، فقال الحجاج: ليس هناك هو لي أهيب و في أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتي » انظر ابن الأثير ٤/ ٢٢٠ أيضا.

(٤) من الطبري ٨/ ٥ و ابن الأثير، و في الأصل: هيمان.

إلى الحجاج وكتب إليه يخبره بموافقته إياهم .

قال : ثم سار ابن الأشعث إلى كرمان وكتب الحجاج إلى عبيد الله ابن أبي بكرة فعزله عن سجستان ، فخرج يريد العراق فأدركه الموت فمات في الطريق .

قال : و سار ابن الأشعث إلى رُخج فغزها و أقام بها . و جعل

الحجاج يكتب إليه و يستحثه و يأمره بالمسير إلى رتبيل و الاقتحام عليه

في بلده . قال : و عبد الرحمن يكتب إليه : أيها الأمير ! لا تعجل عليّ ، فاني

وجهت عيوني لياتوني / بأخبار البلد و أنا قادم عليه إن شاء الله و لا قوة

١٠١ / الف

إلا بالله . ثم كتب عبد الرحمن إلى رتبيل ملك كابل : أما بعد فانك عالج

١٠ قد تعديت طورك ، و دخلت في غير حدك ، و كسرت خراج أمير المؤمنين ،

و قتلت المسلمين ، و قد أهدر من أنهر ، و أنا سائر إليك في الحد و الحديد ،

و الخيل و الجنود ، ثم إني لا أعاملك معاملة من كان قبلي ، لكني أظأ

بلدك ، و أقتل ولدك ، و آخذ مالك ، و أسبي جريمك إن شاء الله . قال :

فلما ورد كتاب ابن الأشعث على رتبيل كتب إليه : أيها الأمير ! إنه

١٥ لم يدعني إلى قتال أصحابك إلا ما حملوني عليه و ما بدأوني به من الغدر

و سوء السيرة ، و لو لا ذلك لم أفعل ما فعلت ، و أنا نازل عند ما أحببت ،

و غير مخالف أيها الأمير فيما أردت - و السلام . قال : ثم وجه رتبيل

بكتابه إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى صار في جمع عظيم .

(١) في الأصل : روح ، و التصحيح من معجم البلدان ٤ / ٢٤١ و فيه : « رخج

.... كورة و مدينة من نواحي كابل » ؛ أو هي « زرنج » ، و هي نصبة بسجستان

- المعجم ٤ / ٣٨٥ .

قال: وعزم ابن الأشعث على الخلع والعصيان، وكره الدخول إلى أرض الداور، ثم إنه جلس فكتب كتابا عن لسان الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث: أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فاقتل فلانا و فلانا و ابعت برؤسهم إلى! قال: ثم سمي جماعة من رؤساء العسكر، و طوى كتابه و ختمه، ثم تركه حتى جف ختمه، ثم جعل يرسل إلى رجل بعد رجل من أجلاء عسكره فيخلو به فيقول: يا هذا! هل أذنت إلى الحجاج ذنبا؟ فيقول الرجل: لا والله أيها الأمير ما أعرف لي ذنبا إلى الحجاج، فيقول له: ويحك! فهذا كتابه إلى فيك بأمرني بقتلك، ولا والله ما كنت بالذي أقتل مثلك فاكم على هذا، قال: فلم يزل ابن الأشعث كذلك حتى غلظ قلوب الأشراف على الحجاج، ثم قال: ألا ترون أنه يكتب إلى و يأمرني بالدخول إلى بلاد الداور و إلى أرض رتبيل و الإقدام عليه في بلده، و رتبيل في وقته هذا نيف على مائة ألف، والله ما يريد بهذا إلا أن تهلكوا كما هلك جيش ابن أبي بكر، و أخرى فانه قد سار فيكم بما قد علمتم و شردكم في البلاد، و قد نبت كتاب الله وراء ظهره، و أنا قد عزمت على خلع صاحبه ١٥ عبد الملك بن مروان، فاذا ترون؟ قالوا: ذا إليك أيها الأمير! و أمورنا تبسح لأمرك. قال: فاني أريد أن أقوم فأخطب، فاذا أنتم سمعتموني أذكر بني مروان تقوموا فتكلموا بما بدا لكم! قال: ثم نادى ابن الأشعث في أصحابه فجمعهم، ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه، ثم ذكر بني مروان و سوء سيرتهم و ما ارتكبوا من العامة، ثم ذكر الحجاج و ما صنع ٢٠

قبل ذلك بعبد الله بن الزبير و الحرم . قال : فوثب أولئك الرؤساء الذين أقرأهم الكتاب الذي صنعه عن الحجاج في قتلهم ، فقالوا : أيها الأمير ! فاخلعه - خلعه الله و خلعه صاحبه من رحمة اقال ابن الأشعث : فإنا قد خلعنا ابن مروان و خلعنا الحجاج بن يوسف ، و نحن منصرفون إلى جهادهم و محاربتهم إن شاء الله و لا قوة إلا بالله .

قال : و قد كان في عسكر ابن الأشعث رجل يقال له مصقلة بن رقة العبدى فأخذ على فجور فأتى به ابن الأشعث فأقام عليه الحد ، فلما كان ذلك اليوم و قال ابن الأشعث ما قال و خلع الحجاج و عبد الملك ابن مروان هرب مصقلة بن رقة هذا و هرب^٢ معه ثلاثة نفر ، منهم : غدافر بن يزيد التيمي و لارى بن شقيق بن ثور السدوسى و قتادة بن قيس الكندى ، فهربوا حتى لحقوا بالحجاج فأخبروه بذلك . قال : و بلغ المهلب بن أبى صفرة ما قد عزم عليه ، فكتب إليه من مدينة مرو .

ذكر كتاب المهلب بن أبى صفرة إلى عبد الرحمن

ابن محمد بن الأشعث

١٥ أما بعد يا ابن الأخ ا فانك قد وضعت رجلك في ركاب طويل النى لامة محمد صلى الله عليه و سلم ، فأشددك بالله يا ابن الأخ ألا تداركت هذا في نفسك ، أترك المشركين و تقاتل المسلمين ، لا تفعل يا ابن الأخ !

(١) في الأصل : فوثبوا .

(٢) في الأصل : هربوا .

و اذكر بلاء الحجاج عندك ا إنه جمع لك أهل المصريين جميعا : البصرة
والكوفة ، ثم إنك تريد أن تنقص ثغورهم و تضرب بعضهم ببعض ،
مهلا يا ابن الأخ ا واحذر العار في العاجلة و النار في الآجلة - و السلام .

قال : و توارت الأخبار إلى الحجاج بما قد / عزم عليه ابن الأشعث
فقال : أما إن إخوته قد نصحوني فلم أقبل ذلك منهم .

قال : و عزم ابن الأشعث على المسير إلى العراق لمحاربة الحجاج ،
ثم دعا عبد الله بن عامر التيمي^٢ فاستخلفه على بجمستان و أمره بمداواة
رتيل ملك الداور ، ثم جعل يجمع الناس و يعطيهم و يعدمهم و يمنهم ؛
فقال له أعشى همدان : أيها الأمير ا أما لنا منك نصيب ؟ فقال له ابن الأشعث
ثكلتك أمك أبا المصبح ا إن هذه أيام مداواة ، و لكن امهلني إلى أن يثني
لي الوسادة و نظفر ببعض ما تريد ، ثم انظر بعد ذلك " هل تحس منهم
من احد او تسمع لهم ركزا " .^٣

ذكر وفاة المهلب بن أبي صفرة و وصيته عند موته

قال : و حضرت المهلب بن أبي صفرة في تلك الأيام الوفاة و هو
يومئذ بمدينة مرو الروذ ، فدعا بينه فأجلسهم بين يديه فقال : يا بني ا
إني أوصيكم بتقوى الله و صلة الرحم ، فان تقوى الله يعقب الجنة ،
و صلة الرحم تنسى في الأجل و ثرى المال ، و تجمع الشمل ، و تكثر

(١) انظر الطبري ١٠ / ٨ لهذا الكتاب .

(٢ - ٢) من الطبري ٩ / ٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٢٤ ، و في الأصل : بعاصم بن
عبد الله التيمي .

(٣) سورة ١٩ آية ٩٨ .

العدد ، و تعمر الديار و تعز الجانب ؛ و أنها كم عن معصية الله و قطيعة
 الرحم ، فانها تعقب الذلة ، و تورث القلة ، و تقل العدد ، و تفرق الشمل ،
 و تدع الديار بلاقع ، و تذهب بالمال ، و تبدى العورة ؛ و عليكم يا بنى
 باكرام قومكم ، فانه ليس لكم عليهم فضل ، بل الفضل لهم عليكم إذ سودوكم
 ٥ و فضلوكم على أنفسهم ؛ فانظروا إن سألوكم فأعطوهم ، و إن شتموكم
 فاحتملوهم ؛ و احذروا الجواب ، و اتقوا زلة اللسان ، فان الرجل نزل
 قدمه فيقوم من زلته ، و يزل لسانه فيكون فيه هلكته ؛ يا بنى ! اصطنعوا
 المعروف و حبوه ، و انهوا عن المنكر و اجتنبوه ، و آثروا الحق على الباطل ،
 و الجود على البخل ، و العرب على ما سواهم ، و سودوا كباركم ، و عرفوا
 ١٠ فضل ذوى أنسابكم ، يعظم بذلك منازلكم ، و ارحموا صغيركم ، و وقروا
 كبيركم ، و أجيروا يتيمكم ؛ و عودوا عليه بما قدرتم ، و خذوا على أيدى
 سفهائكم ، و تعاهدوا فقراءكم و جيرانكم ، و اصبروا للحقوق و نواب الدهر ؛
 ١٠٢ / ب و عليكم فى الحرب بالأناة ؛ و التؤدة عند اللقاء ؛ و إياكم و الطيش و العجلة ؛
 و الزموا الطاعة و الجماعة ، و إياكم و الخلاف و الفرقة ؛ و عليكم بحفظ
 ١٥ القرآن و السنن و الفرائض ؛ و تأدبوا بأداب الصالحين من سلفكم ،
 و لانبالسوا أهل الدعارة و الريبة ، و إياكم و الخفة و الخوف فى مجالسكم
 و إياكم ؛ كثرة الكلام فى غير حاجة ؛ فانه لا يكاد يسلم صاحبه ، و أدوا
 ما يجب عليكم من حق الله ، و اعلموا يا بنى أنى قد أبلغت إليكم فى
 وصيتى ، و جعلت لله الحجة عليكم فى تركها ، و الثواب من الله على المحافظة

(١) فى الأصل : يزل .

عليها

(٣٠)

١٢٠

عليها، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته^١.
قال: ثم توفي بمروالروذ فقبره بها؛ فقال فيه نهار بن توسعة
هذين البيتين:

ألا^٢ ذهب^٣ الغزو المقرب للغنى^٤ و مات الندى و الجود بعد المهلب
أقاما^٥ بمروالروذ رهن ضريحه^٥ و قد^٦ فقدنا من^٦ كل شرق و مغرب^٧ ه
قال: ثم أنشأ كعب بن معدان الأشقري^٨ أيضا يرثيه و هو يقول:
ترحلت الأجياد تبغى عييدها^٩ أخا الحرب وارتته السفائف و القبر
يقولون هل بعد المهلب نعمة^٩ من العيش إلا قد أتى دونها الدهر
و لا نائل إلا قليل مصدد^٩ قليل الغنى في الناس مطلبه و عر
و هدت لذاك الأرض حتى كأنها^٩ بكته^٩ الجبال الصم و انصدع الفجر ١٠
و أظلمت الآفاق حتى كأنما^٩ يرى دون ضوء الشمس من دونها ستر

(١) انظر لوزنية المهلب الطبرى ٨ / ١٩ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٠ و جمهرة خطب
العرب ٢ / ٢٧٢ .

(٢) من الطبرى ٨ / ٢٠ و ابن الأثير، و فى الأصل: إذا .

(٣-٣) فى ابن الأثير: المعروف و الغزو و الغنى .

(٤) فى ابن الأثير: اقام .

(٥-٥) من ابن الأثير: و فى الطبرى: رهني ضريحه؛ و فى الأصل: ما بين حانها .

(٦-٦) فى الطبرى: غيبا عن؛ و فى ابن الأثير: غاب عنه؛ و فى الأصل فقدوا من .

(٧) زيدت بعده خمسة أبيات فى الطبرى و ابن الأثير .

(٨) فى الأصل: الأشعري .

(٩) فى الأصل: نبيه - كذا .

فمن ذا الذي يرجى لكل عزيمة تحمل بنا أو من يسد به الثغر
 بقينا بحالات أبي الدهر دونها عرى الحزم والمعروف والنائل الغمر
 أيرجون أن يعرى سمرقند غيرها^١ وعليا بخارستان و انقطع النهر
 قال : فلما مات المهلب صار أمر خراسان إلى ابنه يزيد ، فقال^٢
 أصحاب ابن الأشعث : أيها الأمير ! إنك قد عزمت على المسير إلى العراق ،
 و لو بدأت بخراسان فأخذتها و استوليت عليها فانها الثغر الأعظم ! فقال
 ابن الأشعث : إنه لو كان غير يزيد بن المهلب بها لفعلت ذلك ، و لكن
 يزيد رجل جليل القدر له عشيرة و طاعة في قومه ، و دان^٣ الناس له
 بالسمع و الطاعة ، و أنا أكره أن أبدأ بنفسى بالانهزام ، و لكن / أسير
 إلى الحجاج بن يوسف ، فان ظفرت بالعراق فما^٤ أسرو الله أمر خراسان
 إن شاء الله و لا حول و لا قوة إلا بالله [العلي] العظيم .

١٠ / الف

ذكر مسير ابن الأشعث إلى العراق لمحاربة الحجاج

قال : ثم سار ابن الأشعث يريد الحجاج فكان معه أخوه القاسم
 فلم يفارقه ، قال : و سار ابن الأشعث حتى صار إلى كرمان فأقام بها

(١) في الأصل : كحالات .

(٢) في الأصل : و غيرها .

(٣) في الأصل : فقالوا .

(٤) في الأصل : دانوا .

(٥) في الأصل : فلما .

(٦-٦) في الأصل : « يزيد بن المهلب فكانوا معه و أقام معه أخوه القاسم فلم يفارقه » كذا غير واضح .

أياما، ثم استعمل عليها هارون بن دراع الخنفي، وخرج منها يريد أرض فارس، وقد ركب نجيبا له برجل مدج ولبس حلة صفراء والناس عن يمينه وشماله وهو يتمثل بقول مهلهل الثعلبي حيث يقول:

وأعز من ولد الأراقم ماجد صلت الجبين معاود الإقدام
خلع الملوك وصار^٢ تحت لوائه غرّ الوري وأكابر الأقسام ٥
قال: وسار حتى دخل أرض فارس فأقام بها أياما، ثم رحل عنها وركب نجيبا له برجل مدج وعليه حلة حمراء وهو يتمثل بقول الحارث بن وعله^٢ الجرمي حيث يقول:

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم حربا تزايل^٤ بين الجيرة الخلط
أم هل دلفت^٥ بجرار له لجب^٦ جم الصواهل^٦ بين السارة^٧ الفرط ١٠

(١) كذا في الأصل، وفي ابن الأثير ٤/ ٢٢٤: جعل على كرمان حربشة بن عمرو التميمي - انظر الطبري ٨/ ٩ أيضا.

(٢) في الأصل: سار؛ وفي الكامل للبرد ص ١٥٥ ورد هذا البيت هكذا:
قتل الملوك وصار تحت لوائه شجر العرا وعراعر الأقسام
انظر أيضا الأخبار الطوال ص ٣١٧ ومروج الذهب ٢/ ١٢٥.

(٣-٣) في الأصل: وعله بن الحارث، والتصحيح من نزهة الأبصار ١/ ٧١٤
والطبري ٨/ ١٠.

(٤) في الطبري: تفرق، وفي الكامل للبرد ص ١٥٥ ونزهة الأبصار ١/ ٧١٥: تزييل.

(٥-٥) في نزهة الأبصار: أم هل علوت. وفي الكامل والطبري: وهل سموت.

(٦-٦) في نزهة الأبصار: يغشى المخاوف.

(٧) في الطبري والكامل للبرد: اللحم و؛ وفي نزهة الأبصار: السهل و.

و هل تركت نساء الحى ضاحجة يوقدن وسط بيوت الحى بالمنط^١
 قال: الهيثم بن عدى^٢ فأنبأني عبد الله بن عياش^٣ [عن] الشعبي قال:
 كانت بفارس عجلة من بنات الفرس يقال لها، أمير زاد^٤ وكانت من
 أجمل الناس، وكانت لا يبيت الرجل عندها إلا بمائة درهم، وكان مع ابن
 الأشعث رجل من بنى تميم يكنى أبا حراثة وكان صاحب دعاية و مضاحكة،
 فبات عندها ولم يكن معه شيء يعطيها، فدفع إليها سرج برذونه، فلما هم
 ابن الأشعث بالرحيل من فارس عرض له أبو حراثة هذا، فلما رآه ابن
 الأشعث قال: ما وراءك يا أبا حراثة؟ فجعل يقول:

أمير زاد ذهبت بالسرج في فتنه الناس وهذا الفرج

قال: فضحك ابن الأشعث وقال: استفكوا له سرجه، قال: وبلغ
 / الحجاج بن يوسف فقال: ويلي عليه عدو نفسه يعاقب مصقلة بن رقة
 العبدى على الزنى و استفك سرج الزناة، إني لأرجو أن يخزيه الله
 إن شاء الله.

(١) المصراع في زهرة الأبصار والطبرى والكامل: « في ساحة الدار يستوقدن
 بالغبط ».

(٢) الهيثم بن عدى الطائى أبو عبد الرحمن المنبجى ثم الكوفى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ -
 انظر لسان الميزان ٢٠٩/٦.

(٣) في الأصل: عباس، والتصحيح من لسان الميزان ٣/٣٢٢، وفيه: « روى عن
 الشعبي وغيره، و روى عنه الهيثم بن عدى ».

(٤) في الأصل: له.

(٥) لم نظفر بها.

قال: فجميع الحجاج أصحابه نخطبهم ثم قال: أيها الناس! إن هذا
 الفايق عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قد خلع الطاعة و فارق الجماعة
 و سار إلى ما قبلكم فهاتوا آراءكم! قال: فوثب عليه سلة بن عبد الله
 المنقري قال: أيها الأمير! رضينا بالله ربا، و بمحمد صلى الله عليه و سلم
 نبياً، و بالإسلام ديناً، و بالقرآن إماماً، و بعبد الملك بن مروان خليفة، و
 و بك أميراً، أصلح الله الأمير! إن لم يكن نبي و لا كتاب و لا إمام لما
 رضينا بالحائك ابن الحائك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. قال فقال
 الحجاج: هذا كلام حسن لا أردّه عليك و لا أدخله صدأى حتى أبلو
 ما عندك. قال: ثم عقد له الحجاج عقداً و ضم إليه خيلاً، و أعطاه
 عشرة آلاف درهم؛ فهرب حتى لحق بابن الأشعث فصار معه. ١٠
 ثم وثب في ذلك الوقت حنظلة بن الحارث الضبابي فقال: أصلح الله
 الأمير! إنك قد وليت بلاد سجستان غلاماً سفياً، و لم يكن لذلك أهلاً،
 و أنا أرجو أن يدركه الله بأحدى عثراته! قال فقال له الحجاج: يا حنظلة!
 أما بالأمس فقلت لى إنه سيد الناس و فتى العرب، و اليوم تقول إنه
 غلام سفية. و الله المستعان. ثم نزل الحجاج عن المنبر و دعا بحنظلة بن ١٥
 الحارث هذا، فعقد له عقداً و ضم إليه خيلاً و أمر له بعشرة آلاف
 درهم؛ فهرب حتى لحق بابن الأشعث فصار معه.

قال: و جعل الحجاج يتألف الناس و الناس دون عيونهم
 إلى ابن الأشعث، فلما رأى ذلك كتب إلى عبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين!

(١) في الأصل: بالأقران - كذا.

الغوث الغوث من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ١ و إني قد
 و جهت إليك لازي ١ بن شقيق السدوسي فليسأله أمير المؤمنين عما صنع
 ابن الأشعث - و السلام . قال : فلما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك
 ابن مروان و قرأه قال : لاحول و لا قوة إلا بالله ، قال : هات ويحك
 يا لاوي ١ / ما عندك من الخبر اقال : فجعل لاوي ١ بن شقيق يحدثه له بخروج
 ابن الأشعث و ما كان منه ، و عبد الملك بن مروان يتغير وجهه ساعة
 بعد ساعة ، ثم جعل يتمثل بقول ٢ الحارث بن و علة ٢ الجرمي ، هو يقول :
 ما بال من أسعى لتجبر ٢ عظمه حفاظا و ينوى من سفاهته كسرى
 أعوذ على ذى اللب و الجهل منهم بحلى و لو عاقبت غرقهم بحرى ٢
 ١. أناة و حلما و انتظارا بهم ٢ غدا فما أنا بالفاني ٢ و لا الضرع الغمر
 و إني و إياهم بمنزلة ٢ القطا و لو لم تنبه ٢ كانت ٢ الطير لا تسرى

(١) وقع في الأصل هنا « لاي ١ » و قد مر في ص ١١٨ « لاوي » .

(٢-٢) في الأصل : و علة بن الحارث - خطأ .

(٣) في الكامل للبرد ص ١٥٥ : لأجر .

(٤) ليس البيت في الكامل للبرد و نزهة الأبصار ١ / ٧٠٥ .

(٥) في نزهة الأبصار : بكم .

(٦) في نزهة الأبصار و الكامل : بالواني . و زيد في الكامل : « و ينشد : بالفاني » ،

و في مروج الذهب ٢ / ١٣٥ : بالقالى .

(٧) في الكامل للبرد و نزهة الأبصار و الأخبار الطوال ص ٣١٧ : كمن تبه .

و ليس البيت في مروج الذهب .

(٨) من الكامل للبرد و نزهة الأبصار ، و في الأخبار الطوال : لم يته ، و في

الأصل بدون نقط .

(٩) في الكامل للبرد و نزهة الأبصار و الأخبار الطوال : باتت .

أظن 'صروف' الدهر والجهل منهم 'ستحملهم' منى على مركب وعر
 ألم تعلوا أنى 'صبور على الأذى' وأن قناتى لا تلين على الكسرة
 قال: ثم قام عبد الملك بن مروان فى أهل الشام خطيباً ، فحمد الله
 وأثنى عليه و قال: يا أهل الشام إن أهل العراق قد استعجلونى قدرى
 قبل انقضاء أجلى ، اللهم فلا تسلط علينا ظالماً ، ولا تسلطنا على ظلم
 ولى من أوليائك ، اللهم أصيبت سيوف أهل الشام على العراق حتى
 يبلغوا رضاك ، فاذا بلغوا بهم رضاك فلا تجاوز بهم سخطك إنك على
 كل شى قدير . قال: ثم نزل عن المنبر و دخل إلى منزله فجعل يعطى
 الناس و يجهزهم إلى العراق ، و بعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فدعاه -
 و كان خالد بن يزيد علامة بأيام الناس عارفاً بكتب الفن ، فقال له :
 وبحك يا أبا هاشم هل تتخوف اليوم علينا من الرايات السود شيئاً ؟

(١) فى الأخبار الطوال : إخال .

(٢) فى الكامل للبرد : خطوب .

(٣-٣) فى نزهة الأبصار : والجهل منكم ؛ وفى الأخبار الطوال : لالحين منهم ؛

وفى الكامل للبرد : بينى وبينهم . وفى مروج الذهب : بينى وبينكم .

(٤) من الأخبار الطوال و الكامل للبرد ، وفى نزهة الأبصار : سيحملكم ؛

وفى الأصل : سيحملهم . وفى مروج الذهب : ستحملكم .

(٥-٥) فى نزهة الأبصار : تخاف عرامتى ، وفى مروج الذهب : تخاف عزائى ؛

و ليس البيت فى الكامل للبرد والأخبار الطوال .

(٦) فى نزهة الأبصار : القسر .

فاننا نجد في الكتب أن ذهاب ملكنا على أيديهم؛ قال له خالد: وما

اسم [بلد] هذا الرجل الذي خرج عليك يا أمير المؤمنين؟ قال:

مجستان؛ قال خالد: الله أكبر لا تخف؛ يا أمير المؤمنين ما لم يأتك الأمر

من قهر مرو؛ قال: وجعل عبد الملك بن مروان لا ينام الليل من

الفكر والغم، وربما جمع وأغنى ثم يستيقظ كالفرع المرتوب وهو

يقول: لقد تركني ابن الأشعث في هجوع، اللهم أدركه واكفي أمره

كيف شئت وأني شئت.

قال: وفصل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من أرض فارس،

ثم كتب إلى عباد بن الحصين الحبطي، وعباد يومئذ بالبصرة، فكتب إليه:

أما بعد فقد عرفت رأيك وفضلك وقدرك وحالك وطاعتك في قومك

وأهل مصرك، وقد عرفت الحجاج وسوء أثره فيكم، فاكتب إلى رأيك

أتبعه فانك المستمع منه والمقبول قوله - والسلام. قال: فورد كتاب

ابن الأشعث على عباد بن الحصين الحبطي، وعباد يومئذ شيخ كبير

(١) في الأصل: انتم - كذا.

(٢) زدنا لاستقامة العبارة.

(٣) في الأصل: من مجستان.

(٤) في الأصل: لا تخاف.

(٥) في الأصل: هجماع.

(٦) في الأصل: اكفيني.

(٧) في الأصل: الحنظلي؛ والتصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ١٩٧.

لا يستمتع منه بشيء إلا برأيه . فلما ورد عليه كتاب ابن الأشعث وقرأه قال : أوه ! لو قال هذا القول لي وبي حراك أو نهوض لأبليت لله وللمسلمين بلاء حسنا ! قال : ثم إنه كتب إليه : أما بعد يا ابن الأشعث ! فاني لا أرى شيئا هو لك أمثل ولا خير لك من أن لا تمكن أهل البصرة من أذنك ، وإذا رأيت رأيا فأمضه - والسلام .

قال : فعندما دعا ابن الأشعث برجل من أشداه أصحابه يقال له عطية بن عمرو العنبري ، فضم إليه أربعة آلاف فارس وأمره أن يسير إلى كور فارس ورسايقها فيجبي أموالها ولا يترك أحدا من شيعة الحجاج إذا قدر عليه إلا قتله . قال : فسار عطية بن عمرو في البلاد فجعل يجمع الأموال و يبعث بها إلى ابن الأشعث ، و ابن الأشعث يفرقها في ١٠ الناس و يقوم بها و يأمرهم بالاستعداد للحرب و القتال ، فأنشأ أعشى همدان يقول في ذلك :

من مبلغ الحجاج أ نني قد نذبت إليه حربا
حربا مذكرة عوا نا تترك الشبان شيئا
و تجندل البطل الكم ي و تملأ الرعيد رعبا
نبئت أن ابن يو سف خر من زلق قبا
فابعث عطية في الخبو ل يكبهن عليك كبا

قال : و سار ابن الأشعث حتى نزل إلى الأهواز ، و بلغ ذلك

(١) في الأصل : شها .

(٢-٢) في الطبري ٤١/٨ : أن بُني ؛ و في نزهة الأَبصار ١/١٨١ : حجاج بن .
والآيات التالية ليست فيها .

(٣) في نزهة الأَبصار : الجيوش .

الحجاج و هو يومئذ بالبصرة ، فدعا بالحكم بن أيوب^١ ، بن أبي عقيل فاستخلفه على الصلاة ، و جعل عبد الله بن عامر بن مسمع على شرطة البصرة ، ثم جمع الناس و خرج في جيش كبير حتى نزل على سبعة^٢ فراسخ من الأهواز .
^٣ فدعا بعبد الله بن رميثة الطائي من أهل حمص و مطهر بن الحر العنكي من أهل الأردن ، فضم إليهما^٤ ثمانية آلاف / فارس و أمرهم بالمسير إلى ابن الأشعث جادا مجدا .

وهذه أول وقعة كانت لابن الأشعث مع الحجاج

قال : فسارت الخيل حتى نزلوا بساحة ابن الأشعث ، قال : و عبي ابن الأشعث أصحابه و سار حتى وقف على نهر دجيل^٥ ، ثم صاح بفرسه
 ١٠ و عبر فعبه^٦ الناس معه إلى خيل الحجاج و دنا^٧ القوم بعضهم من بعض فاقتلوا ساعة من النهار ، و تقدم رجل من همدان من أهل الكوفة من

(١) في الأصل : أبي أيوب ، و التصحيح من تاريخ ابن عساکر ٣٨٩/٤ و الطبري ١١/٨ .

(٢) في الأصل : سبع .

(٣) زيد في الأصل : و بلغ ذلك الحجاج - كذا .

(٤) من الطبري ١٠/٨ ، و وقع في الأصل : دميت - مصحفاً .

(٥-٥) من الطبري ، و في الأصل : حي العنكي .

(٦) في الأصل : إليهم .

(٧) في الأصل : دستر ، و التصحيح من الطبري ١٠/٨ و ابن الأثير ٢٢٥/٤ .

(٨) في الأصل : فعبوا .

(٩) في الأصل : دنوا .

أصحاب ابن الأشعث وفي يده راية له سوداء، فجعل يحمل على أصحاب
الحجاج فرقة يطاعنهم بالراية و مرة يضاربهم بالسيف، فلم يزل كذلك
حتى قتل منهم جماعة . قال : فصاح به رجل منهم من أهل الشام :
حسبك يا صاحب الراية من دماثنا في هذا اليوم ! قال : و كثر القتل في
أصحاب الحجاج .

قال : و بلغ ذلك الحجاج و ذلك في يوم الاضحى و الحجاج واقف
على الجسر يخطب ، فصعد إليه رجل من أصحابه فأخبره بالخبر . قال :
فتزل الحجاج من منبره مسرعاً ، ثم أمر بالاثقال و بالاموال فوضعت في
السفن ، و وقف ينتظر ما يكون من أمر أصحابه ؛ قال : و إنه لكذلك
إذ أتاه الخبر بأن أصحابه الثمانية آلاف قد قتلوا بأجمعهم فما انفلت منهم أحد ،
قال : فجلس الحجاج في سفينة و مر في جوف الليل هاربا منهزما حتى
دخل البصرة بأشد حالة تكون .

قال الهيثم بن عدى قال أنبأني عبد الله بن عياش قال : كان لأهل
العراق على أهل الشام البصر و الظفر في ثلاثة مواطن ، قتلوا منهم ستة
و ثمانون ألفاً ، منها وقعة بابل^٢ يوم يزيد بن أنس الأسدي^٣ رحمه [الله] ١٥
حين وجه به المختار ، قتل من أهل الشام ثمانية آلاف ؛ و منها وقعة خازر^٤

(١) في الأصل : عباس - خطأ .

(٢) بابل - بكسر الباء و تشديد اللام مقصور - قرية كبيرة بظاهر حلب
بينها نحو ميل - معجم البلدان ١٧/٢ .

(٣ - ٣) في الأصل : أنس بن يزيد السعدي ؛ و التصحيح من الفتوح ١٤٠/٦
و الطبري ١١٣/٧ .

(٤) في الأصل : حارد ، و التصحيح من معجم البلدان ٣٨٨/٣ ، وفيه « هو =

مع إبراهيم بن الأشتر، قتل عبيد الله بن زياد و قتل معه نيف على سبعين ألفاً؛ ومنها يوم دجيل، قتل منهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ثمانية آلاف.

قال: و أقبل ابن الأشعث على أصحابه فقال: يا أهل العراق! أما هذا الذي كان فليس عندي بشيء، و لكني أريد عبد الملك بن مروان. قال: ثم أقبل من دجيل في طلب / الحجاج إلى البصرة، و بلغ ذلك الحجاج فقطع جسر الأبله و ضم الأسواق ثم نادى في عسكره و قال: يا أهل الشام! انظروا لا تتركوا بالمسكلاً شيئاً من العلف و الطعام إلا أخذتموه و نقلتموه إلى العسكر، فانما الناس أحد رجلين: فمن لحق ما أعطيناه من طعامه و علفه، و من لحق بعدونا فدمه حلال لنا.

قال: و أقبل ابن الأشعث و نزل بالبصرة ثم قال: عليّ بعباد بن الحصين الحبطي^{١٢} فانه شيخ بني تميم، و إني أحب أن آخذ برأيه. قال: فأتى بعباد بن الحصين يحمل في محفة له حتى قد بين يديه، فلما رآه رحب به و قرّبه ثم قال: يا أبا جهضم! أشر على برأيك، فقال له عباد ابن الحصين: أيها الأمير! إنك قد أسأت الرأي حين سرت من سجستان إلى العراق و لم تبدأ بخراسان فتأخذها فتكون قد جمعت أمر الثغر جميعاً،

= موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد و إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في أيام المختار و يومئذ قتل ابن زياد الفاسق.

(١) في الأصل: دستر.

(٢) في الطبري ٨ / ١١: «خطب ابن الأشعث أصحابه فقال: أما الحجاج فليس بشيء و لكننا نريد غزو عبد الملك».

(٣) في الأصل: الحنظلي.

و أسأت أيضا حين هزمت أصحاب الحجاج بدجيل^١ ولم تنزل الأهواز
 فبعث إلى البلاد فتأخذها و ترك الحجاج مهنا يموت جزعا^٢ ، و الآن
 فان رأى عندى أن ترك المرید^٣ و تضرب فيه عسكرك و تخندق على
 نفسك خندقا ، فان الحجاج قد نزل الزاوية^٤ ، فان جاءتك خيل من قبله
 أخرجت إليها خيلا مثلها ، قال فقال له عبد الحميد بن المنذر بن الجارود : ه
 ويحك يا أبا جهضم ! أنخندق خندقا على المرید و فيه دور بنى أمية و دور
 الأزد و دور عبد القيس ! لا والله ما هذا برأى ! قال : فغضب عباد بن
 الحصين ثم قال : ويحك يا عبد الحميد ! إن الأمر عندنا أعظم من أن ينظر
 فى الدور ، إن غلبنا الحجاج فما أقدرنا على الدور ! فقال عبد الحميد :
 لا ولكنى أرى من رأى أن تنزل الخريبة^٥ فتعسكر بها ثم تقاتل
 عن البصرة كلها ، قال : فوقع هذا رأى بقلب الأشعث فأخذ به .
 ثم نزل الخريبة فعسكر بها ، ثم خندق على نفسه خندقا ، و صار إليه
 أشراف الناس من قريش و سائر العرب ، و عزم الحجاج على حربه .

(١) فى الأصل : بدستر .

(٢) فى الأصل : و جزعا .

(٣) فى معجم البلدان ٨ / ١٢ : « مرید البصرة من أشهر محالها و كان يكون سوق
 الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس » .

(٤) موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج و عبد الرحمن
 ابن محمد بن الأشعث قتل فيها خلق كثير من الفريقين و ذلك فى سنة ٨٣
 للهجرة - المعجم ٤ / ٣٧١ .

(٥) فى معجم البلدان ٣ / ٤٢٦ : « الخريبة - بلفظ تصغير خربة - موضع بالبصرة » .

وهذه الواقعة الثانية بالبصرة بين ابن الأشعث

١ / الف

و بين الحجاج بن يوسف

قال : و دنا^١ القوم بعضهم من بعض ، و الحجاج يومئذ في ثلاثة
و عشرين ألفا من أهل الشام و من تبعه من أهل العراق ، و ابن الأشعث
في زهاء عن ستين ألفا . قال : و جعل الحجاج يقول لأصحابه : أيها الناس !
إن حدث بي^٢ حدث فأمركم من بعدى حكم بن أيوب^٣ بن الحكم ، فإن
أصيب فسفيان بن الأبرد الكلبى ، فإن أصيب فيزيد بن هيرة المحاربى .
قال : فزحف^٤ الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من
أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خمسمائة نفر من أشد أصحابه ،
١٠ منهم : عطية بن عمرو العنبرى ، و الحريش بن هلال السعدى ، و عبد الحميد
ابن المنذر بن الجارود العبدى^٥ ، و زياد بن مقاتل الجهدرى^٦ و عبد الله
ابن رزام^٧ الحارتى ، هؤلاء الخمسة من فرسان أصحاب ابن الأشعث ؛ و قتل
من أصحاب الحجاج أيضا جماعة ، فانتصف^٨ بعضهم من بعض ، و جاء
الليل فحجز بين الفريقين . فدعا ابن الأشعث بعبد الرحمن بن العباس

(١) في الأصل : دنوا .

(٢) زيد في الأصل بعده : في .

(٣) في الأصل : عبد الرحمن . (٤) في الأصل : فزحفوا .

(٥) في الطبرى ٨ / ١٢ : المنذر بن الجارود .

(٦) كذا ، و لعله : الجهدرى .

(٧) في الأصل : دارم ؛ و التصحيح من الطبرى .

(٨) في الأصل : فانتصفوا .

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فاستخلفه على أصحابه و أمره بحرب الحجاج و أصحابه ، ثم خرج ابن الأشعث من عسكره في جوف الليل في ألف فارس من أبطال عسكره فسار في الأجمة على الظهر حتى دخل الكوفة فأخذها ، و أصبح الناس و قد فقدوا ابن الأشعث فلم يعلموا ما حاله و خبره إلا الذين أعلمهم من خاصته . قال : و تراخف القوم بعضهم من بعض فاقتلوا ، و أقام الحرب بين الحجاج ، و بين عبد الرحمن ابن العباس خليفة ابن الأشعث من بين يدي الحجاج و انهزم أصحابه حتى صاروا إلى الكوفة ، و ابن الأشعث بها و قد احتوى على بيت مال الحجاج فأخذ جميع ما فيه ، و قد أخذ أيضا عامل الحجاج الذي كان بالكوفة و اسمه مطر بن ناجية^٢ ؛ قال : فهم ابن الأشعث بقتله ، فقال : أيها الأمير ! فاني من شيعتك ! قال : فاستبقاه ابن الأشعث و أمره ، / فصعد المنبر فشم الحجاج و عبد الملك بن مروان جميعا و لعنهم ، ثم حرض على قتال أهل الشام ؛ فأنشأ رجل من أصحاب الحجاج يقول في ذلك أياتا مطلعها :

أبني تميم ما لمنبر ملككم ما يستقر بعوده يتمرر

١٥

إلى آخرها .

قال : و بلغ الحجاج أن ابن الأشعث قد أخذ الكوفة و احتوى على

(١) في الأصل : تراخفوا .

(٢) في الطبري ٨ / ١٤ : « ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة و قد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف حرب بن أمية على الكوفة » .

بيت المال ، فضاعت عليه الأرض بما رحبت ولم يدر ما يصنع ، غير أنه جمع أصحابه فأعطاهم الأرزاق وأمرهم بالاستعداد ، ثم دعا بالحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو ختن الحجاج على أخته زينب فاستخلفه على البصرة ثم سار يريد الكوفة ، حتى إذا تقارب منها عدل ه و ضرب عسكره بموضع يقال له دير الجماجم على سبعة فراسخ من الكوفة ، فنزل هنالك بأصحابه وأولياته - والله أعلم وأحكم .

ذكر وقائع دير الجماجم

قال : وجعل الحجاج يقول لأصحابه : هذا موضع حسن و ليس بيني وبين أمير المؤمنين نهر يمنعني من المسير إليه ، ولي رستاقيان هما^٢ ١٠ في يدى بابل و الفلوجة . قال : وبلغ ابن الأشعث أن الحجاج قد نزل بدير الجماجم ، فدعا ببن عمه عبد الله بن إسحاق بن الأشعث فاستخلفه على الكوفة ، ثم جمع أصحابه و سار نحو الحجاج حتى نزل قريبا من دير الجماجم ، و كان بين عسكره و عسكر الحجاج بثق ماء مسدود ، إذا بثق لم يقدر أحدهم على قتال صاحبه ، فأرسل الحجاج إلى ذلك البثق ففتحه ١٥ خوفا على عسكره أن يكبس في جوف الليل .

(١) زيد في الأصل : أيوب - خطأ . في تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٨٩ : « الحكم

ابن أيوب بن الحكم الثقفى كان قد تزوج زينب أخت الحجاج » .

(٢) في الأصل : سبع - انظر معجم البلدان ٤ / ١٣١ .

(٣-٣) في الأصل : رستاقيان هم .

(٤) في معجم البلدان ٢ / ١٨ : « بابل - بكسر الباء - اسم ناحية منها الكوفة والحلة » .

(٥) انظر المعجم ٦ / ٣٩٨ .

قال : و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فضم إليهم أشرف أهل الشام و أهل الجزيرة ، و وجه بهم إلى الحجاج مددا له في سبعين ألفا ، ثم كتب إلى ابن الأشعث بالأمان له و لأصحابه على أنه يرجع عما هو عليه و يوليه أى بلد شاء ، و كتب أيضا إلى أهل العراق أنه قد بلغنى ما أتم عليه من شتمى و خلعى ، فان كنتم إنما تريدون عزل الحجاج عنكم عزلة ، و أخرجت أهل الشام من بلادكم ، و وليت عليكم من تحبون ، و لا يرى العراق شاما أبدا - و السلام .

قال : و أقبل عبد الله بن عبد الملك و عمه محمد بن مروان في سبعين ألفا حتى نزلوا بدير الجماجم و ضربوا عسكرهم ناحية من عسكر الحجاج ، ثم بعث عبد الله بن عبد الملك بن مروان بالأمان إلى ابن الأشعث الذى كتب له عبد الملك بن مروان ، و بعث أيضا إلى أهل العراق بكتاب عبد الملك بن مروان إليهم ، فعزم أهل العراق على أن يقبلوا ما فى الكتاب و أن يخذلوا ابن الأشعث ، ثم بلغهم بعد ذلك أن عبد الله بن عبد الملك و محمد بن مروان فى طاعة الحجاج ، أنهم يصلون خلفه ، فغضبوا لذلك و شتموا عبد الملك و الحجاج ، و عزموا على الحرب و المناجزة .

قال : و دنا القوم بعضهم من بعض ، فقال عبد الله بن عبد الملك

(١) فى الأصل : شام .

(٢) فى الأصل : فعزموا .

(٣) فى الأصل : دنوا .

ابن مروان : يا أهل العراق اخرجوا إلينا أشرفكم حتى نكلمهم وننظر ما إذا أتم عليه عازمون ا قال : بخرج^١ أهل العراق حتى وقفوا قبالة أهل الشام ، ثم انتسبوا بعضهم إلى بعض ، فلما قال عبد الله بن عبد الملك : أمير المؤمنين ، قال^٢ أهل العراق : أما عبد الملك فقد عرفناه ، وأما أمير المؤمنين فلا نعرفه ، وقد خلعنا أبا الديان - يعنون بذلك عبد الملك ابن مروان . قال : فرجع^٣ القوم بعضهم عن بعض ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ا أنى ا قد آن لكم بأن القوم ما يريدون خلعي ، إنما يريدون خلع أمير المؤمنين و خلعكم .

قال : ثم نادى الحجاج في أصحابه ، و نادى ابن الأشعث في أصحابه ، و دنا^٤ القوم بعضهم من بعض ، و قد كان الحجاج في ثلاثة و عشرين ألفا فجاء المدد في سبعين ألفا فصار في ثلاثة / و تسعين ألفا ، و ابن الأشعث يومئذ في زهاء عن ستين ألفا . فاقتل^٥ القوم هنالك قتالا شديدا لم يسمع بمثله . قال الهيثم بن عدى قال عوانة : فمن الناس من يقول إنهم اقتلوا أربعة أشهر و أقل من ذلك ، و أما عبد الله بن عباس^٦ فيذكر عن أصحابه ١٥ أنهم اقتلوا مائة يوم ، ليس من يوم إلا و ينتصف ابن الأشعث من الحجاج ،

(١) في الأصل : فخرجوا .

(٢) في الأصل : قالوا .

(٣) في الأصل : فرجعوا .

(٤) في الأصل : دنوا .

(٥) في الأصل : فاقتلوا .

(٦) في الأصل : عباس - خطأ .

و يزيد يومئذ في عسكر ابن الأشعث زهاء عن ثمانية آلاف رجل من
القرآء و الزهاد و العباد ممن يرى قتل الحجاج جهادا، منهم: محمد بن
سعد^١ بن أبي وقاص، و عبد الرحمن بن أبي ليلى^٢، و عبد الله بن شداد بن الهاد
الليثي، و عامر بن شراحيل الشعبي، و زاذان^٣ أبو عمر^٢ مولى كندة،
و أبو البخري الطائي، و مسلم^٤ بن يسار، و سعيد بن جبيرة^٥ - و أشباههم
من الناس على ذلك، مائة يوم مثل يوم واحد ما يفترون و لا يكبح
بعضهم من بعض. فلما كان في آخر الأيام اقتتلوا من صلاة المغرب إلى
أن أصبحوا، ثم رجع^٦ عن بعضهم بعض^٧ و قد قتل من الفريقين سبعة
عشر ألف إنسان، ثم وضعوا السلاح.

و صعد ابن الأشعث إلى منبر له في عسكره - قد كان حمله قبل ذلك
معه - فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن الحرب سجال تهلك فيها
أنفس الرجال، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما ظفر يوما^٨ قط حتى

(١) في الأصل: سعيد - خطأ، انظر الطبري ١٧/٨ و ابن الأثير ٢٢٨/٤.

(٢) في ابن الأثير: ليلة.

(٣-٢) في الأصل: ابن عمرو، و التصحيح من الطبقات لابن سعد ١٢٤/٦.

(٤) في الأصل: سليم، و التصحيح من الطبقات لابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٣٥

و تاريخ الإسلام للذهبي ٣/٢٣٢.

(٥) في الأصل: جبيرة - خطأ - انظر الطبقات لابن سعد ١٧٨/٦.

(٦) في الأصل: رجعوا.

(٧) في الأصل: بعضا.

(٨) في الأصل: يوم.

ينال منه ومن أصحابه ، فان كان هذا الامر في قريش ' فقد فقامم ' بيضة قريش ، و إن يكن في غيركم من العرب فانا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ' بن معدى كرب ، أيها الناس ! إنكم لتعيرون آل مروان بأمهم الزرقاء ، ولا والله ما كان لهم نسب قط أشرف من الزرقاء ! وإنكم تعلمون أن مروان هو الطريد بن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وإنه على منبره يقول ما يقول إذ نادى منادى الحجاج بالقتال ، فرحف القوم بعضهم إلى بعض ، فجعلوا يقتلون و يتناجزون و ابن الأشعث واقف على المنبر ، و إن السهام لتأتيه من بين يديه حتى تجوزه فما يستتر منها شيء و لا يتقيها ، لكنه ينظر إلى أصحابه كيف يقتلون / ١٠ الف / ١٠٨ فلم يزل كذلك حتى وقعت الهزيمة على أصحابه من خيل خرجت لهم في الكمين ، فروا منهزمين لا يقف أحد على أحد حتى دخلوا الكوفة ، فلما نظر ابن الأشعث إلى ذلك نزل عن المنبر فاستوى على فرسه ، ثم وقف على حامية الناس في قريب من ألف رجل ، فجعل مرة يحمل عليهم فيكشفهم ، و مرة يدنو من الكوفة ، فنظر إلى آياتها

(١-١) في الأصل : فقد بقيتم ؛ و في الطبري ١٦/٨ : فني فقتت . و في ابن الأثير ٢٢٨ / ٤ : فني تقويت .

(٢) زيد في الأصل : بن يزيد - خطأ ، والتصحيح من جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٩ .

(٣) في الأصل : الطريد .

(٤) في الأصل : فرحفوا .

فكبر و دخلها فجعل يجعل نساءه و حريمه و أولاده و أمواله حتى صار إلى السوس فزها و معه زهاء عن عشرة آلاف من أصحابه ، و سائرهم قد تفرقوا في البلاد .

قال : و الحجاج في موضعه ذلك بدير الجماجم لا يرجح حتى علم أن ابن الأشعث قد خرج ، فأقبل حتى دخل الكوفة و تلاجفت به الناس من دير الجماجم ، ثم دخل الحجاج إلى قصر الإمارة و دعا الناس إلى البيعة ، فبايعوه من كل ناحية ، قال : و تقدمت إليه قبائل النهج لتبايعه و تطابقه و تشايحه - و الله أعلم و أحكم .

ذكر مقتل كميل بن زياد رضى [الله] عنه

صاحب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ١٠

قال فقال الحجاج : يا معشر النخع ! أخبروني عن كميل بن زياد من أى قبيلة هو منكم ؟ فقالوا : من بنى الصهبان ، فقال الحجاج : لا والله ! لا خرجتم من الدار أو تأتونى به و إلا ضربت أعناقكم . قال فقال الهيثم بن الأسود و كان ممن يتمسك بطاعة بنى مروان : أصلح الله الأمير ! مهلا عن كميل بن زياد ، فان أمير المؤمنين عثمان بن عفان و أمير المؤمنين معاوية بن ١٥ أبي سفيان و ابنه يزيد و معاوية بن يزيد و مروان بن الحكم و أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كل هؤلاء قد عرفوا قدر كميل بن زياد ، و قد عرفوا رأيه و مذهبه فغفروا عنه ، فاعف عنه أيها الأمير ! قال : فغضب الحجاج ثم قال :

(١) في الأصل : اقبل .

أما والله يا ابن الأسود لتحسن أو لتكرهني فقال الهيثم بن الأسود: قد والله حميته عنك يا حجاج! قال: ثم خرج من عنده وأتى بكميل بن زياد رحمه الله - والحجاج في وقته ذلك مشغول برجل قدم إليه يقال له 'عتيبة بن النہاس' العجلي، فقال له الحجاج: / أنت 'عتيبة بن النہاس'؟ فقال: نعم أصلح الله الأمير أنا 'عتيبة بن النہاس'، فقال له الحجاج: يا عتبت! عدونا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؟ قال: نعم أيها الأمير بايعته خوفا على نفسي وأهلي وولدي ولم أقاتل معه أحدا، فليسعني عفوك واصطنعني - فقال الحجاج: يا عبد النخع أمقعد في الجماعة وصحيح في الفتنة! فعلت بعثمان بن عفان ما فعلت ثم عفا عنك يزيد و ابنه معاوية ١٠ ابن يزيد و مروان بن الحكم و أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ثم قدمت العراق فعفوت عنك و بررتك و رفعت قدرك، فلما نظرت إلى مطر بن ناجية - وهو أعرابي من أعراب بني تميم - يشتمني على المنبر و يشتم عبد الملك بن مروان نهضت معه في ذلك و صوّبت رأيه! قال: ثم التفت الحجاج إلى يزيد بن هبيرة المحاربي فقال له: يا يزيد! خذك إليك ١٥ فاضرب عنقه صبيرا، قال: فقدم كميل بن زياد رحمه الله فضربت

٢٠ / ب

(١-١) في الأصل: عتبة بن النہاس، والتصحيح من الإصابة ٥ / ١٠٥، وفيه: «عتيبة بن النہاس - بنون ومهملة - العجلي، واسم النہاس عبدل بن حنظلة بن يام - بتحتانية - ابن الحارث - كان من كبار العجلين، لكن لبس فيه سنة وفاته .
(٢) زيد في الأصل: وأن .

عنقه صبرا^١.

قال: وجعل الحجاج يوثق برجل بعد رجل فمنهم من يراقب فيه
عشيرته فيعفو عنه، ومنهم من يأمر بضرب عنقه. قال: وبلغ ذلك
ابن الأشعث وهو يومئذ مقيم بالسيوس فجعل يقول:

فما كنا أناسا^٢ أهل دين فنصبر للبلاء^٣ إذا ابتلينا

وما كنا أناسا أهل دنيا^٤ فننصرنا وإن لم نرج دينا

قال فقال بكير بن هارون البجلي: أيها الأمير إنما الدنيا بالرأس، فإن
لم تثبت الرأس فأحرى أن لا يثبت الذنب، ولو وقفت لوقفنا معك وكنا
نموت كراما ولا نترك أرضا لبقية آل ممود؛ قال: ثم أنشأ بكير بن

هارون في ذلك يقول:

فينا عتاة الشام عن عقير أرضنا^٥ فلا خسرنا^٦ مضر ولا البيع راجح

(١) في الطبري ٢٧/٨: قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف
ابن عم منصور بن جمهور. وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩٣/٣: فبعث (الحجاج)
إليه ابن أدهم الحمصي فضرب عنقه.

(٢) في الطبري: «لما مضى ابن محمد في مفازة كرمان وأتبعه أهل الشام دخل
بعض أهل الشام قصرا في المفازة فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة

من شعر ابن حلزة البشكري» ثم وردت الأبيات. انظر أيضا ابن الأثير ٢٣٤/٤.
(٣) في ابن الأثير: بناس.

(٤) في الطبري وابن الأثير: في البلاء.

(٥-٥) من الطبري وابن الأثير، وفي الأصل: لكنا.

(٦-٦) في الطبري وابن الأثير: فممنعها ولو.

(٧) في الأصل: أرضنا.

(٨) في الأصل: فلا خسرنا.

تركنا لهم صحر العراق وناقلت بنا الأعوجيات الطوال السوانح
 فقل للغواني أن تبكين غيرنا ولا بكننا إلا الكلاب النواج
 / الف / ١٠ / لعمرى لأهل الشام أطنن بالقنا و أحمى لما يخشى عليه الصفايح
 قال: ثم دعا الحجاج بعمر بن هاني العنبي فاستخلفه على الكوفة

و خرج في طلب ابن الأشعث في زهاء عن ثلاثين ألفاً، وترك باقي
 جيشه بالكوفة. ثم سار يريد المدائن وقد كان بالمدائن يومئذ محمد بن
 [سعد بن] أبي وقاص في قريب من عشرة آلاف من أصحاب ابن
 الأشعث، فلما أحس بالحجاج أنه قد وافاه ترك البلاد و خرج بمن معه
 هاربا حتى لحق بابن الأشعث وهو يومئذ بالسوس، قال: فونبه ابن
 الأشعث وقال: أنت في عشرة آلاف فارس من نخبة أهل العراق
 و تهرب من بين يدي الحجاج، هلا وقتت له وقفة إ فإن كانت لك
 فذاك، وإن لم تكن لك لم يضعف أمرك قال: فسكت محمد بن سعد
 ابن أبي وقاص ولم يقل شيئا. قال: وجعل أعشى يضعف رأي أهل
 الكوفة ويخيبهم و يذكر صبر أصحاب الحجاج، فأنشأ في ذلك
 ١٥ أبياتا مطلعها:

أبي الله إلا أن يتم نوره و يخمد^٢ نار الفاسقين فتخمد^١

(١) في الأصل: لا تبكيننا.

(٢) في الأصل: سعيد - خطأ.

(٣) في الطبري ٨ / ٣٢ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٦ و نزعة الأبطال ٢ / ١٨٢: يطني.

(٤) في الطبري: نور الفاسقين فيخمد.

إلى آخرها . قال : و بلغ هذا الشعر الحجاج بن يوسف فتبسم له
ثم قال : " يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم " ، والله لئن ظفرت به
لأضربن عنقه . قال : و بلغ هذا الشعر ابن الأشعث فقال : مدق^١ والله
أعشى همدان ! لقد ونينا و عجزنا ، يا غلام ! احمل إليه مائة دينار .
ثم جمع ابن الأشعث عساكره و سار بهم يريد البصرة ، و بلغ
ذلك الحجاج و الحجاج يومئذ مقيم بالمدائن ؛ فسار نحو ابن الأشعث أيضا
يريد البصرة ، فأخذ على شاطئ الدجلة حتى انتهى إلى موضع يقال له
المفتح^٢ ، و بلغ ذلك ابن الأشعث فصار إليه حتى وافاه بالمفتح .

ذكر وقعة القوم بالمفتح^٣

قال : و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتلوا قتالا شديدا . قال ١٠
الهيثم : فذكر عوامة أنهم اقتلوا بالمفتح^٤ عشرين يوما ، كل ذلك على
الحجاج حتى قتل من أصحابه مقتلة عظيمة و هم أن ينهزم ، فلما رأى
ذلك بعث إلى الكوفة بجاءته الجيوش في أربعين ألفا ، فلما رأى أصحاب
/ ابن الأشعث ذلك كأنهم جزعوا من تلك العساكر ثم اقتلوا ، فصارت
الدايرة على أصحاب ابن الأشعث ، فقتل منهم في يوم واحد في معركة ١٥

(١) كذا ، ولعله : مرق .

(٢) في معجم البلدان ٨ / ١٠٦ « قرية بين البصرة و واسط وهي من أعمال
البصرة » . و ذكر الطبري و ابن الأثير : مسكن . و قال ياقوت في معجم البلدان
٨ / ٥٦ : « وقد ذكر الحارمي أن مسكن أيضا بدجيل الأهواز حيث كانت
وقعة الحجاج بابن الأشعث و هو غلط منه » .

(٣) في الأصل : بالمفتح .

واحدة نيف على ثلاثة آلاف، وأسر منهم خلق كثير. فقال الحجاج: هذا فتح الفتوح.

قال: ثم اجتمعت القراء الذين في عسكر ابن الأشعث إلى الحسن ابن يسار^١ البصرى، والحسن يومئذ مقيم بالمفتح^٢ فقالوا له: يا [أبا] سعيد: هات ما عندك و تكلم بما ترى! فقال الحسن: إني أرى أنها فتنة صماء، و ذلك أنكم لم تختلفوا في رب^٣ و لا نبي و لا كتاب و لا قلة، فرحم الله عبدا اتقى ربه و نظر ليوم معاده! قال: فقال له الناس: أبا سعيد! فما أغنى عنا كلامك، فكف عنا يرحمك الله! أيقتل منا مثل أبي البخري الطائي و عبد الله بن شداد بن الهاد و عبد الرحمن بن أبي ليلى و تقول ١٠ هذه المقالة إليك عنى فما أنت الا رجل مرأى مدهان.

ذكر الأسارى و من قتل، منهم صبيرا يوم المفتح

قال: ثم أمر الحجاج أن تقدم إليه الأسارى! فأول من قدم إليه منهم الفضل بن مروان مولى نبي البكاء و كان شريفا في الموالي، فقال له الحجاج: أ فضل^٤؟ قال: نعم، قال الحجاج: خبرنى عنك، ألم استعملك؟ ١٥ قال الفضل: بلى استعبدتنى، قال الحجاج: ألم أكرمك؟ قال الفضل: بل أهنتى! قال الحجاج: و الله لأقتلك! قال الفضل: و الله لأخاصمك فى دى

(١) فى الأصل: الحسن - خطأ.

(٢) فى الأصل: بالفتح.

(٣) فى الأصل: ريب.

(٤) فى الأصل: الفتح.

(٥) فى الأصل: الفضيل.

(٦) فى الأصل: عن - كذا.

(٧) فى الأصل: فضيل.

إلى ربي، قال الحجاج: إذا أخصمك، قال الفضل: الحكم إلى غيرك! فقال الحجاج: اضربوا عنقه.

قال: ثم أتى بالطفيّل بن حكيم الطائي فقال له الحجاج: أطفيل؟

قال: نعم يا حجاج اطفيل، قال: ألم تقدم العراق أعرابيا لا يفرض لمثلك

فقرضت لك؟ قال طفيّل: بلى، قال الحجاج: فما أخرجك عليّ؟ فقال: هـ

أبا محمدا إن رأيت أن تأذن لي حتى ألق بأهلي! فقال الحجاج: وأنت

مشتاق إليهم؟ فقال: نعم يا حجاج! فقال: ذهب والله عقل الرجل!

سواء عليّ قتلت هذا أو قتلت مجنوننا، خلوا عنه، قال: فكان ابن عياش!

يقول: والله لقد كان طفيّل / بن حكيم من أعدل الناس وأدهام، ١١٠ / الف /

و لكنه أوهم الحجاج أنه قد ذهب عقله، فأفلت من يده . ١٠

قال: ثم قدم إليه أعشى همدان، فلما نظر إليه الحجاج قال: يا عدو

نفسه! ألم أقدم العراق فأكرمتك، و قبلت شعرك، وجعلتك إمام قومك،

و قدمتك عليهم في الإذن؟ قال: بلى؛ قال الحجاج: فما أخرجك عليّ؟

ولست القائل في عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث:

فاذا^٢ سئلت^٢ المجد أين محله فالجد بين محمد و سعيد ١٥

بين الأشج^٢ و بين قيس باذخ نخ نخ لوالده و للمولود

(١) في الأصل: عباس .

(٢) في نسخة الأبصار ١ / ١٨٣ : وإذا .

(٣) من نسخة الأبصار، وفي الأصل: سألت .

(٤) كذا في الطبري ٨ / ٣٣، وفي نسخة الأبصار: الأغر .

قال : أصلح الله الأمير أنا القائل :

أخبتا ولو ما وارتدادا و ذلة أهان إلهي ما أهان فأبعدا^١

فقال : إنك لشديد التحريض على أهل العراق ، ألسنت القائل :

أمكن ربي من ثقيف همدان يوما إلى الليل أسلى^٢ ما كان

٥ يا عدو نفسه ! لقد أمكن الله ثقيفا منك ولم يمكنك من ثقيف ، والله

ما مدحت بعدها أبدا ، ثم أمر به فضربت عنقه .

قال : و قدم إليه عامر بن المعتز التميمي ، فلما رآه الحجاج قال :

هذا شيخ لم يقر على نفسه بالنفاق ! فقال : بلى والله يا حجاج و أقول :

ما فارقك إلا كافر . فقال الحجاج : خلوا عنه .

١٠ قال : ثم قدم إليه أيضا رجل من بني تميم يقال له عمرو بن مالك

فقال : يا حجاج ! كفى بلاء عندك و لا تقتلني ، فقال له الحجاج !

ما بلاؤك عندي ؟ فقال : قام فينا ابن الأشعث بسجستان فماترك سوءا

إلا قاله فيك ، ثم إنه ذكر أبويك ، فقلت إليه فقلت : أيها الرجل ! أما

الحجاج فانت أعلم ، و أما أبواه فكف عنهما فما والله فيهما من و صم

١٥ و لا قادح^٣ . فقال الحجاج : و من يعلم هذا منك ؟ فالتفت التميمي إلى فتى

(١) البيت في الطبري : و ابن الأثير ٤ / ٢٣٧ : .

أنكثا و عصيانا و غدرا و ذلة أهان الإله من أهان و أبعدا

(٢) في زهرة الأبصار : يسلى .

(٣) في ابن الأثير ٤ / ٢٣٨ : قيل : و أتى الحجاج بأسيرين فأمر بقتلها ، فقال

أحدهما : إن لي عندك يدا ! قال : و ما هي ؟ قال : ذكر عبد الرحمن يوما أمك

بسوء فنهيته .

من الأسارى من بجيلة . فقال : هذا يشهد بذلك و قد كان معى حاضرا فى ذلك اليوم ، قال فقال الحجاج للجبلى : هكذا كان أيها الرجل ؟ قال : نعم أيها الأمير لقد سمعت ذلك ؛ قال الحجاج : خلوا عنها جميعا . قال : فقال للشاهد بعد ذلك : هل كان من هذا شيء ؟ قال : لا / والله ! ولكنى رأيت موضعا رجوت فيه الفرج .

قال : ثم قدم إليه قيس بن مسعود بن عطارد التميمى ومعه ابنه وابن أخيه ، فلما رآه الحجاج قال : أمسعود ؟ قال : نعم أيها الأمير ! قال : ما ظننتك إلا عند صهرك أبى حفص عمر بن محمد بن الحكم بأرض البلقاء ؛ ثم قال الحجاج : اعزلوهم ناحية . فقال يزيد بن أبى كبشة السكسكى - كان جالسا عن يمين الحجاج فقال : سبحان الله ! " اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر " ؟ [فقال الحجاج] : أظننت أنى إنما عزلتهم لمصاهرتهم إيانا ، ردوهم ، فضربت أعناقهم .

قال : ثم قدم إليه عمران بن عصام العنبرى فقال له الحجاج : عمران ؟ قال : نعم أيها الأمير ! قال : ألم أقدم العراق وأنت صعلوك فشرفتك ، وزوجتك سيدة النساء قومها ماوية بنت مقاتل بن مسمع ١٥ ولست لها بكفوء ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : فما أخرجك على ؟ قال : الشقاء ، قال : صدقت ، ثم قدم فضربت عنقه .

فكان آخر من قدم إليه فى ذلك اليوم رجل زعمت كندة أنه منهم ، فلما وقف بين يدى الحجاج رفع صوته فقال : مالك يا حجاج لا جزاك الله عن الإسلام و القرآن وآية خيرا ، قال الحجاج : ولم ذلك ؟ ٢٠

ويملك ا قال : لانك لم تأخذ فينا. بقول الله تعالى إذ يقول " فاذا لقيتم
الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثختموهم فشدوا الوثاق فاما منا
بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها " ففحن الذين كفروا بزعمك ،
فلا والله ما مننت ولا فديت ا قال فقال الحجاج : ما له لعنه الله فاقدم
خصمني ا قال : ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال : ويحكم ا أما كان
فيكم أحد يتلو هذه الآية حتى تلاها هذا المنافق ؟ خلوا سبيله و سبيل
من بقي من الأسارى بقول ذلك الرجل .

قال : و مر ابن الأشعث منهزما حتى صار إلى السوس ثانية فنزلها
في جميع أصحابه الذين بقوا معه . وأقبل الحجاج منصرفا على شاطئ
الذجلة حتى صار إلى موضع مدينة واسط ، فنزل هنالك ثم قال : هذا
منزل وسط بين البصرة و الكوفة و الأهواز و المدائن ^٢ ، ثم أمر فبنى
له بها قصرا و مسجدا / فسمى واسطا إلى يومنا هذا .

١١١/الف

قال : ثم دعا الحجاج برجل من وجوه أصحابه يقال له عمارة ^٢
- ابن تميم اللخمي فضم إليه جيشا كثيفا من أهل الشام و الجزيرة و العراق
١٥ و وجه به في طلب ابن الأشعث ، فخرج ابن الأشعث للقاء عمارة ،
فالتقى القوم على شاطئ نهر السوس فاقتلوا ، و انهزم ابن الأشعث من

(١) سورة ٤٧ آية ٤ .

(٢) انظر معجم البلدان ٨ / ٣٨٠ .

(٣) من الطبرى ٨ / ٢٧ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٣ و كذا سيأتي بعد . و في الأصل
هنا : عمار - خطأ .

بين يدي عمارة بن تميم هزيمة قبيحة ، و تبعه عمارة فلم يزل يهزمه حتى بلغ إلى سابور فارس ، و التقى القوم أيضا بسابور فاقتلوا ، و انهزم ابن الأشعث نحو بلاد كرمان و تفرق عنه أصحابه ، و لم يتبعه عمارة ابن تميم ، و كتب إلى الحجاج يخبره بهزيمة من بين يديه ، فأمر الحجاج بالرجوع عنه .

ذكر هرب ابن الأشعث إلى بلاد كرمان

قال : و جعل ابن الأشعث يسير إلى بلاد كرمان و بين يديه رجل يمشى و قد تخرقت ثيابه و خفاه ، فنظر إليه ابن الأشعث على تلك الحالة فجعل يقول :

منخرق الخفين يشكو الوجا سكنه أطراف مرو حداد^١
شرذمة الخوف بلا مرة^٢ كذلك من يكره حرّ الجلال
قد كان في الموت له راحة و الموت رهن^٣ في رقاب العباد^٤

قال : فالتفت إليه رجل فقال : هلا ثبت حتى تموت معك .

قال : و مضى ابن الأشعث حتى انتهى إلى مدينة بست و بها يومئذ

(١) في الطبري ٨ / ٤١ : تنكبه .

(٢) في الأصل : و حداد .

(٣) المصراع في الطبري : يطرده الخوف فهو تائه .

(٤) من الطبري ، و في الأصل : و كذلك .

(٥) في الطبري : حتم .

(٦) من الطبري ، و في الأصل : الهاد .

عامل يقال له عياض بن هميان^١ السدوسي فسكت عن ابن الأشعث حتى دخل المدينة ، ثم وثب عليه فأخذه و شده في الحديد ، و عزم أن يوجه به إلى الحجاج . قال : فقامت إلى عياض هذا أم ولد يقال لها سهلة ، فكلمته فيه فقالت : ويحك ! تقتل مثل ابن الأشعث و قد ولاك هذا البلد ! اذكر بلاءه عندك مع أنى لست آمنه عليك . قال : و إذا الجيوش قد أقبلت حتى دخلت مدينة بُست ، فلما بلغهم أن ابن الأشعث في الحديد هجموا على عياض بن هميان^٢ فقالوا له : يا عدو نفسه ! تعمد إلى من قد أنعم عليك و جعلك عاملا على هذا البلد / فتكبله في الحديد؟ فقال عياض : إني إنما فعلت بالأمير ما فعلت و أوثقته عندي مخافة أن يدخل أرض الترك و يتركنا ههنا بلا أمير . فقال ابن الأشعث لأصحابه : خذوه إليكم و أطلقوني من هذا الحديد ، قال : فأطلقوه ، فعد إلى عياض بن هميان^٣ هذا فضرب عنقه ، و صلبه ، و أخذ أمواله و خرب منزله^٤ .

ب / ١١

(١) من الطبرى ٨ / ٢٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٣٤ ، و فى الأصل : عمرو .

(٢) فى الأصل : عمرو .

(٣) فى ابن الأثير : « و قد كان رتبيل ملك الترك سمع بمقدم عبد الرحمن فسار إليه ليستقبله ، فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست و بعث الى عياض يقول : والله إن آذيت بما يقذى عينه أو ضررته ببعض الضرر أو أخذت منه و لو حبلا من شعر لا أبرح حتى أستذك و أقتلك و جميع من معك و أسبي ذراريكم و أغنم أموالكم ! فاستأمنه عياض فأطلق عبد الرحمن ، فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل »
أنظر أيضا الطبرى ٨ / ٢٨ .

قال: واجتمع الناس أيضا إلى ابن الأشعث من جميع البلاد و جاءته الفلول الذين فارقوه، فصار في سبعين ألفا أو يزيدون، فعندها أعجبه نفسه و أشار عليه أصحابه، بمحاربة يزيد بن المهلب، فأبى عليهم و قال: مهلا عن يزيد فإنه رجل لم يتحرك على فيمن تحرك و أنا أنهاكم عنه، قال: فأبوا عليه و ضعفوا رأيه، و قالوا: لا بد لنا من مجاربتة، فقال لهم ابن الأشعث: أما إذا أيتم على فاني أجيبكم إلى ما تريدون من ذلك.

ذكر الواقعة مع يزيد بن المهلب

قال: فعقد ابن الأشعث بعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي عقدا و ضم إليه أصحابه و أمره بمحاربة يزيد بن المهلب، قال: و خرج ١٠ القوم نحو يزيد بن المهلب في زهاء ستين ألفا، و يزيد يومئذ بمدينة هراة من خراسان^١، فلما بلغه مسير القوم إلى ما قبله جمع أصحابه و سار إليهم من هراة في جمع عظيم حتى وافاهم بموضع يقال له المنعرج^٢ و دنا القوم بعضهم من بعض، فقال يزيد بن المهلب: ويلكم يا أهل العراق! أفسدتم علينا العراق ثم أتيتمونا و نحن في نحر العدو ليتفرقوا ١٥

(١) هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان - معجم البلدان
٤٥١/٨ (٢) في الأصل: المنعرج، و في معجم البلدان ١٩٧/٢: «و لما سار عتبة عن البصرة بلغ المغيرة أن دهقان ميسان كفر و رجع عن الإسلام و أقبل نحو عتبة البصرة، و كان قد غزاها و فتحها، فسار إليه المغيرة فلقيه بالمنعرج فهزمه و قتله».

جماعتنا، تبا لكم من قوم ما أضل حلومكم، فناداه أصحاب ابن الأشعث وقالوا: أدر عنك يا مروزي، فانا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال يزيد: ويلكم من هذا الذي يرغب عن كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا هؤلاء، مهلا! فاني قد أجلتكم ثلاثا لتنظروا في أمركم، فقالوا: لا ولا ساعة من نهار؛ ثم عططوا وضجوا، فقال يزيد: اللهم! إني استنصرك عليهم، ثم حمل والتقى الجمعان فاقتلوا قتالا شديدا، فقتل من أصحاب ابن الأشعث بشر كثير، وأسروا منهم جماعة.

الف / ١

وفيمن أسروا منهم: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وعياش بن الأسود بن عوف الزهري، و [عمر بن - ٢] موسى بن عبيد الله بن معمر التميمي، وعتبة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، وجماعة من قبائل مضر واليمن؛ فأما اليمانية فأطلقهم يزيد بن المهلب، وأما المضرية فشدوهم في الحديد ووجههم إلى الحجاج.

قال: فقدم بالأسارى على الحجاج، والحجاج يومئذ بواسط

(١) من الطبرى ٣٠/٨ وجمهرة أنساب العرب ص ١٢٢؛ وفي الأصل: العباس،

وفي ابن الأثير ٢٣٥/٤: عباس.

(٢) من الطبرى و ابن الأثير.

(٣) في الأصل: عبد الله - خطأ.

(٤) في جمهرة الأنساب ص ٦٧: «لولد عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة:

عتبة، قتله الحجاج صبرا».

العراق ، فأول من قدم إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص وقد كان يلقب
بظل الشيطان من طوله ، فلما رآه الحجاج قال : يا ظل الشيطان ! كيف
رأيت صنيع الله بك ؟ ثم التفت الحجاج إلى جلسائه فقال : إن هذا
رغب عن يزيد بن معاوية و زعم أنه أحق بالأمر منه ، يتشبه بالحسين
ابن علي و عبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير ه
ثم ما زال يركض في الفتن إلى أن تبع حوالى كندة و صار مؤدبا
للظالمين . قال فقال محمد بن سعد : أيها الأمير ! إنك قد ظفرت ، فان
تعف فقد أمر الله عز و جل بالعفو ، وإن تقتل فقد قدرت ؛ فقال
الحجاج : أبعده من بين يدي و هاتوا غيره ، قال : فأنى بعتبه بن
عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فقال له الحجاج : يا ابن الفاسق الدجال ! ١٠
كيف رأيت صنيع الله فيك و في أيك من قبل ؟ قال : فسكت و لم يقل
شيئا ، فقال : أبعده عنى ، فأبعده . و أتى بعياش^٢ بن الأسود بن
عوف الزهرى ، فلما رآه الحجاج قال : هذا و الله المجهول في الجماعة
المعروف في الفتنة ، و الله لقد وليت العراق سبع سنين فما علمت أن لهذا
والدا يعرف . قال : و لم يزل الحجاج يوبخ رجلا بعد رجل و يقول ١٥

(١) في الطبرى ٨ / ٣٤ : « قال له الحجاج : أيها يا ظل الشيطان أعظم الناس
تهيا و كبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية و تشبه بحسين و ابن عمر ثم صرت مؤذنا
لابن كنانة عبد بنى نصر - يعنى عمر بن أبى الصلت » .

(٢) في الأصل : عبد الله - خطأ .

(٣) في الأصل : بالعباس .

فيه القبيح ، ثم أمر الحجاج فضربت أعناقهم إلا نفرا منهم ، سأله فيهم قوم فوهبهم لهم .

قال : ثم دعا الحجاج عمارة بن تميم اللخمي فضم إليه جيشا و أمره بالمسير إلى ابن الأشعث و أن يطلبه حيث كان ، قال فسار إليه عمارة ،

و كتب ابن الأشعث إلى رتييل ملك الداور : أما بعد فان عساكر الحجاج قد سارت إلى ما قبلي ، / و إلى قد عزمتم على مصالحتك على أني قد ملكتك البلاد و لا جزية عليك - و السلام . قال : فأجاب رتييل إلى ذلك و كتب إليه : إن أردت هذا ففرق من كان معك في البلاد من أصحابك و هلم إلى ، فكن عندي إلى أن تنظر ما يكون من أمر الحجاج . قال : ففرق ابن الأشعث أصحابه في بلاد الداور ثم أقبل فيمن

بقى معه حتى صار إلى رتييل ، فأكرمه رتييل و قربه و أحسن إليه . قال : و إذا كتاب الحجاج قد ورد على رتييل : أما بعد فان ابن الأشعث قد صار إلى ما قبلك ، و قد وجهت إليك بعارة بن تميم اللخمي في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخلعوا طاعة و لم يبايعوا إمام

الضلالة ، يستعظمون الحرب استعظاما ، و يقدمون عليها إقداما ، فإذا قدموا بلدك فسلم إليهم ابن الأشعث و أنت آمن في بلدك أبدا ما بقيت ، لا يؤخذ منك الجزية ، و لا يغزوك أحد من العرب ، و تعطى في كل سنة خمسمائة ألف درهم .

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على رتييل و ثبت على ابن الأشعث

(١) في الأصل : زنبيل .

في ستة وعشرين رجلا من أهل بيته ، فشددهم في الحديد . قال : وبلغ ذلك أصحاب ابن الأشعث المتفرقين في البلاد فهربوا ، فمنهم من قتل ، ومنهم من أفلت . ثم وجه رتييل^١ ابن الأشعث وبأهله مليكة بنت يزيد العامري ومن معه إلى عمارة بن تميم اللخمي . قال^٢ : وابن الأشعث يومئذ عليل وهو مع ذلك مثقل بالحديد فلم يصل إلى عمارة بن تميم^٥ حتى مات في بعض الطريق^٣ ، فاحتز القوم رأسه وحملوه إلى عمارة ، وأقبلوا بولده وأخيه ومن معه إلى عمارة .

قال : وكتب الحجاج إلى عمارة أن اضرب أعناقهم هنالك وابعث إلى رؤسهم . قال : فقدمهم ابن تميم فضرب أعناقهم بأجمعهم هنالك ، وبعث رؤسهم إلى الحجاج ، فوضعت^٤ بين يديه وأدخلت^{١٠} إليه مليكة بنت يزيد امرأة ابن الأشعث ، فلما نظر إليها الحجاج قال : يا مليكة ! أملكنا أمثل أم ملك الترك ؟ فقالت : أبا محمد ! إن لم تكن فحاشا فاحذر الجواب ! قال الحجاج : قد فعلت ولم بأرد بهذا شيئا مما تظنين ، وليس لك ذنب تعاقبين / عليه يا مليكة ! ثم جهزها الحجاج بجهاز حسن وألحقها بأهلها . ثم وجه برأس ابن الأشعث ورأس أخيه^{١٥} القاسم ورؤس أصحابه إلى عبد الملك بن مروان ، فلما وضعت بين يديه

(١) في الأصل : زنييل . (٢) بهامش الأصل : « وفاة ابن الأشعث » .

(٣) في الطبري ٤٠/٨ « فالتى نفسه من فوق إجارفمات » ؛ وفي ابن الأثير ٢٤٢/٤

« فالتى عبد الرحمن نفسه من سطح قصره فمات » .

(٤) في الأصل « فلما وضعت » .

خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله على حسن البلاء و تظاهر
النعماء! ثم أمر برؤسهم فطيف بها في أجناد أهل الشام و أهل مصر،
ثم بعث بها بعد ذلك إلى بئر برهوت - برهوت حضرموت^١ فألقيت
هنالك - انقضى أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

ذكر مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

ثم دعا الحجاج برجلين من عتاة أصحابه: أحدهما إسماعيل بن
الأوسط^٢، والآخر المتلمس^٣ بن الأحوص، وهما جميعاً من ثقيف، فضم
إليهما قفراً من ثقات أصحابه، ثم قال: اطلبوا لي الآن سعيد بن جبير،
فأتيتاني به من حيث ما كان، فانه لم يكن فيمن خرج عليّ مع ابن الأشعث
أشد منه! فخرج القوم في طلبه فجعلوا يسألون عنه وعن موضعه،
فلا يرشدهم إليه أحد. قال: فبينما هم كذلك إذ مروا براهب في صومعة

(١ - ١) في الأصل: «بئر رهوت رهوت حضرموت» كذا، وفي معجم البلدان
١٥٧/٢ «برهوت بئر بحضرموت...» وقال محمد بن أحمد: «وبقرب حضرموت
وادي برهوت وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إن فيه أرواح الكفار
و المنافقين» .

(٢) في وفيات الأعيان ١١٤/٢: إسماعيل بن واسط البجلي، وفي لسان الميزان
٣٩٥/١: «إسماعيل بن أوسط البجلي أمير الكوفة، وكان من أعوان الحجاج،
و هو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل» .

(٣) من حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٩١/٤، وفيه «ان الحجاج بن يوسف لما ذكر
له سعيد بن جبير أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى
المتلمس بن الأحوص، ومعه عشرون رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه»
وفي الأصل: المسيب - كذا .

فوقفوا عليه فسألوه عنه، فقال الراهب: أما سعيد بن جبير فاني لا أعرفه،
ولكني رأيت رجلا مربى من عشية أمس عليه جبة من صوف
وكساء، فتوضأ بهذه البر ثم صلى ركعتين ومضى في هذه البرية،
فلا أدري إلى أين صار، قال: فسار القوم عند ذلك وجعلوا يقتصون
الأثر حتى وقفوا عليه، فوجدوه ساجدا، قال: فلم يشعر سعيد بن
جبير إلا والقوم على رأسه فسلموا عليه، فأوجز في صلاته ثم رد عليهم
السلام. ثم قال: ما وراءكم عافاكم؟ فقالوا: نحن رسل الأمير الحجاج
ابن يوسف فأجبنا فقال سعيد بن جبير: ولا بد لكم من ذلك؟ قالوا:
نعم. فوثب سعيد ومشى معهم حتى انتهى إلى باب الدير وذلك في
وقت المساء، فقال لهم الراهب: أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم قد أصبناه،
قال: فادخلوا إذا الدير، فهذا موضع مسبع فلم يخل من السباع، وهذا
وقت المساء فبادروا ودخلوا، قال: فدخل القوم وأبى سعيد بن
جبير أن يدخل معهم، فقال له القوم: يا ابن جبير إنا نظنك أنك قد
عزمت على الهرب فقال: لا، ولكني لا أحب أن أدخل منزلا لا يصلي
فيه أهله الخمس، فادخلوا وذروني ههنا على باب الدير، فاني أعطيتكم
عهد الله وميثاقه أن لا أبرح مكاني هذا حتى أصبح. قال: فتركوه ودخلوا
الدير، وقام سعيد يصلي والراهب ينظر إليه من فوق صومعته، فلما مضى
من الليل ما مضى إذا بالأسد واللوبة قد أقبلتا جميعا إليه وهما يزيران حتى
تقاربا منه ثم شمها وتنحيا عنه فريضا قريبا منه، والراهب ينظر إلى ذلك،
فصاح بالقوم وقال: يا هؤلاء! قوموا وانظروا إلى صاحبكم! قال: فأشرف

(١) في الأصل « فلم يخلو » كذا.

أصحاب الحجاج من فوق حائط الدير، فنظروا إلى سعيد بن جبير قائما يصلي والأسد واللبوة رايضان جميعا قريبا منه، فعجبوا من ذلك، ثم قال بعضهم لبعض: بأى وجه نلقى غدا وقد ذهب بمثل هذا الرجل إلى الحجاج ولعله أن يقتله! وانصرف الأسد واللبوة وأصبح القوم، فأول من خرج إليه الراهب صاحب الدير فأسلم، ثم خرج إليه أصحاب الحجاج فقالوا: أيها الرجل الصالح! إن الحجاج قد أخذ علينا الأيمان المغلظة أنا إن عايناك لم تفارقك فأتية بك، فرنا بما شئت! فقال سعيد: ولا بد لكم إذا قد حلفتم أن تحضروني إليه، ولا راد لقضاء الله وقدره. قال: فحمله القوم على دوابهم وساروا حتى تقاربوا من واسط، قال لهم سعيد: لا تعجلوا، هذه واسط قد بلغناها، ولست أشك أن أجلى قد حضر، ولكني ذروني الليلة حتى آخذ أهبة الموت، فإذا أصبحت أدخلوني على صاحبكم! قال: فسكت القوم وخلوا عنه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: لا نطلب أرا بعد عين، نخاف أن يهرب، فقال بعضهم: لا والله لا يهرب وقد أعطاكم على باب الدير من العهود والمواثيق ثم وفي لكم بما قال ولم يهرب! وقد رأيتم من الأسد واللبوة ما قد رأيتم، فذروه ليلته هذه يصنع ما بدا له قال: فتركه القوم ليلته / ونزل القوم ناحية عنه، وقام سعيد يصلي وهو مع ذلك لا يأكل ولا يشرب، حتى إذا أصبح القوم وصلوا حملوه حتى دخلوا مدينة واسط والناس ينظرون إليه، فأتى به إلى باب الحجاج، ودخل

(١) في الأصل: اخرج.

(٢) في الأصل: فحملوه.

إسماعيل بن الأوسط فقال: أصلح الله الأمير! قد جئتك بسعيد بن جبير،
وقد والله رأيت منه شيئاً ما ظننت أن يكون لأحد في هذا الدهر، قال
الحجاج: وما ذلك؟ فحدثه إسماعيل بما رأى من صومه وصلاته وخشوعه،
وما رأى من الأسد واللوة، قال: فزبره الحجاج وقال: اخرج فأتني به،
قال: فأدخل سعيد بن جبير على الحجاج، فلما نظر إليه قال: لا مرحبا بك
يا رأس النفاق! فقال سعيد: المنافق من كان من شيعة المنافقين، قال الحجاج:
صدقت يا شقي! قال: بل أنا سعيد بن جبير، [قال الحجاج]: بل أنت
شقي بن كسير، قال سعيد: أمي كانت أعرف بي منك، قال الحجاج:
لقد شقبت أمك حين ولدتك، قال سعيد: الغيب^١ يعلمه غيرك، قال
الحجاج: يا عدو نفسه! ألم أقدم العراق وأنت بها فقربت منزلك
ورفعت مرتبتك؟ ثم بلغني عنك علم وفقه فزدتك في عطائك؟ قال
سعيد: قد كان ذلك يا حجاج! قال: فما الذي أخرجك علي؟ قال:
بيعة كانت في عنق لابن الأشعث فلم أر نقضها، قال: فغضب الحجاج
ثم قال: يا عدو نفسه! فيعة أمير المؤمنين كانت أحرى أن تنفي بها من
بيعة ابن الأشعث حوالى كندة، والله لأذيقنك حياض الموت ولأبدلنك
بالدنيا^٢ نارا تلظى^٣! قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها.
قال الحجاج: يا عدو نفسه! ما تقول في خلفاء بني أمية؟ قال: [لست -^٣
عليهم بوكيل، ولا أقول ما لا أعلم. قال: فأى رجل أنا عندك؟

(١) من حلية الأولياء ٤/٢٩٣ ووفيات الأعيان ٢/١١٤، وفي الأصل: العلم.

(٢-٢) من حلية الأولياء ووفيات الأعيان، وفي الأصل: نار تلظى.

(٣) من حلية الأولياء ووفيات الأعيان.

قال سعيد : يوم القيامة تعلم ذلك ا قال الحجاج : فأحب أن تعلمني ا قال سعيد : أنا أهون على ربي من أن يطلعني على غيبه ، قال الحجاج : فانه لا بد لك من أن تصدقني من نفسي ، قال سعيد : لا أحب أن أكذب ، / وأنت عندي رجل سوء . قال الحجاج : خبرني عنك ما بالك لا تضحك

ب / ١١٤

قط ؟ ا قال : إني لم أر شيئاً يعجبني فأضحك منه ، وكيف يضحك مخلوق ولا يدرى أمسية المنية أم تصبحه ا ثم لا يدرى بعد ذلك إلى الجنة يصير أم إلى النار ! قال الحجاج : اصدقني هل سمعت لهوا قط ؟ قال سعيد : لا ولا رأيت . قال : فدعا الحجاج بالعود و الناي ، فضرب بالعود و نفخ في الناي ، قال : فبكي سعيد بكاء شديداً ، فقال له الحجاج : ما يبكيك ؟ فقال : إذا أخبرك يا حجاج ا أما هذه النفاخة فانها ذكرتني نفخة إسرافيل إذا نفخ في الصور " ففرع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين " ؛ و أما هذه الأخشاب و الأوتار فانها قطعت و قتلت من هذه المصارين لمعصية الله و الله سائلك عنها يا حجاج ا فقال الحجاج : ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال سعيد : أقول إنه في الجنة ، قال : فما تقول في ١٥ في بني مروان في الجنة هم أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة و فيها أهلها لعلمت من فيها . قال الحجاج : كيف شهدت لغير

(١) زيد في الأصل : قال ما بلغني - كذا .

(٢) في سورة النمل آية ٨٧ : « و يوم ينفخ في الصور . . . وكل اتوه داخرين » .

(٣) من حلية الأوتياء و وفيات الأعيان ، إلا أن فيها هذا جواب سؤال

الحجاج : فما قولك في علي في الجنة هو أو في النار ؟

بنى مروان بالجنة ؟ فقال سعيد : شهدت لهم بشهادة الرسول لهم أن العشرة
 في الجنة ، ولكن ما أنت يا حجاج وما هؤلاء وما سؤالك عن المغيب
 وقد عزب عليك علمه . قال الحجاج : الويل لك منى يا سعيد ! قال
 سعيد : بل الويل لمن زحزح عن الجنة ، وأدخل النار . قال الحجاج :
 خذوه ! فبادر إليه أعوان الحجاج ، قال سعيد : " بسم الله مجربها ه
 ومرسها ان ربي لغفور رحيم " ثم مضوا به ليقتر ، قال الحجاج :
 ردوه ! وهو يضحك ، قال الحجاج : وما يضحكك وقد بلغنى أنك
 لم تضحك قط ؟ قال : عجبت من جرأتك على الله و حلم الله عنك . قال
 الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه ! قال سعيد : وجهت وجهى للذى فطر
 السموات والارض / حنيفا مسلما^٢ وما انا من المشركين . قال الحجاج : ١٠ / ١١٥ الف
 اصرفوا وجهه عن القبلة ! قال سعيد : أينما^٣ تولوا فثم وجه الله ان الله
 واسع عليم . قال الحجاج : اضربوا وجهه بالارض ! قال سعيد :
 " منها خلقنكم وفيها نعيدكم . منها نخرجكم تارة أخرى " قال الحجاج :
 اضربوا عنقه ! فقدم سعيد بن جبير فضرب عنقه - رحمه الله .

قال : واختلط على الحجاج عقله ، فلم يزل نادما على قتله حتى ١٥
 ربما كان يستيقظ من نومه فزعا مرعوبا وهو يقول : ما لى ول سعيد

(١) سورة ١١ آية ٤١ .

(٢) كذا في الأصل ، و ايس في سورة ٦ آية ٧٩ .

(٣) في سورة ٢ آية ١١٥ : فاينما - الآية .

(٤) سورة ٢٠ آية ٥٥ .

ابن جبیر ! قال : وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى الحجاج :
 أما بعد يا حجاج ! قد بلغني عنك سرف في القتل و تبذير في الأموال ،
 و هاتان خلتان لا احتمال عليهما أحد من الناس ، و قد حكمت عليك
 في الخطأ الدية ، و في العمد القود ، و في الأموال أن تردها إلى موضعها ،
 ٥ فانها أموال الله و نحن أمناؤه عليها ، و سواء عندي يا حجاج عطاء في
 باطل أو منع من حق - و السلام . ثم أثبت في أسفل كتابه
 هذه الآيات :

إذا أنت لم تترك^١ أمورا كرهتها و تأتي^٢ رضائي بالذي أنا^٣ طالبه
 و تخشى الذي يخشاه مثل فكن إذا كذا الدر يوم ما ظن بالدر حاله^٤
 ١٠ ° و إن^٥ ترمي غفلة قرشية فيارب يوم^٦ غص بالماء شارب
 و إن ترمي وثبة أموية فهذا و هذا كل ذا أنا صاحبه
 فلا تأمني^٧ و الحوادث جمه فانك مجزي بما أنت كاسبه^٨

(١) في مروج الذهب ٢ / ١٣٧ : لم تطلب .

(٢) في مروج الذهب : تطلب .

(٣) في مروج الذهب : أنت .

(٤) البيت في مروج الذهب :

و تخشى الذي يخشاه مثل هاربا إلى الله منه صنيع الدر حاله

(٥-٥) في مروج الذهب : فان .

(٦-٦) في مروج الذهب : فيا ربما قد .

(٧) في مروج الذهب : فلا تلمني .

(٨) زيد في مروج الذهب :

ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد يقوم بها يوما عليك نوادبه

ولا تمنعن الناس حقا علمته ولا تعط ما لا ليس للناس واجبه
 فانك إن تعط الحقوق قائما تريد به الأمر الذي أنا واهبه
 وإني لأغضى جفن عيني على الأذى أريد به الأمر الذي أنا راكمه
 وأملى لدى الذنب العظيم كأننى أخو غفلة عنه وقد خب عاربه
 فان كف لم أعجل عليه وإن أبى وثبت عليه وثبة لا أراقبه
 قال : فكتب الحجاج : أما بعد ، فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه
 / سرفى فى القتل و بذرى فى الأموال ، و لعمرى ما بلغت حقوق أهل
 الطاعة و لا عقوبة أهل المعصية ، فان كان قتلى الهصاة سرفا و إعطائى
 المطيعين تذبيرا فليجعل أمير المؤمنين فى ذلك حدا لا أعدوه إلى غيره ،
 و بعد يا أمير المؤمنين فانى ما قتلت إلا فىك ، و لا أعطيت إلا لك ،
 و ما قتلت عمدا فأقاديه و لا خطأ فأتى فيه الدية ، و السلام .
 ثم أجابه عن آياته و هو يقول :
 إذا أنا لم أطلب رضاك و اتقى أذاك فىومى لا توارى كواكبه

(١) البيت فى مروج الذهب :

ولا تدفن للناس حقا علمته و لا تعطين ما ليس لله جانبه

(٢) الأبيات الآتية ليست فى مروج الذهب .

(٣) فى الأصل : حب .

(٤-٥) فى الأصل : فانى فيه البديه - كذا .

(٥) فى مروج الذهب : لم أتبع .

(٦) فى مروج الذهب : لا تزول .

ولا أنا من يعطى الخليفة حبه
 وإن قارف الحجاج فيك خطية^١
 إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحته
 فمن يغنى يوماً ويرجو مروني
 فأمرى إليك اليوم ما قلت قلته
 فقف لي على حد الرضا لا أجوزه
 وإلا فذرني^٢ والأمور فاني^٣ شفيق رفيق أحكمته^٤ تجاربه^٥
 قال: فلما ورد الكتاب على عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج أن
 يعمل برأيتك والسلام.

١٠ قال: فاستقامت العراق جميعاً للحجاج فلم يكن أحد يتاويه
 ولا يخرج عن طاعته، فأنشأ الفرزدق بن غالب يقول في ذلك:

(١) البيت في مروج الذهب: ...
 وما لامرئ بعد الخليفة حبه
 وفيه بعده:

أسالم من سألت من ذي قرابة
 ومن لم تسأله فاني محاربة

(٢) المصراع في مروج الذهب: إذا قارف الحجاج منك خطية

(٣) البيت في مروج الذهب:

فمن ذا الذي يرجو نوالى ويتقى مصاوتى^٦ والدهر جم نوابيه^٧

(٤) ليس البيت في مروج الذهب.

(٥) من مروج الذهب، وفي الأصل: يد.

(٦) من مروج الذهب، وفي الأصل: الدهر.

(٧) في مروج الذهب: فدعنى.

(٨) في مروج الذهب: أحكتنى.

إن ابن يوسف محمود صنائعه ميان معروفي في الناس و المطر
هو الشهاب الذي يرمى العدو به و المشرفي الذي يقضي له مطر
لا يهرب الموت إن النفس بلعله و الرأي مجتمع و الجود منتشر
أحي العراق و قد مالت دعائمه صرامة منه لا يبقى و لا يذر

ذكر خروج مسلمة بن عبد الملك إلى بلاد الروم ٥

قال: و تحركت الروم بأرض القسطنطينية و غيرها من بلاد الروم،

فاجتمعوا في خلق عظيم و عزموا على مفاجأة المسلمين في دارهم، و أخذ
الشام من أيديهم؛ و بلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فنأدى في أهل الشام
لجمعهم في المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيها

الناس! إن العدو قد كلب عليكم و طمع فيكم، و هتم عليه لترككم العمل
بطاعة الله تعالى، و استخفافكم بحق الله، و ثقافتكم عن الجهاد في سبيل الله،
ألا إني قد عزمت على بعثكم إلى أرض الروم فماذا عندكم من الرأي؟
قال: فأجابته الناس بأحسن الجواب، و رغبوا فيما رغبهم فيه من الجهاد
و عزموا على ذلك. قال: فعندها أمر عبد الملك بن مروان فكتب له

أربعة كتب، كتاب منها إلى أنان بن عثمان - و هو عامله على الحجاز -
أن يوجه إليه برؤساء أهل الحجاز و فرسانهم؛ و كتاب إلى علقمة بن
مرداس الخولاني - و هو عامله على اليمن - أن يوجه إليه بفرسان أهل
اليمن؛ و كتاب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان - و هو عامله على بلاد
مصر - أن يشخص إليه بنفسه في أجناد أهل مصر؛ و كتاب إلى الحجاج
ابن يوسف؛ أن يوجه إليه بأجناد العراق.

٢٠

(١) في الأصل: إليه:

ثم كتب أيضا إلى أخيه محمد بن مروان وإلى ابنه مسلمة وهما يومئذ
 في بلاد أرمينية و أذربيجان فأشخصهما إليه في جميع من معهما من أجنادهما .
 قال : فلما اجتمع الناس من جميع الأمصار قام فيهم خطيبا ،
 فحمد الله و أثم عليه ثم قال : أيها الناس ! إنكم قد علمتم ما ذكر الله
 عز و جلاله في كتابه من فضل الجهاد ، و ما وعد الله عليه من الثواب ،
 ألا ! و إني قد عزمتم أن أغزو بكم غزوة شريفة إلى اليون صاحب
 الروم فإنه قد طغى و بغي ، و قد بلغنى أنه قد جمع للمسلمين جموعا كثيرة و عزم
 على غزوكم و مفاجأتكم في دياركم ، و قد علمت أن الله تعالى مهلكه و مبدد
 شمله و جاعل دائرة السوء عليه و على أصحابه ، و قد جمعتم من كل بلد
 ١٠ و أنتم أهل البأس و النجدة و الشجاعة و الشدة ، و أنتم من قام لله بحقه
 و لدينه بنصرته ، و هذا ابنى مسلمة و قد أمرته عليكم ، فاستمعوا له
 و أطيعوا يوفقكم الله و يرشدكم لأصالح الأمور ! قال فقال الناس :
 سمعنا و طاعة يا أمير المؤمنين ! قال : فأمرهم / عبد الملك بن مروان فمسكروا
 خارجا من مدينة دمشق في خلق عظيم ، و خرج إليهم عبد الملك بن
 ١٥ مروان فعباهم هنالك ، فجعل على كل قبيلة من القبائل رجلا من ساداتهم
 يقتدون برأيه و ينتهون إلى أمره ، ثم قال لابنه : يا بني ! إني قد ندبتك
 لهذا الأمر و شرفتك بهذا الجيش ، فجعلته لك شرفا و ذكرا إلى آخر
 الأبد ، فكن يا بني بالمسلمين بارا رحيفا و أميرا حليما ، و لا تكن عنيدا
 كفورا و لا محتالا نخورا ؛ و اعلم يا بني ! إن الروم سيلقونك بجيش
 ٢٠ كثير و جمع كبير ، فثق بالله و استعن به و توكل عليه ، فكنى به و لبأ

(١) من الكامل لابن الأثير ٥ / ١٢ ، و في الأصل : النون .

و ناصرا ، و انظر يا بنى ا لا يهولنك ما ترى من جمع الروم و كثرة
 عددهم ، فان الله تبارك و تعالى بفضله و منته مهلكهم و ضارب وجوههم
 و مرعب قلوبهم و مزلزل أقدامهم ؛ و معك يا بنى بحمد الله خلق كثير ،
 فاذا عزمت على حرب عدوك فاجعل عمك محمد بن مروان على ميمتك ،
 و اجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز على ميسرتك ، و اجعل محمد بن الأحنف
 ابن قيس على طلائعك ، و عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان على جناحك ؛
 و اعتمد فى حربك على 'البطال بن عمر' فانه بطل شجاع مقدم شجاع ؛
 و انظر يا بنى ا لا تكسل و لا تفشل و لا تجزع و لا تهلع ، فانك إن
 لم تفعل ذلك و تعديت ما أوصيتك به ، استوجبت من الله المقت و من
 عباده البغض و من ملائكته اللعن ، فانه تعالى يقول " و من يولهم
 يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله
 و ماواه جهنم و بنس المصير " .

قال : ثم أقبل عبد الملك بن مروان إلى الناس ، فقال : أيها الناس
 المسلمون ا أتم إخوانى و أعوانى ، و هذا ابني مسلمة و هو سيفى و رحى
 و سهمى ، و قد رميت به فى نحر هذا العدو ، و بذلت دمه و مهجته لله
 عزوجل ، و رجوت أن يقضى الله به جيش الروم ، فأعينوه و اعضدوه

(١-١) هو عبد الله البطال أبو محمد ، و كان على طلائع مسلمة بن عبد الملك فى

غزواته - انظر الأعلام للزركلى ٤ / ٢٠١ . و فى الكامل لابن الأثير ٥ / ١١٦ :

البطال اسمه عبد الله أبو الحسين الأنطاكي .

(٢) سورة ٨ آية ١٦ .

و قوموا معه ، و انصروه إذا كسل ، / و شجعوه إذا فشل ، و أيقظوه إذا غفا ، و فهموه إذا هفا ، فان أصيب فالأمير بعده عمه محمد بن مروان ، فان أصيب فان عمه محمد بن عبد العزيز ، فان أصيب فاختروا من أحببتم الأفضل فالأفضل ، و الخيار في ذلك إليكم - و السلام .

٥ ثم دعا مسلمة فعانقه و قبل بين عينيه و قال : السلام عليك يا ولدي و قررة عيني و ثمرة قوادي ا فان نفسى تحدثنى أنى لا أراك و لا ترائى بعد هذا أبدا - ثم بكى و بكى الناس لبكائه ، و ودع الناس بعضهم بعضا و رحلوا من عسكرهم يوم الجمعة ، و ذلك فى أول يوم من رجب بعد صلاة الجمعة ، و عبد الملك بن مروان معهم يشيعهم إلى أن نزلوا على ١٠ فرسخين من مدينة دمشق ، فأقاموا يومهم ذلك هنالك فلما كان من الغد و دّعهم عبد الملك بن مروان و رجع إلى دمشق فى نفر من أصحابه .

و سار القوم فى الآلة و السلاح الكامل و الزى الحسن و الخيل العتاق و البراذين المظهمة حتى نزلوا بموضع يقال له مرج دابق . قال : فلم يزل مسلمة هنالك نازلا و الناس يخرجون إليه و يتلاحقون به من ١٥ كل موضع راغبين فى الجهاد حتى صار فى عسكر عظيم ، و وافاه الفتيه المدنيون التوابون .

(١) فى معجم البلدان ٤ / ٣ : دابق - بكسر الباء و قد روى بفتحها و آخر قاف قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها و بين حلب أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه ، كان ينزله بنو مروان إذا غزا الصائفة إلى نهر مصيصة .

ذكر الفتية المدنيتين التوابين وهو خير حسن

قال: ذكر عيسى بن دأب أن هؤلاء الفتية كانوا عشرة نفر منهم سليمان بن عمرو القرشي، وأخوه يحيى بن عمرو، وهارون بن الحصين التميمي، وأخوه أحمد بن الحصين، ومحمد بن زرعة العبدى، وأحمد بن محمد اليشكري، وبشر بن مطر الأزدي، وسعيد بن إسماعيل الطائى الأسدى، وعبد الله بن عمرو الطائى، ويعقوب بن عبد الله الأنصارى.

قال: عيسى بن دأب: وكان السبب في توبة هؤلاء القوم أنهم كانوا بالمدينة على أمر من الأمور التي يحبها الله عز وجل، ولكل واحد منهم جارية يهواها من بنات العرب، فسليمان بن عمرو القرشي جاريته الذلقاء بنت أبي بهس العدوية، وأخوه يحيى بن عمرو جاريته أم أيها ١٠ بنت أبي سلة النهدي، وهارون بن الحصين / جاريته أسماء بنت عمرو ابن مذبول الغطفانية، وأحمد بن الحصين جاريته قبول بنت المعدل الحنظلية، ومحمد بن زرعة العبدى جاريته سلمى بنت عبد العزيز العذرية، وأحمد بن محمد اليشكري جاريته ليلي بنت محسن السعدية، وبشر بن مطر الأزدي جاريته حجل بنت عكاشة الباهلية، وسعيد بن إسماعيل ١٥ الأسدى جاريته ظلوم بنت مرة الكلبية، وعبد الله بن عمرو الطائى جاريته هند بنت المحكم العجلية، ويعقوب بن عبد الكريم الأنصارى جاريته الهيفاء بنت رماحس الكلبية.

(١) كذا في الأصل هنا: عبد الله، وفي المواضع الآتية كلها: عبد الكريم.

(٢) في الأصل هنا: الأزدي، وقد سبق أنفا: الطائى الأسدى.

قال: وكان هؤلاء الفتية العشرة في كل نعمة سابقة، لا يأتي عليهم يوم من الأيام إلا وهم أشد سرورا وأطول حورا من يومهم الذي مضى إلى أن وقع الخبر إليهم بأن عبد الملك بن مروان قد وجه جيشا إلى بلاد الروم. قال: وأراد الله عز وجل ما أراد من الخير وأحب إلى الله عز وجل أن ينقذهم مما هم فيه من ظلمة المعاصي إلى نور الطاعة. قال: فأول من ارتدع منهم عما هو فيه ودعته نفسه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى يحيى بن عمرو القرشي، فعزم على ذلك وجعل يسره في نفسه ولا يذكر لإخوانه شيئا مما قد عزم عليه، وهو مع ذلك يجالسهم ويحدثهم. قال: فبينما هم ذات يوم على شرايبهم وهوم إذ أخذوا شيئا من تاشد الأشعار التي قد أحدثوها بينهم، فجعل كل واحد منهم يقول شيئا ويحيى بن عمرو القرشي ساكع لا ينطق بشيء حتى فرغوا من نشيدهم، فأحب أن يلقى إليهم شيئا مما قد عزم عليه من أمر التوبة وزوع ما هو عليه، فأنشأ يقول:

قالت سلوت فقلت لست بجاحد أنا والمهيمن ذى الجلال الواحد

١٥ و سلخت ودك من فؤادي مثل ما سلخ النهار من الظلام الراكد

قالت فعد فالعود عندي أحد فأجبتها هيهات لست بعائد

إني أخاف عذاب رب سرمد تبدو فضائحه ولست يبائد

/ قال: فلما سمع القوم من يحيى بن عمرو القرشي هذه الآيات أنكروا

ذلك منه انكارا شديدا بليغا، ثم إنهم عضوه بالسنتهم وعضلوه فأكثروا

(١) في الأصل: انى .

فيه من عدله ولومه، ثم قالوا: يا هذا! قد سمعنا منك شيئاً نخاف أن يكون فيه تفريق جماعتنا وتشتيت ألفتنا، وإنا نناشدك الله في ذلك، قال: فتبسم يحيى بن عمرو القرشي ثم حرك رأسه وأنشأ يقول:

إن في الله ما علمت سروراً^١ لا يرى في^٢ حوادث الأقدار
غير أني تركت ذلك خوفاً وحذاراً^٣ من شر عار و نار
فأنيبوا إلى الإله و توبوا كم إلى كم نقيم في الإصرار
قال: فلما سمع القوم ذلك أقبل عليه سليمان بن عمرو فقال: والله يا أخي ما عدا جميع ما تكلمت به سويداء قلبي ولقد أخذ بمجامع قلبي وعقلي حتى لقد غلب علي سمعي و صدري، وحال بيني وبين لذتي، ولقد علمت أن الأمر كما ذكرت وأن الرغبة فيما رغبت: قال: ١٠
ثم أنشأ سليمان بن عمرو يقول:

يا من يلوم مرفقاً يدعو إلى إسعاده
أبدى النصيحة إذ دعا لم يأل في إجهاده
لا تنكروا ما قاله من بذله لرشاده
فلقد أتى بنصيحة موصولة بسداده ١٥

قال: فلما سمع القوم كلام سليمان بن عمرو وميله إلى أخيه جعل بعضهم يقول لبعض: هذا ما كنا نحذر من تفريق الألفة وتكدير صفو العيش،

(١) في الأصل: سروا.

(٢-٢) في الأصل: لم يوفى.

(٣) في الأصل: حذرا.

فعد الله نحتسب ما لجننا به منكما قال : ثم انصرف القوم عن مجلسهم يومهم ذلك و هم مغمومون بأمر يحيى بن عمرو و أخيه سليمان .

فما كان في الليلة المقبلة اجتمعوا أيضا فجلسوا ، فلما اطمان بهم المجلس أقبل عليهم يحيى بن عمرو فقال : يا إخواني و يا أخلائي و من تقر عني بصلاحتهم و اجتماع كلمتهم ! إنه قد ينبغي للراقد أن يستيقظ من رقدته و يستجلي عن غشوته ، و مهبا شككتكم في شيء فلا تشكوا في الموت ، إنه نازل بي و بكم ، و أسأل الله العصمة و التوفيق و التسديد لي و لكم - و السلام ؛ ثم أنشأ يقول :

دعونكم للرشد و النصح جاهدا و ما زلت للاخوان مذ كنت ناصحا

١١٨/ب / ١٠ / فان قبلوا نصحي تناولوا سعادة و تأتوا طريقا بين القصد و اصحا

و من يترك القصد المنير طريقه ، يلاقى غدا نارا و يخلد كالحا

قال : ثم أقبل عليهم سليمان بن عمرو فقال : يا إخواني و من قد عظمت

حقوقهم عليّ و ابيضت أيديهم عندي ! إنكم قد علمتم ما افرقنا عليه في

ليلتنا الماضية و ما دعاكم إليه أخى يحيى بن عمرو الناصح لكم ، الشفيق

١٥ عليكم ، فان تجميعوا إلى التوبة و النزوع عما أنتم عليه فخطكم أصبتم و إلى الخير

أجبتهم ، و إن تقيموا على ما أرى من لفظكم و اتباعكم أهواءكم فاني أسأل

الله لكم التوفيق - و السلام ؛ ثم أنشأ سليمان بن عمرو يقول :

سألت إلهي أن يولف بيننا على الخير كالتأليف في سائر الدهر

فقد عشم عصرا و عصرا و إننا لفي غمرة جهلاء نهوى و ما ندرى

٢٠ نلجج في بحر سكارى بحيرة فحق متى لسنا نفيق من السكرى

و توبوا

و توبوا تناولوا جنة الخلد إنما ينال جنان الخلد من كان ذا صبر

قال : فلما سمع بشر بن مطر الأزدي مقالة يحيى و سليمان بن عمرو و استحکم قولها في قلبه أعجبه ذلك ، ثم قال : لقد علم من أعين عقلا و أحضرهما أن موضع الحق - و السلام ؛ ثم أنشأ يقول :

لعمري لئن بعث الهداية بالعمى و آثرت غير الحق إني لخاسر ٥

أترك حظي بعد إذ أنا قادر على أخذه و الحق فيه بصائر

سأجرب نفسي عن هواها و غيرها بصبر قوى الحزم و الحر صابر

قال : فلما سمع القوم مقالة بشر بن مطر الأزدي فغمهم ذلك غما شديدا .

ثم أقبل هارون بن الحصين على أصحابه فقال : انا الله و انا اليه راجعون ،

ما أعظم الرزية بفرقتكم و أجل المصيبة بتباعكم ، و الله ما أظن هذا الأمر ١٠

إلا مشتتا جماعتنا ، مكذرا علينا صفو عيشنا ، لأن الذي دعوتنا إليه من

مزايلة ما نحن فيه شديد و هو أثبت و أرسخ من أن يزيله العظاات أو أن

يقلعه الصفات . قال : ثم افترقوا أيضا ليلتهم مغمومين .

فلما كان في الليلة الثالثة اجتمعوا ، فلما اطمأن بهم المجلس / أقبل ١١٩ / الف

عليهم محمد بن زرعة العبدى فقال : يا إخوتاه ! اسمعوا عنى كلامى ١٥

و تدبروا بعقولكم فقد أتيتكم بأعجوبة ! فقالوا : هات ما بدا لك ! فقال :

اعلموا أنى فارقتكم الليلة و صرت إلى منزلى أرقا شديدا ، حتى إذا كان

قبيل الصبح أغفيت إغفاء ، فاذا أنا بات قد أتانى فى منامى و هو يقول :

هذه الآيات :

يا تارك القصد بعد معرفة و سالكا غيره من الطرق ٢٠

يحيى وأصحابه على رشد كما جلى الليل ساطع الفلق
 فلا تكون كالمقيم على دحض منزل^١ أشفى على غرق
 قال: فلما سمعت ذلك استيقظت^٢ فزعا مرعوبا حتى كاد الخفقان أن
 ينزع قلبى حتى سكنى من كان بحضرتى. قال: فأقبل عليه يعقوب بن
 عبد الكريم الأنصارى فقال: يا أخى! فكأنى والله وإياك إنما كنا على
 أمر واحد غير أن الألفاظ مختلفة، وذلك أنى قتت عن مجلس حين
 افرقنا بالأمس وبنى من الفرقة والأسف لتشتيت الفرقة ما لا أبلغ
 وصفه حزنا على إخوانى، وما رأيت من مفارقتهم لنا ونقضهم علينا ما نحن
 فيه من الألفة والمودة، فأنيت إلى منزلى وظللت عامة ليلى أدير عيني على
 الغمض فلا أقدر على ذلك، فبينما أنا كذلك بين النائم واليقظان^٣ إذ
 أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول:

يا خائضا فى غمرة الجهول وحاددا عن واضح السبل
 لست على شىء فلا تكذب فى راجع التوبة فى مهل
 من قبل يوم معظم هائل يشيب رأس المرضع الطفل

١٥ فلما سمعت ذلك استيقظت^٢ وما معى شىء من عقلى، فهذا والله يا إخوانى
 ما رأيت. فلما سمع القوم ذلك عجبوا وجعل بعضهم يقول لبعض:
 كيف حتى خص محمد بن زرعة ويعقوب بن عبد الكريم بهؤلاء الهواتف

(١) فى الأصل: منزل - كذا.

(٢) فى الأصل: استيقضت - كذا بالضاد.

(٣) فى الأصل: اليقضان - كذا بالضاد.

(٤) فى الأصل: غرة - كذا.

من بيننا هذا سكون لنا بنا . قال : ثم أقبل سعيد بن إسماعيل الأسدي
على محمد بن زرعة وهو يقول :

لو لا الذي أضمرت من غدرة ما راعك الهاتف إذ يهتف

خصمت بالهاتف من بيننا مالك في قولك لا تنصف

٥ / والله رب العرش يا إخواني فانسى مجتهدا أحلف

لا خنت من أهوى ولا شتمته جهرا ولا مثلى به يوصف

قال : ثم أنشأ هارون بن الحصين التميمي وهو يقول :

أبالاحلام أسلو عن هواي لأقوام أتوا بالترهات

أتونا يزعمون بأن آت أنى نصيحة عند البيات

١٠ يحضهم على هجر وغدر وقطع الجبل منا والشتات

فمن يك راغبا عن وصل ألف فليست براغب حتى الممات

قال : و تفرق القوم أيضا ليلتهم تلك وقد وفق الله عز وجل

للتوبة خمسة نفر : [ابني] عمرو ، و بشر بن مطر الأزدي و محمد بن زرعة

العبدى و يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى ، و بقى منهم خمسة : هارون بن

١٥ الحصين [و أحمد بن الحصين] و عبد الله بن عمرو الطائى و سعيد بن

إسماعيل الأسدي و أحمد بن محمد اليشكري . قال : و جعل هؤلاء الخمسة الذين

قد تابوا يدعون الله و يتضرعون فى أن يراجع بقلوب إخوانهم إلى

ما هم عليه من التوبة ، فلم يزالوا كذلك إلى أن استجاب الله منهم دعاءهم

في إخوانهم و أقبل بقلوبهم إلى طاعته ، و كتب هارون بن الحصين إلى يحيى بن عمرو القرشي بهذين البيتين :

نفسى الفداء لمن جلى الإله به عنا العى و وقاه مورد التلف
قد كان ما بيننا فى الدين مختلفا فاليوم نحن جميعا غير مختلف

٥ قال : ثم كتب أخوه محمد بن الحصين إلى سليمان بن عمرو أيضا بهذين البيتين :

أتنى منك موعظة يقوم نصحتها أودى
بجنتك تائبا فى اليوم م خوفا من عقاب غد

قال : ثم كتب أحمد بن محمد اليشكرى إلى محمد بن زرعة العبدى بهذين البيتين :

نفسى فداؤك من فتى منع النصيحة جاهدا
فأطبع رأبك لأرى للناصحين معاندا

١٠

قال : ثم كتب عبد الله بن عمرو الطائى إلى بشر بن مطر الأزدي بهذين البيتين :

لقد قرأت كتابا منك هيبنى يدعو إلى الله إسارارا و إعلانا
أجبتة و دعوت الله مجتهدا كما نكون على الخيرات أحوانا

١٥

قال : ثم كتب سعيد بن إسماعيل الأمدى إلى يعقوب بن عبد المكرم / الأنصارى بهذين البيتين :

١٢٠ / الف

أتانى كتاب منك فيه مواعظ تخط على خير و تدعو إلى رشد
فأبصرت ما فيه من الحق و الهدى و فارقت من أهوى على أجهد الجهد

(١) فى الأصل : بهذه .

(٢) فى الأصل هنا : العنبرى .

فلما وصلت هذه الآيات من هؤلاء الخسة إلى إخوانهم فرحوا لذلك
 واستبشروا ، و اشتد سرورهم ، ثم إنهم ابتهلوا إلى الله عز وجل في أن
 يقوى عزمهم على ما عزموا عليه من التوبة ، فاستجاب الله لهم ذلك .
 قال : إنهم تواعدوا أن يجتمعوا في مشربة لهم فيكم بعضهم بعضا ،
 فاجتمعوا في مشربتهم تلك . قال : وهي مشربة معروفة بالمدينة يقال لها
 مشربة التوبة وهي مشربة على العطارين بالمدينة . قال : فلما اجتمعوا
 هنالك اعتنقوا و بكى بعضهم إلى بعض لطول الفرقة وما كانوا عليه
 من التباعد ، و حمدوا الله على ما ألف بينهم من التقوى ، و سأله التوفيق
 و العصمة بما هم عليه . ثم أقبل عليهم يحيى بن عمرو القرشي فقال : يا إخواني
 إنكم قد علمتم ما قد وعد الله عز وجل عباده

١٠٠ / الف

قال : ثم حمل على العليج فضربه ضربة على نغذه فقطعها ، فسقط
 العليج ميتا . قال : و إذا بعلج آخر يقال بولص قد بدر إلى أحمد بن
 الحسين ، قال : فنظر إليه أحمد فقصد نحوه و هو يقول :

دونك حربا لا تقيه ترمى صبرا على المكروه مني نفسي

كما أنال منزلا في القدس فانما الدنيا كسيوم أمس ١٥

قال : و اختلفا بطعنتين طعنه العليج في خاصرته جدله قتيلا - رحمه الله .
 قال : فلما قتل هارون بن الحسين و أخوه أحمد خرج من بعدهما سعيد
 بن إسماعيل الأسدي نحو ذلك العليج و هو يقول :

(١) بياض في الأصل قدر نصف صفحة مع صفحة كاملة (أي نصف صفحة من
 ١٢٠ / الف و صفحة ١٢٠ / ب كاملة) .

يا بولص الروم إليك نفسى قد طال فى ظل الخطايا حسبى
اليوم أحمى إخوتى بالحس كما يكون بطن سبع رمسى
قال : و التقيا بضربتين ، ضربه الأسدى ضربة جدله قتيلا . قال : و خرج
من بعده عالج آخر يقال له قسطنطين الأصغر ، قال : فقصدته الأسدى
٥ و هو يقول :

يا أيها الداعى إلى الجلال فى حومة الأبطال و الأنجاد
أتاك ليث سلس القياد ذو صولة يكرهها الأعداى
ثم تطاعنا برحبيها فلم يصنعا شيئا ، و تضاربا بسيفها فلم يصنعا شيئا ،
فاعتبق كل واحد منها صاحبه حتى سقطا عن فرسيهما إلى الأرض ،
١٠ فشد عليه العالج بخنجر كان معه فوجأه فى نحره فقتله - رحمه الله . قال :
و خرج من بعده يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى نحو القسطنطين
هذا العالج و هو يقول :

لتذهبن اليسوم نفسى أسفا إذ كنت بعد خمسة خلفا
قد نلت من لذة عيشى ما صفا حسبى الذى عاينت حسبى و كفا
١٥ ثم حمل الأنصارى على قسطنطين العالج فقتله . ثم وقف و دعا إلى البراز
فلم يخرج إليه أحد ، وكاعت الروم بعد قتل قسطنطين .

قال : و جعل مسلمة بن عبد الملك و من معه من المسلمين يتعجبون
من إقدام هؤلاء الفتية على الموت و صبرهم على الحرب ، و كل واحد
منهم يتلو صاحبه . قال : و التفت بشر بن مطر الأزدي إلى إخوته الذين
٢٠ بقوا معه يعقوب بن عبد الكريم الأنصارى و أحمد بن محمد الشكرى

و محمد بن زرعة العبدى . فقال : يا إخوانى ! إنه قد قتل منا خمسة و مضوا
لسيلهم ونحن ههنا أربعة و نرجو أن نلحق بهم عن قريب إن شاء الله ،
ولكن هل ترون ما أرى ؟ فقالوا : وما ترى يرحمك الله ؟ فقال : و يحكم
إنى رفعت رأسى إلى السماء أنظر إلى هذه الغمامة التى قد أظلت هذا
العسكر فرأيت عجبا عجيبا ، و ذلك أنى رأيت رجالا لم أر^٢ مثلهم ولا مثل
صورتهم ساعة قط ، و معهم خيام بيض لم أر^٢ على حسنها شيئا ، و نظرت
إلى نسوة يطلعن علينا من هذه الغمامة و يضحكن إلى إخواننا هؤلاء الذين
قتلوا ، فهذا ما رأيت . قال : فعند ذلك ائشعرت جلود القوم و وقفت
شعورهم ، و اشتاقوا إلى ما شوقهم إليه صاحبهم بشر بن مطر الأزدي ،
ثم غلبتهم أعينهم بالبكاء و الترحم على إخوانهم ، و جعل بعضهم يقول ١٠
لبعض : إنه يجب علينا الآن أن لا نقصر فى جهاد هؤلاء القوم الكفار ،
ففى الله أن يجمعنا مع إخواننا فى مستقر رحمته .

قال : فكان أول من تقدم منهم إلى الحرب يومئذ بشر بن مطر
الأزدي و هو الذى رأى ما رأى ، فجعل يرتجز و يقول آياتا مطلعها :
من كان فى شك و فى تعام^٣ فقد رأيت الحور فى الغمام ١٥
صبرا لهذا يا بنى الكرام حتى تحلوا ساحة السلام

(١) فى الأصل : الذى .

(٢) فى الأصل : لم أرى .

(٣) فى الأصل : تعمى .

قال : ثم تقدم محمد بن زرعة العبدي وهو يقول :

إن كان لا بد مصيرى للفنا فما مقامى بعد خمس مهنا

إن نلت ما أبغى فقد نلت المني جنات عدن ليس فيها من عنا

قال : ثم تقدم أحمد بن محمد الشكري وجعل يرتجز ويقول :

لا خير في العيش بعد صحبي حسي من العيش حسب حسي

لا أرجع اليوم واقض نحبي ثم أخل في جنات ربي

الف / قال : ثم حمل هؤلاء الفتيحة فاقتلوا قتالا شديدا . وجعل يعقوب بن

عبد الكريم الأنصاري يرتجز ويقول :

هيهات منى سفهى وطيشى أقصد للحصن أمام جيشى

قد ذهب السادة من فريش لا خير لى من بعدهم في العيش

قال : ثم حمل يعقوب بن عبد الكريم الأنصاري حملة يريد باب الحصن ،

قال : ولحقه إخوته الثلاثة حتى صاروا إلى باب حصن طوانة^٢ ، فجعلوا

يقاتلون أشد القتال . قال : وصاح مسلبة بالمسلمين فحملوا وانكشفت

الروم من بين أيديهم كشفة قبيحة .

قال : وجعل قوم يقاتلون وقوم ينقبون السور نقبا واسعا ،

و بادر يعقوب بن عبد الكريم الأنصاري فدخل الحصن من ذلك النقب

(١ - ١) في الأصل : العيشة حسي .

(٢) في الأصل : اقضى .

(٣) بلد بثغور المصيصة - معجم البلدان ٦ / ٦٥٠ . وفي الطبري ٨ / ٦٤ : فتح الله

على المسلمين حصنا من حصون الروم يدعى طوانة في جمادى الآخرة سنة (٨٨٨ هـ) .

و جعل يقاتل أهل الحصن وحده ، فلم يزل كذلك حتى قطعت إحدى قدميه و وثب قائما على تلك الحالة يقاتلهم على فرد قدم وهو يقول :

أضرب بالسيف على فرد قدم و الحر لا يجزع من وقع الألم
و الموت بعد الآف أشقى للقرم مع الذي أرجوه من باري النسم
أرجو جنانا حققت كل النعم مع فتية كانوا لعمرى كالهم
في مجمع الحرب إذا الحرب اضطرم خوفا من الله العزيز ذي النقم

قال : فلم يزل الأنصارى يقاتلهم وحده و يدفعهم عن ذلك حتى دخل إليه إخوته الثلاثة ، فأعانوا و دفعوا الروم عن ذلك النقب ، ثم إنهم كبروا و صاحوا بأصحاب مسلمة ، فدخل الناس من ذلك النقب و فتحوا باب الحصن ، و الأنصارى ينزف الدم من رجليه حتى مات - ١٠
رحمه الله ! و قتل إخوته الثلاثة الذين كانوا معه - رحمه الله عليهم أجمعين !
قال : و اشتغل المسلمون^١ بالغنائم و جمعها ، فجمعوا شيئا كثيرا و خيلا و بغالا و حميرا و ذهبا و فضة و أثاثا فاخرة . قال : فجمع مسلمة هذه الغنائم ، فأخرج منها الخمس و قسم باقي ذلك على المسلمين ، ثم وجه بالخمس إلى أبيه عبد الملك بن مروان و كتب إليه يخبره بما فتح الله على ١٥ يديه / من حصن طوانة ، فأنشأ أعشى تغلب^٢ يقول أبياتا مطلعها :
خير لمسلمة البنان^٣ فانه فضلت أنامله الأكف و طالها

١٢٢ / ب

(١) في الأصل : المسلمين .

(٢) في الأصل : أعشى بن تغلب - خطأ . هو ربيعة بن يحيى بن معاوية ، من بني تغلب ، كان نصرانيا ، و على النصرانية مات في سنة ٥٩٢ هـ .

(٣) في الأصل : البنان - كذا .

إلى آخرها .

ذكر مسير مسلمة بن عبد الملك إلى عمورية بعد فتح طوانة

قال : ثم نادى مسلمة في أصحابه بالسير إلى عمورية ، و بلغ شمعون صاحب عمورية بأن العرب قد سارت إلى ما قبله ، فجمع من كان حوله من القرى و الحصون الصغار فأدخلهم عمورية ، ثم دعا بطريقا من بطارقه ٥ يقال له ورسيب ، فضم إليه أربعة صلبان . تحت كل صليب عشرة آلاف ، و أمره أن يكون على مقدمته . قال : فسار ورسيب في أربعين ألفا على مقدمة شمعون . و أقبل شمعون من ورائه في ثمانين ألفا . و بلغ ذلك مسلمة ابن عبد الملك فعبي أصحابه ، ثم دعا بالبطلان بن عمرو ، فأمره أن يتقدم ١٠ بين يديه ، قال : فسار البطلان في المقدمة و معه عشرة آلاف من المسلمين لا يرى منهم إلا الحدق ، حتى إذا أشرف على عمورية إذا ورسيب قد استقبله في أربعين ألفا من النصرانية .

قال : و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ، فأسرع القتل في المشركين . قال : و حمل ورسيب على البطلان و هو لا يعلمه ، و علم البطلان ١٥ أنه ورسيب فخفق عليه ثم ضربه ضربة على قونس بيضته ، فقد البيضة و الهامة ، و خر ورسيب قتيلاً . ثم جال البطلان في ميدان الحرب و هو يقول :
قد يقتل المرء بلا ذنوب و ربما كان أبا تكذيب
لا سيما مثل الشقي ورسيب جدلته بصارم قضيب
مهند ذى صنعة و شوب ليس بمفلول و لا خشيب

٢٠ قال : و بلغ ذلك شمعون صاحب عمورية بأن ورسيب قتل ،

(١) بفتح أوله و تشديد ثانيه ، بلد في بلاد الروم - معجم البلدان ٦ / ٢٢٦ .

(٢) في الأصل : مقدمته - خطأ .

فرحف بخيله ورجله يريد لقاء المسلمين، وأرسل البطلان بن عمرو إلى مسلمة فخبّره بذلك، فأقبل مسلمة في جماعة من المسلمين، حتى صاف الروم و صهلت الخيل و تداعت الفرسان، و أقوت الخيلان / والجيشان، و استبشر المسلمون بما وعدهم الرحمن، من الخلود في الجنان . قال: و تقدم عبد الرحمن بن صعصعة بن صوحان العبدي أمام المسلمين و هو ٥ يرتجز و يقول:

أنا ابن عبد القيس جدى صعصعة ذو البأس و الإقدام عند المعركة
إذا التقي الأبطال وسط المعركة و الروم قد سارت إلينا بجمعة
و من يخاف الله فالله معه

ثم حمل فقاتل ساعة و رجع مجروحاً . و تقدم عبد الله بن جرير بن ١٠ عبد الله البجلي و هو يقول:

أنا ابن ذى الفضل قى بجيلة جرير شينى وله فضيله
فضيلة عظيمة جليله من النبي صاحب الوسيله

ثم حمل على جميع الروم فقاتل و رجع مجروحاً . قال: و تقدم محمد بن ١٥ مروان أخو عبد الملك بن مروان و هو يقول:

أنا ابن مروان إذا الهيج اضطرم أكر في الحرب كليث مقتحم
بصارم غضب حسام ذى صرم كذاك شينى كان قدما و الحكم
قال: ثم حمل فقاتل، و حمل عليه شمعون بنفسه فطعنه طعنة منكراً،
فرجع محمد بن مروان إلى صفه و هو لما به . و تقدم محمد بن عبد العزيز

و هو يرتجز و يقول :

أنا ابن ذى الفضل الكريم الماجد عبد العزيز القرم ذى المحامد
 و فى يمينى مرهف الحدائد يخترم الروس مسح القباحد
 ثم حمل فقاتل ساعة و رجع مجروحا . قال : و ترجل مسلمة بن عبد الملك
 ٥ فنزل عن فرسه و نزل الناس معه ، و اختلط القوم فاقتلوا قتالا شديدا ،
 و صبر القوم بعضهم لبعض ، و صاح صائح من المسلمين : أيها الأمير ! البشرى
 فقد قتل الله شمعون . قال : فكبر مسلمة و كبر المسلمون معه ، و إذا البطل
 قد أقبل و فى يده رأس شمعون حتى ألقاه بين يدي مسلمة . قال : فعند
 [ذلك] وثب مسلمة و استوى على فرسه و استوى الناس معه على خيولهم
 ١٠ ب / ١٢ ثم حمل و حمل الناس / معه ، و انهزمت الروم و ولوا الأدبار ، و أذعنوا بالذل
 و الصغار ، و تسارع الناس إلى باب عمورية فدخلوها بالسيف عنوة ،
 فقتلوا مقاتلتها و غنموا أمتعتها و أموالها . قال : و كانت غنائم عمورية
 يومئذ تزيد على مائتى ألف مثقال من الذهب و الفضة سوى الأمتعة
 و البغال و الحمير . قال : فأخرج مسلمة من ذلك الخمس و وجه به إلى أبيه
 ١٥ عبد الملك بن مروان ، و كعب إليه بخبره بفتح عمورية ، و قسم باقى
 الغنائم فى أصحابه .

قال : ثم سار مسلمة من عمورية يريد القفورية^١ و بين يديه رجل

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجده فى معجم البلدان . و قال ياقوت فى معجمه
 ٤ / ٣٢٨ : « و فى أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن تحقيقها و ضبطها فليعذر
 الناظر فى كتابى هذا ، و من كان عنده أهلية و معرفة و قتل شيئا منها علمنا فقد
 أذنت له فى إصلاحه ماجورا » و بهامشه « قتل أرضا أى خبرها و علمها » .

من المسلمين و هو يقول آياتا مطلعها :

أبلغ يدك و خير القول أصدقه أما أينت عميد الروم اليونان
إلى آخرها . قال : و سار المسلمون حتى إذا أشرفوا على القفورية نظروا
فاذا هم بنقفور الأكبر قد خرج إليهم في زهاء سبعين ألف عنان سوى
الرجالة . قال : و كان نقفور هذا ختن ملك الروم على ابنة أخ له ؛ ه
فلما نظر إلى جيش المسلمين صاح بأصحابه أن احموا ثم حمل و حمل
معه أصحابه ، و انكشف القوم من بين أيديهم كشفة قيحة و قد قتل
منهم جماعة . قال : و نادى مسلمة في أصحابه بأعلى صوته : يا أهل الشام !
لا شام لكم ، و يا أهل العراق ! لا عراق لكم ، و يا أهل مصر ! لا مصر
لكم إن أتم وليتم الأدبار ، اليوم يعلم الله منكم حسن الصبر و اليقين . ١٠
قال : و نادى محمد بن مروان و قال : يا أهل الإسلام ! أما تستحيون أن
ينهزم أهل الدين و القرآن من بين أيدي الكفرة و عبدة الصلطان !
أما ترغبون فيما رغبكم فيه ربكم و أتاكم به نبيكم النصر ! و الله ينصركم
و يثبت أقدامكم .

قال : فعندما صدقت عزيمات المسلمين و تراجعوا إلى الروم ، ١٥
و التحم القتال ، و حمل نقفور وحده من بين أصحابه على مسلمة بن عبد الملك
فضربه ضربة على يرضته نكسه إلى الأرض ، ثم صاح بالروم فحملوا على
المسلمين حملة كادوا أن يزيلهم عن مواقعهم غير أنهم ثبتوا للروم و أشرعوا
الرماح في / وجوههم و رشقوهم بالسهام ، و رجعت الروم إلى ورائها ،

١٢٤ / الف

(١) في الأصل : تنهز - كذا .

(٢) في الأصل : يزيلوهم .

و وثب مسلمة فاستوى على فرسه ثم نادى بأعلى صوته : أيها الناس ! إلى
إلى ! أنا مسلمة بن عبد الملك ! يوجب الله لكم الرضوان . قال : فاجتمع
عليه الناس ثم تواصلوا بالصبر ، و غط بعضهم بعضا ، و حملوا على الروم
كحملة رجل واحد و وضعوا فيهم السيوف . قال : و كان تقفور أول
قتيل . قال : و علمت الروم بقتل تقفور فولوا الأدبار و السيف يأخذهم ،
حتى صارت القتلى بينهم كالتلؤلؤ بعضهم على بعض . قال : و سبق البطل
ابن عمرو و جماعة من المسلمين إلى باب مدينة تقفور ، فهجموا على أهلها
فقتلوا من قدروا عليه ، و أقبل مسلمة في جماعة من المسلمين حتى أحاطوا
بالمدينة ، فاجتمعوا عليها و غنموا ما فيها . قال : و بلغت غنائم تقفورية^١
١٠ مائة و ثمانين^٢ ألف مثقال من الذهب و الفضة سوى الدواب و الأمتعة
و الرقيق . قال : و عرض مسلمة لأصحابه ، فاذا قد قتل منهم في نطوانة
و عمورية و النقفورية ثمانمائة إنسان ما بين فارس و راجل . قال : فأخرج
مسلمة الخمس من تلك الغنائم فوجه بها إلى أبيه عبد الملك بن مروان ،
و قسم باقي ذلك على المسلمين .

١٥ ثم نادى بالرحيل و سار يريد السهارة الكبرى^٣ ، فأنشأ بعض المسلمين

(١) كذا في الأصل هنا ، و قد سبق : تقفورية .

(٢) ما وجدنا في معجم البلدان مدينة تقفور و لا تقفورية .

(٣) في الأصل : ثمانون .

(٤) في معجم البلدان ٥ / ١٢٠ « السهارة مائة بالبادية و بادية السهارة

التي هي بين الكوفة و الشام قفري و قال السكري : السهارة مائة

لكلب » و ليس في المعجم موضع من بلاد الروم اسمه السهارة .

يقول أياتا مطلعها :

أى هذا الأمير عمرك الله و لا زلت فى الورى منصورا
إلى آخرها . قال : و سار المسلمون نحو السماوة و بها يومئذ بطريق من
البطارقة الرومية يقال له إفريطون فى ثمانين ألفا من الروم ، و قد حصن
السماوة قبل ذلك ، و نصب على سورها عشرين منجنيقا و ثلاثين عرادة . ه
قال : فزل مسلمة و المسلمون على السماوة ثم أمر بمجانيقه ، فنصبت عليها
من كل جانب ، و ترمى الفريقان رميا متداركا ، و دام الحرب بينهم أربعين
يوما ، لا يفترون من ذلك ليلا و لا نهارا .

فلما كان بعد ذلك أقبل / بطريق من بطارقة الروم يقال له قرطس
إلى مسلمة بن عبد الملك حتى وقف بين يديه فى جوف الليل فكفر له^{١٠}
و قال : أيتها الأمير إن السماوة حصن حصين ، و فيها خلق كثير ، و ليس
يتها لك أن تفتحها إلا أن يفتح لك من داخلها فتدخلها ، و إن إفريطون
هذا صاحب السماوة قد أساء إلى و غضبى على ابنة لى فأخذها منى قهرا
و قد عزمت على أن أفتح لك هذا الباب الذى هو مقابلك ، فإذا أصبحت
فعبى أصحابك و اقرب من باب المدينة و ألق^٢ الحرب بينك و بين الروم ،^{١٥}
و قدم أبطال عسكريك بين يديك فانى فاتح لك هذا الباب الذى هو مقابلك ؛
قال فقال له مسلمة : إن أنت فعلت ذلك حملتك و كسوتك و بررتك

(١) كفره : خضع كما يكفر العليج للدهاتين ، يضع يده على صدره و يطأطئ
رأسه و يتطامن تعظيما له .

(٢) فى الأصل : اتقى .

بشرين ألف درهم و خلطتك بأصحابي . قال فقال له قرطس : أيها الأمير !
إذا دخلت المدينة فافعل من ذلك ما أحببت . قال : ثم رجع قرطس
إلى المدينة .

فلما كان من غد عي مسلمة أصحابه كما كان يعيهم من قبل ذلك ،
ثم دنا من باب المدينة وهي السماوة ، و بين يديه البطال بن عمرو في
فرسان من أصحابه . قال : ثم عطعت الروم و كبر المسلمون ، فاختلف
الفريقان واشتبك الحرب على باب المدينة ، و فتح ذلك البطريق الباب ،
و اقتحم المسلمون معه فجعلوا يقتلون و يأسرون . قال : و فتح إفريطون
بابا آخر من أبواب السماوة و خرج هاربا على وجهه و معه خلق
١٠ كثير من أصحابه حتى صار إلى المدينة من مدن الروم يقال له المسيحية .
قال : فضم المسلمون ما كان فبلغت غنائمها ألف ألف و ثلاثمائة ألف
مقال من الغنائم و الذهب و الفضة و الأمتعة و الدواب و الرقيق ،
فأخرج مسلمة من ذلك الخمس و وجه به إلى أبيه عبد الملك بن مروان ،
١٢٥ / الف و قسم باقي ذلك على المسلمين ، فأنشأ بعض المسلمين يقول آياتا / مطلعها :
١٥ نحمد الله ذا المعارج و الطول و ذا الكبرياء و السلطان
إلى آخرها .

قال : و اقرب المسلمون من المسيحية ، و بلغ ذلك إفريطون صاحب
السماوة ، فنأدى في جميع النصرانية فاجتمعوا إليه ، فخرج بهم من المسيحية
و بين يديه بطريق يقال له شماس في ثلاثين ألفا و إفريطون من ورائه

(١) لم نجده في معجم البلدان .

في أربعين ألفا . قال : فدنا القوم بعضهم من بعض فاقتلوا قتالا شديدا ،
وحملت الروم بأجمعها على عساكر المسلمين حملة فهزموهم حتى أحقوهم
بالسهاوة وقد قتل منهم جماعة ، ثم رجع المسلمون عليهم فهزموهم
حتى أحقوهم بالمسيحية ، واشتبك الحرب على باب المسيحية . قال :
وجعل شماس البطريق يحمل على المسلمين حملة بعد حملة فيقتل ويرجع ه
إلى أصحابه حتى قتل نفرا من المسلمين . قال : وحملت قبيلة من الروم
على الضحاك بن يزيد السلمي فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المؤمنين ،
وتقدم إفريطون صاحب السهاوة في جمهور بطارقة الروم ، فجعل يقاتل
يكافي المسلمين . قال : وقصده محمد بن عبد العزيز على فرس له أصدى
وهو يرتجز ويقول :

قد علم الروم ومن والاهما وكل عالج أقلف ساواها
إني إذا الحرب خبت لظاها ألقيت أخراها على أولاهما

قال : واختلفا بطعتين طعنه إفريطون طعنه قتله . قال : فانغم المسلمون
لقتل محمد بن عبد العزيز غما شديدا ؛ وتقدم البطال بن عمرو حتى

وقف حذاء إفريطون وهو يقول :

لا بد من عرض ومن مقام على مليك حمد منعام
فجاهدى يا نفس لا تلامى بكل غضب ذكر حسام

ثم حمل البطال على إفريطون والتقيا بطعتين طعنه البطال طعنه جدله
قبلا ، ثم نزل فاحتز رأسه ورفع على رأس رنخه ثم كبر وكبر المسلمون

معه . قال : ونظرت الروم إلى رأس إفريطون / وقد رفع فانكسروا ٢٠ ١٢٥

لذلك انكسارا، و ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فولوا الأدبار
و كبتهم خيل المسلمين و أخذتهم السيوف، فقتل منهم خلق كثير،
و انهزم الباقون على وجوههم و سلموا مدينة المسيحية بجميع ما فيها،
فدخلها المسلمون عنوة فقتلوا من قتلوا و احتروا على غنائمها، فبلغت
٥ غنيمة المسيحية نيفا على مائتي ألف مثقال من الذهب و الفضة سوى
الأمثلة و الدواب و الرقيق .

قال : و هجم عليهم الشتاء بالثلوج و الأمطار و البرد الشديد، فأقام
المسلمون بالمسيحية تلك الشتوة و هي مدينة من مدن الروم حصينة عامرة
كثيرة البساتين كثيرة الخير، حتى إذا انحسر عنهم الشتاء زحفوا منها
١٠ يريدون مدينة بدروق^١ و بها يومئذ بطريق يقال له لبوس، و كان لبوس
عظيم القدر عند ملك الروم، فلما بلغه مسير المسلمين إلى ما قبله بعث
إلى ملك الروم يخبره بذلك و سأله المدد؛ فأمده ملك الروم بخمسين
ألفا، و اجتمع إليه أيضا نيف على ثلاثين ألفا، فصار لبوس في نيف على
ثمانين ألف فارس . قال : و دنا منهم المسلمون و القوم قد أعدوا على
١٥ سوز المدينة المجانيق و العرادات . قال : فكبر المسلمون ثلاث تكبيرات،
فامتلات قلوب الكفار رعبا و خوفا، و تقدم لبوس بطريق بدروق حتى
وقف بين يديه و بين يدي أصحابه عن يمينه صليب و عن يساره صليب .
قال : و نظر إليه البطل بن عمرو و قد انبرى من بين أصحابه فأقبل
إلى مسلمة بن عبد الملك فاستأذنه في الخروج إليه، فقال له مسلمة : أذنت

(١) ما وجدناه في معجم البلدان .

لك، ولكن انظر أين تضع رحلك! فقال البطال بن عمرو: كفيت أيها
الأمير ليس مثلي من يحتاج إلى الوصية في مثل هذا الوقت. قال:
ثم جعل البطال بن عمرو يرتجز ويقول:

قل للأمير ذى الصيال^(١) مسلته وابن الكرام السادة المكرمه

ومقص الأبطال يوم الملحمة إني أنا البطال جدى علقمه

أ / كم ساعد وبيضة وجمجمه طرحتها عند هياج الغمغمه

وأسمر رويته من غلصمه وأنت محمود بكل مكرمه

قال: ثم رفع رأسه وخرج من الصف فجاء جولة، ثم حمل على قلب الروم

وأمكنته الفرصته من لبوس فلم يكذب أن حمل عليه فضربه بسيفه ضربة

فلق تاجه وهامته، فخر لبوس قتيلا ينحط^(٢) في دمه. قال: وولت النصرانية

من غير قتال وأخذهم السيف، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ومر الباقون

على وجوههم لا يرجون على شيء حتى لحقوا بحر القسطنطينية. قال:

واقترح المسلمون على مدينة بدروق فاحتوا على غنائمها فكانت أموالا كثيرة

يجل وصفها عن شرحها. فأخرج مسلمة منها الخمس فوجه به إلى عبد الملك

ابن مروان، وقسم الباقي في المسلمين، فأنشأ البطال بن عمرو يقول:

لقد علم الروم الأراجس أننا قتلنا لدى الهيجاه منها رئيسها

تركنا لبوسا في القتام مجدلا فقبح ربي ذوا الجلال لبوسها

(١) في الأصل: الصال.

(٢) وفي الأصل: ينحط - كذا.

(٣) في الأصل: ذى.

و نحن أبدنا في العجاج كآتهم
 ونحن إذا ما الحرب ثبت وأر هجت
 ونحن قسمنا فيتها و نساءها
 و كان لبوسا كهفها و عمادها
 و كانت له الأبطال تسطو لأنه
 و سوف تكرر الخيل فينا شوازبا
 نريد بها أليون^١ كما تشير
 و نحن هزمتنا جيشها و حميسها
 نخوض لظاها عنوة و وطيسها
 بيدروق لما أن أثرنا شريسها
 و كان لعمرى ليثها و هموسها
 إذا ناب أمر لم تجده حميسها
 عناجيج تبدى في الغبار حميسها
 ونشني لدى الحرب العوان نفوسها

قال: و سار المسلمون يريدون بحر القسطنطينية، حتى إذا دنوا من خليج البحر لاحت لهم المدينة فنظروا إليها و إلى سورها، غير أنها في جزيرة ١٠ و ليس لها طريق إلا من جانب واحد و قد أوقف أليون^١ ملك الروم المقاتلة على ذلك الطريق لكيلا يخاص أحد إلى الجزيرة.

قال: فجمع مسلمة من كان في يديه من الروم و أمرهم باتخاذ السفن / و عزم على العبور إلى القوم. قال: فأخذ القوم في اتخاذ السفن ففرغوا منها بعد ثلاثة أشهر، ثم نادى مسلمة في الناس، فركبوا في السفن مع دوابهم و أثقالهم و رفعت الشرع، و سار القوم يريدون الجزيرة. و بلغ ذلك أليون^١ ملك الروم فأمر بمراكبه، فحمل فيها المقاتلة بالآلة و السلاح الشاك و النيران و نصاحات^٢ النفط. قال: فلم يشعر المسلمون و هم يسرون في ذلك الخليج إلا و مراكب الروم قد واقتم في الآلة و السلاح و الأعلام و المطارد. قال: و كبر المسلمون و عطعت الروم، و دنت

١٢٦/ب

(١) في الأصل: النون.

(٢) في الأصل: نصاجات.

المراكب بعضها من بعض ، وهبت الريح و نصحت^١ الروم ، فأشعلت النيران و رجعت على الروم فاحترقت بعض مراكبهم . قال : و انكشفت المراكب الباقية بين أيدي المسلمين مفلولين حتى صاروا إلى ساحل الخليج . قال : و سار مراكب المسلمين سيرا قاصدا حتى حطت بساحة الجزيرة ، فخرج المسلمون من المراكب و أخرجوا أثقالهم و دوابهم ، و فصاروا مع الروم في جزيرتهم . قال : و مدينة القسطنطينية في وسط الجزيرة و سائر الجزيرة لزروعهم و مواشيتهم . قال : فجعل مسلمة يدور في الجزيرة مع جماعة من أصحابه يطلب موضعا يبني فيه بناء له و لأصحابه ، حتى إذا أصاب موضعا كما يريد أمر الناس ، فبنوا مدينة حذاء مدينة القسطنطينية و حصنها و غلقوا عليها الأبواب ، و سموها مدينة القهر . ١٠ قال : و الروم في خلال ذلك يحاربون المسلمين و يطمعون أنهم يمنعونهم من البنان ، و المسلمون يحاربونهم^٢ و يبنون ، حتى إذا فرغوا من المدينة نادى مسلمة في أصحابه فركبوا ، ثم زحف بهم في خيله و رجله حتى دنا من باب القسطنطينية . قال : و خرجت الروم في التعبئة و الآلة و السلاح ، فاقتل القوم قتالا شديدا .

١٥

قال : و إذا يطريق من بطارقة الروم يقال له بوقاس قد خرج من صف الروم ، فجعل يحمل على المسلمين فلا يلحق أحدا إلا قتله . قال : فتحاماه الناس و خافوه / و كاعوا عنه لما يرون من بأسه و شدته ، قال :

١٢٧ / الف

(١) في الأصل : نصجت .

(٢) في الأصل : يحاربوهم .

و نظر إليه البطال بن عمرو فتهياً للحملة عليه ثم جعل يقول :

يا لك يوماً ما رأينا قبله فيما مضى من الحروب مثله
يوماً عبوساً قد أراتنا حملاً وقد أتى بوقاس يبدى جهله
هذا لأنى قد أردت قتله إن الجهاد قد عرفنا فضله

٥ قال : ثم حمل عليه البطال فالتقيا بضربتين ضربه البطال ضربة جدله
قتيلاً . ثم إنه حمل وحمل الناس معه ، وولت الروم الأدبار ، فأخذهم
السيف حتى ألحقوهم بمدينتهم ، ورجع المسلمون مظفرين حتى دخلوا
مدينة القهر و قد غنموا دواباً و سلاحاً كثيراً و سلباً .

ثم أمر مسلمة أصحابه بالفرس فغرسوا الأشجار من السكر و أنواع
١٠ الفواكه ، و عزموا على المقام هنالك إقامة من لا يريد الرجوع إلى بلاد
الإسلام أبداً . قال : و ليس من يوم إلا و الحرب يقع بين المسلمين
و الكفار ، فيقتل من الفريقين و ينتصف بعضهم من بعض ، و كلما
اجتمع عند مسلمة شيء من الغنائم يخرج منها الخمس فيوجهه به إلى أبيه
عبد الملك بن مروان و يقسم باقى ذلك فى المسلمين .

١٥ و ههنا تقع أخبار يزيد بن المهلب و ما كان من أمره
ثم نرجع إلى أخبار قسطنطينية و انصراف المسلمين

عنها إن شاء الله تعالى

قال : فكان مسلمة بن عبد الملك مقبلاً بأرض الروم و يزيد بن
المهلب يومئذ بخراسان ، و قد أحبه الناس جداً شديداً و مالوا إليه بالسمع

و الطاعة ، حتى أنهم كانوا لا يحلفون إلا بحياته مثلا ، فأقام يزيد بذلك ما شاء الله أن يقيم ، ثم إنه تغير على بنى عمه و غيرهم من أجناد خراسان ، فجعل يبغضهم و لا يقبل فيهم وصية أبيه ، حتى أبغضه أهل خراسان و جعلوا ينظرون إليه بغير العين التي كانوا ينظرون بها إليه قبل ذلك ، ثم أنشأ رجل منهم في ذلك يقول :

٥

وما كنا توكل من أمير كما كنا توكل من يزيد

/ فأخاف^٢ ظننا فيه و قدما زهدنا في معاشره الزهيد

إذا لم يعطنا نصفا أمير مشينا نحوه مثل^٣ الأسود

و لا يرضى الدناءة غير نكس قضيب الباع يرهب للوعيد^٤

١٠

نجي^٥ فلا نرى^٥ إلا صدودا على أنا نسلم من بعيد

فترجع^٦ خائبين بلا نوال^٦ فما بال التجهم^٨ و الصدود

(١) هو نهار بن توسعه كما في الطبرى ١١٦/٨ و ابن الأثير ١١/٥ .

(٢) في الطبرى و ابن الأثير ١٢/٥ : فأخطأ .

(٣) في ابن الأثير : مشى .

(٤) ليس البيت في الطبرى و لا ابن الأثير .

(٥-٥) في ابن الأثير : نجيب و لانرى .

(٦) في الطبرى و ابن الأثير : و ترجع .

(٧) من الطبرى و ابن الأثير ، و في الأصل : بلا نوال .

(٨) من الطبرى و ابن الأثير ، و في الأصل : التهجم .

فهلا^١ يا يزيد^٢ ومل^٣ إلينا وذرنا من صنيعك بالعبيد^٤
ولا تظهر عداوتنا فانا نسل عليك صارمة الحديد^٥

قال: و أقبل إليه ابن عم له يقال له ثابت بن كعب الأزدي، و كان من
فرسان أهل خراسان و شعرائهم، فقال: أصلح الله الأمير إني أرى
قومي من الأزد و غيرهم من أجناد خراسان قد خشنت صدورهم عليك لما
يرون من جفائك لهم، و قد كانوا قبل اليوم متشوقين إلى ولايتك عليهم،
فلا يكونن جزاؤهم منك الجفاء و العقوق، فان الأيام عوج رواجع
و أنالك ناصح - و السلام عليك؛ ثم أنشأ يقول:

أبا خالد إن الأمور التي ترى عوار فلا يبقى شيء خلودها
١٠ ألم ترها تمضي بقوم أعزة ذوى أسرة لم تغن عنها جنودها
و أسورة كانوا ملوكا فأصبحت أحاديث شيء قد أرقت حدودها
و إنك في أمر العشيبة كلها للابس أثواب العقوق جديدها
تهين ذوى الأحباب منهم و تصطفي لثامهم " إذ كان " ذاك بعيدها
رأيت ذوى الأحساب عاصت حدودهم لذاك و فات للثام حدودها

١٥ قال: فقال له يزيد بن المهلب: يا ثابت إفاني أعتبكم من كل ما كرهتم
و أكون لكم من الأمر بحيث ما أحببتم إن شاء الله .

(١) من الطبرى و ابن الأثير، و في الأصل: فهلا .

(٢-٢) في الطبرى و ابن الأثير: أنب .

(٣) المصراع في الطبرى و ابن الأثير: ودعنا من معاشرة العبيد .

(٤) ليس البيت في الطبرى و لا ابن الأثير .

(٥-٥) في الأصل: ادل - كذا، و لعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) في الأصل: لذلك .

قال: وبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فأحب أن يعزل يزيد بن المهلب عن خراسان فلم يقدر عليه، وكان الحجاج قد أذل أهل العراق بأجمعهم من البصرة والكوفة إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته، فانه لم يقدر عليهم حيلة واحدة لميل عبد الملك إليهم، وأخرى لامتناعهم بخراسان.

قال: فرأى / الحجاج أن يتزوج إليهم، فتزوج لأخت يزيد بن المهلب ٥ / ١٢٨ / الف وكان لها مال وشرف وكال، فزفت إليه من البصرة إلى واسط العراق.

قال: وبلغ ذلك يزيد بن المهلب فكأنه أحس بالشر من قبل الحجاج.

قال: وجعل الحجاج يكتب إليه ويأمره أن ينصرف من خراسان إلى ما قبله، ويزيد يعتل عليه بحروب خراسان، حتى إذا كان في آخر خلافة عبد الملك بن مروان دعا الحجاج بالفضل بن المهلب فولى الرى ١٠ وما والاه من البلاد. ثم كتب إلى أخيه: إني وليت أخاك المفضل الرى وقد أمرته أن يتسلم خراسان منك فيكون خليفة لك بها إلى أن تنصرف^٢ إليها، فاذا ورد عليك كتابي هذا فسلم العمل إلى أخيك المفضل واقدم إلى^١، فاني احتجت إلى مناظرتك في أمر مهم والحظ فيه لك - والسلام.

١٥

فلما ورد هذا الكتاب على يزيد دعا برجل من أجلاء عرب خراسان يقال له حنين^٣ بن المنذر الربيعي، فقال: يا حنين^٤ إنه قد كثرت على

(١) في الأصل: فانهم.

(٢) في الأصل: ينصرف.

(٣) من الطبرى ٨ / ٤٣ و ابن الأثير ٤ / ٢٤٢، وفي الأصل: الحصين.

(٤) في الأصل: حصين.

كتب الحجاج يأمرني بالمصير إلى ما قبله، وهذا أخى المفضل قد نزل
 الرى وقد أمرني الحجاج أن أسلم إليه أمور خراسان، فهاهنا ما عندك
 من الرأى، فقال له حنين بن المنذر: لا والله أيها الأمير ما أشير
 عليك بالمصير إلى الحجاج، لأنى أخاف عليك الحبس والغرم، ولعله أن
 يقتلك ولا يبالي، ولعله إنما ولى أخاك المفضل الرى ونواحيها مكيدة
 لك حتى تقع فى يده، فاتق الله فى نفسك وأقم بموضعك هذا فإنه
 خير لك، واعتل على الحجاج بحروب الترك والسغد فإنه يكف عنك،
 فإن هو فعل وإلا فأخرج عليه وحاربه وتمسك بما فى يدك من بلاد
 خراسان، فإنك إن حاربه أعانك الناس عليه لبغضهم إياه وكراهتهم
 ١٠ لولايته. قال فقال له يزيد: ويحك يا حنين! أما قولك بأنه يحبسى
 ويغرمى فانى ما لا أشك فى ههنا، وأما أن يقدم على بالقتل فما أظنه
 يروم ذلك وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان حى، لأنه / قد علم بأنى
 وأبى وأهل بيتى من صنائع أمير المؤمنين، وبعد فانا أهل بيت قد بورك
 لنا فى الطاعة، فنحن نكره القطيعة، وقد كان أبى أوصانى قبل ذلك
 ١٥ وأوصى إخوتى أن لا نخرج أبدينا من الطاعة ولا نفارق الجماعة،
 ولا بدلى من المصير إلى الحجاج على أى الأحوال. قال: ثم تجهز يزيد

١٢٨ / ب

(١) فى الأصل: الحصين.

(٢) فى الأصل: فاتقى.

(٣) فى الأصل: حصين.

(٤) فى الأصل: تقدم.

ابن المهلب وخرج من بلاد خراسان في غلمانه و مواليه و بنى عمه ، و سار
يريد العراق حتى صار إلى الري و نزلها ، فقدم أخوه المفضل إلى خراسان .
قال : و بلغ الحجاج أن يزيد بن المهلب قد صار [فدعا قتيبة بن
مسلم - ١] فعقد له عقدا و ضم إليه جيشا و ولاه خراسان ، و قال له :
سر و انزل همدان ولا تعلم أحدا أنك متوجه إلى خراسان ، و لكن ألق^٥
الخبر إلى الناس أنك على عمل الماهين ، فاذا علمت أن يزيد بن المهلب
قد توجه إلى ما قبلي فسر أنت إلى خراسان و خذ المفضل بن المهلب
و من قدرت عليه من آل المهلب و احملهم إلى^٦ ، و انزل خراسان فجاهد
الكفار الذين بها من الترك و السغد و الرقس^٢ ، و كن بها إلى أن يأتك
أمرى إن شاء الله و لا قوة إلا بالله . قال : فخرج قتيبة بن مسلم حتى نزل ١٠
همدان ، و رحل يزيد بن المهلب من الري فصار إلى همدان و بها قتيبة
ابن مسلم ، [فخرج] من همدان حتى وافي الري ، و صار يزيد بن المهلب
إلى حلوان و نزل الموت بعبد الملك بن مروان .

ذكر موت عبد الملك بن مروان و وصيته عند موته إلى أولاده

قال : فلما نزل الموت بعبد الملك بن مروان دعا بأولاده و جلساته ١٥
فأجلسهم بين يديه ثم قال : يا بني ! أوصيكم بتقوى الله ، فان التقوى
أزين حلية و أحسن حلة^٣ ، و يعطف الكبير منكم على الصغير ، و يعرف

(١) الزيادة لاستقامة العبارة .

(٢) في الأصل : التي .

(٣) كذا في الأصل ، و سيأتي في ص ٢٠٨ بلفظ « البرقس » و لم نظفر به .

(٤) في ابن الأثير ٤ / ٢٤٩ : كهف .

الصغير منكم حق الكبير؛ وإياكم والاختلاف والفرقة، فإن بها هلك
 الملوك الماضين وذوي العز المتكبرين؛ وانظروا ابني مسلمة حفظه الله
 إذا قدم من أرض الروم، فاعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله؛ وكذلك
 فاعرفوا لأخي محمد بن مروان حقه وسنه؛ وأكرموا الحجاج بن يوسف
 فإنه وطأ لكم البلاد، وأذل لكم العباد، وعقد لكم القناطر، وداس لكم
 رقاب العرب، وكفاكم المؤن وشدة الفتن؛ وانظروا يا بني أن تكونوا
 بنى أم برة^١، لاتذب العقارب بينكم، وتكونوا في الحرب أعوانا وعلى المعروف
 إخوانا، وضعوا ذخائرهم عند ذوى الميراث منكم، فإنها أصون لأحسابكم؛
 واشكروا لما بسدى إليكم؛ وتكونوا ذوى حلاوة في مرارة، ولين في شدة؛
 ١٠ ألا وإني قد استخلفت عليكم ابني^٢ الوليد من بعدى، فاسمعوا وأطيعوا؛
 وإذا هلك فابني سليمان، فإذا هلك فاختراروا من شتم وأحبتم من
 أولادى أو من خيار بنى أمية؛ ثم أنشأ يقول:

انفوا الضغائن والتخاذل بينكم في الغائبين وفي الحضور الشهيد
 بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مدّ في عمرى وإن لم يمدد
 ١٥ حتى تلين قلوبكم وجلودكم لمسود منكم وغير مسود

(١) في الأصل: ذو.

(٢) في ابن الأثير: بنى أم برة.

(٣) في الأصل: ابن - خطأ.

(٤) البيت في مروج الذهب ٢/ ١٥٧:

انفوا الضغائن عنكم وعليكم عند الغيب وفي حضور المشهد

(٥) في مروج الذهب: بسود.

فلمثل ريب الدهر ألف بينكم
 وتكون أيديكم معا في أمركم
 لا تقطعوا أرحامكم فتفرقوا
 ان القداح إذا جمعن فرامها
 عزت فلم توهن وإن هي بددت
 قال: فأجابه الوليد وهو يقول:

انى لما أوصيتني لحافظ
 وأكون الأعداء سما ناقما
 ولكل إخواني وجل عشيرتي
 وأقوم بعدك في الرعيه بالذي
 أرعاه غير مقصر في المحند
 ولذى القرابة كالحميد الأيد
 أرعى المغيب في حفظهم في المشهد
 أوصيتني بهم بحسن تودد ١٠

قال: فقال له عبد الملك: أحسنت يا بنى! وأرجو أن تكون عند ظنى
 بك، فانظر يا بنى من مال عنك برأسه هكذا فكن كما قال حسان

- (١) في مروج الذهب: ترحم .
- (٢) ليس البيتان الآتيان في مروج الذهب .
- (٣) من مروج الذهب، وفي الأصل: فالكسر، و البيت في المروج:
- إن القداح إذا اجتمعن فرامها بالكسر ذوحنق و بطش باليد
- (٤) في مروج الذهب: فلم تكسر .
- (٥) في مروج الذهب: التسكيس .
- (٦) في الأصل: ماك - كذا .
- (٧) في الأصل: وكن .

ابن ثابت :

١٢٩ / ب / بنو الحرب لا نعي بشيء زريده ولا نحن مما يحدث الدهر نجزع

لنا ميت في كل يوم فلا نرى لنا مقلة في سالف الدهر تدمع

قال : ثم جعل عبد الملك بن مروان يردد هذا البيت وهو يقول :

٥ فهل من خالد إن نحن متنا وهل بالموت للأحياء عار

قال : ثم رفع صوته وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ! و فارق الدنيا ، فكانت خلافته

ثلاث عشرة سنة وستة أشهر - والله أعلم .

قال : وصار الأمر من بعده إلى ابنه الوليد ، وبلغ ذلك يزيد

١٠ ابن المهلب فاغتم غما شديدا و علم أن الحجاج قد خدعه وأخرجه من

خراسان وولى قتيبة بن مسلم ، فجعل يقول لمن معه : إن الحجاج بن

يوسف لم يكن ليقدم علينا بسوء و أمير المؤمنين حي ، و الوليد لا يعرف

حقنا ما كان أبوه يعرفه لنا من قبل .

(١) لم نظفر بالبيتين في ديوانه المطبوع . وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٢ / ٢٨١

« يا وليد و يدك على من ناواك فلا تسمعن فيه قول أحد و أنت إليه أحوج

منه إليك ، و ادع الناس إذا مت إلى البيعة فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا .»

(٢) في تاريخ الإسلام وسمط النجوم العوالي ٣ / ١٧٠ :

فهل من خالد إما هلكنها و هل بالموت يا للناس عار

(٣) و ذلك في يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٤-٤) في الأصل : ثلاثة عشر .

قال: وبلغ المفضل بن المهلب أن قتيبة بن مسلم قد ولي خراسان فكأنه اتقى على نفسه أمرا من الأمور، فخرج عن خراسان هاربا حتى لحق بالبصرة فنزلها عند أخيه مروان بن المهلب .

قال: وسار يزيد بن المهلب نحو العراق وهو في ذلك مغموم لا يدري كيف يقع من الحجاج، حتى إذا تقارب من أرض واسط ه أمر الحجاج باستقباله، فاستقبله الناس بالكرامة والبر حتى دخل على الحجاج فأكرمه وبره وأنزله وخلع عليه، فكان يزيد يغدو على الحجاج ويروح والحجاج لا يسأله عن شيء .

ذكر دخول قتيبة إلى خراسان أميرا عليها

١٠ ثم نرجع إلى خبر يزيد بن المهلب

قال: ودخل قتيبة بن مسلم بلاد خراسان فنزل مدينة مرو، فلم يكن بخراسان قيسى إلا استبشر بولايته ولا يمانى إلا كره ذلك . قال: وجعل قتيبة يأخذ كل من كان يهوى إلى المهلب يحبسهم ويعذبهم و يطلب منهم الأموال ظلما وعدوانا، فأنشأ رجل من أهل خراسان يقول:

/ أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد ١٥ / ١٣٠ الف
فلا مطر المروان بعدك قطرة ولا اخضر فيها بعد عزلك عود
ينقص من دهرى عظيم فقصرت لنا في الأمور النائبات حدود
شدت لها أزرى وأيقنت انها جدود علت من فوقهن جدود

(١) في الأصل: المفضل .

لعل الذي وتى و كان ربيعنا ترده أيامه فيعود
قال : و كان الفرزدق بن غالب أيضا من بكره ولاية قتيبة بن مسلم وهو
الذي يقول :

بكت جزعا مروا خراسان إن رأيت بها باهليا بعد آل المهلب
تبدلت الحول القصار أنوفها بكل فنيق^١ يحمل السيف أغلب
أغر كأن البدر تحت ثيابه نجيب إلى الام النجبية و الأب
فوارس ضرابون و الخيل تلتقى عليها غيظ من دم متصب
و قال أيضا نهار بن توسعة الشاعر في ذلك :

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها و كل باب من الخيرات مفتوح
١٠ فبدلت بعده قردا يطيف به^٢ كأنما وجهه بالخل منضوح^٣

قال : فلما استقر قتيبة بن مسلم بخراسان أقبل رجل من عبد القيس
يقال له تمامة بن القعقاع^٤ حتى دخل على قتيبة فقال : أصلح الأمير
أتأذن لي في الكلام و أنا آمن ؟ قال قتيبة : و من أنت ؟ قال ، أنا رجل
من ربيعة من عبد القيس و أنا أحد بني ليكيز ، فقال : قل ما تشاء و أنت
١٥ آمن ، فأنشأ العبسي يقول :

(١) في الأصل : فسق .

(٢) المصراع في المؤلف ص ١٩٣ و البدء و التاريخ ٦ / ٣٧ : « فاستبدلت

قتبا جعدا أناماه » إلا أن في البدء و التاريخ « بعده » موضع « قتبا » .

(٣) زيد في البدء و التاريخ بعده :

الجوع يهبط في صمياء مظلمة لا مشع الله أهل الجوح ما الجوح

(٤) كذا في الأصل ولم نظفر به .

تعلم أبا حفص بأنا رعية وأنك راع فانظرن كيف تصنع
 وإنا أناس أهل نخر ونجدة على حدثان الدهر لا تتضعضع
 وأنت أمير و الأمير مسلط يضر إذا ما شاء يوما و ينفع
 فان لعبد القيس جأواه فحمة ترى الموت في حافاتنا الدهر يلمع
 وفتيان صدق من لكيز كأنهم أسود ففنها حاسر و مقننع ٥
 إذا الملك الجبار لم يعط حقهم مشى نحوه منهم همام سميدع
 فله عطا إذا مس أعظما يرى و حواليه ذئاب و أضبع
 / إذا الذئب ولى عامرا عاد شلوه جوامع تستهوى إليه و تجمع
 فان تعطنا^٢ نصفا و تكرم^٣ سراتنا تجدنا إلى ما شئت نسعى و نخضع
 و يأتيك منا عصة عبسية لباسهم ما حاك كسرى و تبع ١٠
 هم يردون الموت دونك محسرا رماحهم دون الأعدى شرع
 و قد علت قيس بن غيلان أننا كرام يمانا و مع الرب أروع
 أبونا الذى لم يعط يوما دنية ومات و ريب الدهر بالناس يجمع

١٣٠/ب

قال : فقال له قتيبة : أفرغت من شعرك ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير !

فقال : أما والله لو لا ما أعطيتكم من الأمان لأخرجت لسانك من ١٥

ففاك ! اخرج من بين يدي عليك لعنة الله و على من جرأك على مثل

هذا الكلام . ثم قال قتيبة : يا أهل خراسان ! احذروا أن يصيبكم

(١) في الأصل : منها .

(٢) في الأصل : يعطنا .

(٣) في الأصل : يكرم .

منى فاقرة فانه ليس بعد السوط إلا السيف . قال : فتقدم إليه رجل من رؤساء أهل خراسان وشعرائها يقال له حنظلة بن عرادة التميمي فأنشأ يقول :

أتيت خراسان ابن عمرو وأهلها حيارى و نار بينهم تتحرق
فأطفأتها والعدل منك سجيبة و أنت لعمرى للسداد موفق
فرنا أبا حفص بما شئت إنا إلى كل ما تهوى نخب و نسبق
فأنت لنا راع و نحن رعيه و كفاك بالإحسان فينا تدفق
فلا تأخذنا يا قتيبة بما مضى من الجهل إن الحر يعفو ويرفق
قال : فسكن غضب قتيبة و أمر لقائل هذه الأبيات بجائزة ، و قرقراره
١٠ بمدينة مرو مجاهدا للترك و السغد و البرقس .

رجعنا إلى خبر يزيد بن المهلب و الحجاج بن يوسف

قال : ثم دعا الحجاج يزيد بن المهلب فطالبه بأموال خراسان و أخرج عليه أشياء لم يكن يزيد يعرفها حتى طالبه بسبعة آلاف ألف درهم ، فأنكر يزيد ذلك ، فدعا له الحجاج بالدهق^(١) فوضع على ساقه ،
١٥ فلما مسه ألم الدهق رفع صوته فصاح ، و سمعت أخته هند صوت أخيها فصاحت و رفعت صوتها بالصراخ ، و وثب الحجاج فدخل إليها / فقال :

١٣١ / الف

(١) كذا في الأصل ، و قد مضى في ص ٢٠١ : الرقس . و في البدء و التاريخ
٦ / ٣٨ : « خرج قتيبة بن مسلم إلى ما وراء النهر و صار إلى مدينة بخارا
و كانوا قد ارتدوا بفحاشت الترك و السغد و الشاش و فرغانة و أحدقوا به أربعة
أشهر ثم هزمهم » .

(٢) الدهق - محرقة : إخشبتان يغمز بها ساق المجرمين .

تصيحين : يا هند و ترفعين صوتك بالصراخ و أخوك قد كسر أموال
خراسان على أمير المؤمنين ! أنت طالق إن صحت بعدها ، قال : فرفعت
صوتها صائحة ، فقال الحجاج : و أنت طالق إن صحت بعدها ! فقالت :
لا والله أو ثلاث ! فطلقها ثلاثا فبانت منه ، ثم ندم بعد ذلك أشد الندامة
و أمر يزيد إلى السجن و ضيق عليه و جعل يستأديه الشيء بعد الشيء ٥
حتى استأداه أربعة آلاف ألف درهم و بقيت عليه ثلاثة آلاف ألف ،
و لم يقدر يزيد على أن يؤدي ذلك ، و أيس الحجاج أن يستأديه
أكثر من ذلك .

ذكر هرب يزيد من السجن إلى بلاد الشام و اتصاله

بسليمان بن عبد الملك

١٠

قال : و كان يزيد بن المهلب مكرما للسجان و جميع من في السجن ،
و كان له مع ذلك طباخ و موائد منصوبة ، فلم يزل كذلك حتى استمال
قلوب أهل السجن ؛ ثم إنه كتب إلى أخيه مروان بن المهلب و من بالبصرة
من إخوته و أهل بيته و مواليه فأمرهم أن يكونوا على أهبة الحرب .
قال : ثم إنه كان يدعو بالسجان في كل وقت فيهره و يخلع عليه و يعده ١٥
من نفسه بالجمل ، و السجنان يجيبه إلى ذلك و يمايله حتى بذل له يزيد
ألف دينار على أن يعمل في خلاصه ، فأجابه السجنان إلى ذلك ، ثم إنه
وعده أن يهرب معه في ليلة كذا و كذا . فلما كانت تلك الليلة
قعد السجنان على باب السجن ، ثم بعث إلى منزله فأتى بشراب فجعل

يشرب ويسقى أعوانه و من يلوذ به حتى أسكرهم و مضى من الليل بعضه، ثم بعث إلى يزيد بن المهلب أن قم فهذا وقتك، قال: فوثب يزيد ثم دعا بثياب طباخه فلبسها و غطى رأسه و خرج من باب السجن و لم يمنعه مانع، فلما مر على السجن و أعوانه نظروا إليه فقالوا للسجان: ما أشبه مشيه هذا بمشية يزيد بن المهلب، فضحك السجان ثم قال: أخطأتم، هذا طباخ يزيد بن المهلب.

قال: و مضى يزيد بن المهلب / حتى صار إلى شاطئ دجلة، و ذلك في جوف الليل، لم يعرف ذلك الزورق من كثرة الزوارق، قال: و إذا بالسجان قد انسل من بين أصحابه و أقبل إلى شاطئ الدجلة فنظر إلى يزيد ١٠ هناك قائما فأخذ يده و أقبل به حتى قعدا جميعا في الزورق، ثم قال السجان للملاح: ادفع و لا تقف، فدفع الملاح زورقه و ذلك في أوان المد و زيادة الماء، فلم يصبح القوم إلا و هم على البطائح، فعدا لهم الملاح عن البطائح حتى خرج بهم إلى الشط. ثم دعا يزيد برجلين من تلك الناحية و كتب معها كتابا إلى البصرة إلى إخوته و بنى عمه و مواليه ١٥ و أمرهم أن يلحقوا به، قال: و أقبلت إليه الخيل حتى وافته في موضعه ذلك. قال: فركب يزيد و ركب معه إخوته و بنو عمه و مواليه و ركب معه السجنان أيضا، و سار في جميع من معه يوم الشام و قد أمن الحجاج. قال: و أصبح الحجاج فاتصل به الخبر، و طلب السجنان فلم يقدر عليه و ضاقت عليه الأرض بما رحبت، و خاف أن يكون قد رجع إلى

خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم أن كن على حذر فان يزيد بن المهلب قد هرب من سجني ولا أدري أين توجه و أخاف أن يفسد عليك خراسان إن دخلها . قال : و مر يزيد و من معه يوم أرض الشام و هو لا يعرف الطريق . قال : فبينا هو كذلك إذ مر برجل من العرب راكب فرس له قد عارضه ، فلما نظر إليه يزيد أمره بالوقوف ، فقال له يزيد : ممن الرجل ؟ قال : رجل من اليمن ، قال : حياك و قربك ! من أين أنت ؟ قال : من أهل هذا البلد ، قال : و أين لك الأهل ؟ قال : في حي كذا و كذا ، قال : و تخبر الطريق إلى أرض الشام ؟ قال : أنا من أخبر الناس بالطريق ، قال : فما اسمك ؟ قال : عبد الرحمن بن عاصم ، قال : يا عبد الرحمن ! هل لك أن تكون دليلا إلى أرض الشام إلى أرض فلسطين ، و لك عشرة آلاف درهم ، و أحملك و أخلع عليك ؟ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل / ما شددت إزارى منذ عقلت العقل إلا و أنا أمير و أخو أمير ، و ربما كنت أسيرا ؛ قال فقال له الرجل : فأنت إذا يزيد بن المهلب ! قال : أنا يزيد بن المهلب ، و إنما هربت من سجن الحجاج أريد ابن عم لي بأرض فلسطين يقال له زهرة بن عبد الرحمن الأزدي و أحببت بأن أكون في ناحية و يكون هو الذي يأخذني الأمان من القوم^٢ ، فقال عبد الرحمن بن عاصم هذا : أيها الأمير ! فأنا أوردك

(١) اسم الدليل في الطبري ٨ / ٧٢ : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة .

(٢) في الطبري و ابن الأثير ٤ / ٢٦٢ : « و مضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على

وهيب بن عبد الرحمن الأزدي و كان كريما على سايمان » .

إلى أرض فلسطين من موضعك هذا في سبع ليال، أسير بك ليلا و أنزل
 بك نهارا . قال يزيد : الله أكبر فسر بنا ، قال : فسار الدليل بين يدي
 يزيد فكان يسير به ليلا و ينزل به نهارا ، ولا يصبح به إلا على ماء
 من مياه العرب ، حتى إذا تقارب من أرض الشام ونظر إلى قصور
 الشام [و] فلسطين أدركهم الماء ذات ليلة ساروا وهم لا يشكون
 أنهم يصبحون في الموضع الذي يريدونه ، حتى كان قبيل الصبح صاح
 يزيد بالدليل : ويحك يا عبد الرحمن ! إني أرى النعاس قد غلبنا فكم بيننا
 و بين الموضع ؟ قال : ثلاثة أميال ، قال : فانزل بنا حتى نرقد في ليلتنا
 هذه فقد أضربى السهرا ! قال : فعدل به الدليل إلى قصر هنا لك في البرية
 ١٠ فانزله قريبا من باب القصر ، فنزل يزيد و نزل من كان معه ، و نام
 القوم فلم ينتبهوا إلا و الشمس على ظهورهم ، فاستيقظ القوم و علموا أنه
 قد فاتهم الصلاة فنظروا إلى ساقية هنالك فتوضأوا منه و صلوا ، و أشرفت
 امرأة من القصر و معها جارية لها مملوكة فنظرت الجارية إلى يزيد بن
 المهلب فقالت لمولاتها : ما أشبه هذا الرجل بيزيد بن المهلب ! فقالت
 ١٥ لها مولاتها : أو تعرفين يزيد بن المهلب فقالت ، وكيف لا أعرفه و قد
 كنت لبعض مواليه . قال : فرفع يزيد رأسه إليها و هو ملتئم ، قال : أيتها
 الجارية ! ما اسمك ؟ قالت : فلانة ، قال : فلن / هذا القصر ؟ قالت :
 هذا قصر زينب بنت يوسف أخت الحجاج امرأة أبي عقيل الثقفي ، فقال
 يزيد : انا الله و انا إليه راجعون ! ما يفارقنا الحجاج حيث ما ذهبنا ،
 ٢٠ ثم قال للدليل : ارجل بنا ويحك ! قال : فرحل القوم حتى دخلوا

أرض فلسطين .

ثم صار يزيد إلى زهرة^١ بن عبد الرحمن الأزدي ، فزل عليه
وحدثه بقصته مع الحجاج وقال : أسألك أن تسير الآن إلى سليمان
ابن عبد الملك بن مروان فتأخذ لي منه الأمان حتى أكون في ناحيته ،
فلا يقدم على أمير المؤمنين ولا أخاف صولة الحجاج . قال : فركب ه
زهرة بن عبد الرحمن إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان فخبّره بقصة
يزيد وسأله أن يكون في ناحيته حتى يأخذ له الأمان من الوليد بن
عبد الملك . قال : فأمنه سليمان ، فصار إليه يزيد فقربه وأدناه وخلع
عليه وأقام عنده مدة مديدة .

و بلغ ذلك الحجاج فكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتابا : أما ١٠
بعد يا أمير المؤمنين فان يزيد بن المهلب قد كان تغلب على بلاد خراسان
فجى أموالها ، و أنى بعثت إليه فأشخصته إلى ما قبلى فطالبته بسبعة آلاف
ألف درهم ، فأنكر ذلك فحبسته ، و أنه هرب من سجى و صار إلى أرض
الشام ، ثم أنه قد اتصل الآن بأخى أمير المؤمنين و ولى العهد سليمان
ابن عبد الملك ، و أمير المؤمنين أعلى عينا - و السلام . ١٥

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على الوليد بن عبد الملك كتب
إلى أخيه سليمان بذلك ، فكتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين إنما أجرت
يزيد بن المهلب لأنه و أباه و إخوته من صنعائنا قديما و حديثا ، و لم أجر
عدوا لأمر المؤمنين ، و قد كان الحجاج عذبه في حبسه و أرقه و أغرمه

(١) في الطبرى و ابن الأثير : وهيب .

أربعة آلاف ألف درهم ظلما وعدوانا، ثم طالبه بعد ذلك بثلاثة آلاف ألف درهم، وقد صار هذا الرجل إلى مستجيرا فاجرته، / وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم، فان رأى أمير المؤمنين أيده الله أن لا يخزني في ضيفي فعل منعا إن شاء الله .

٥ قال : فكتب إليه الوليد أنه لا بد من أن توجه به إلى ا قال : فعاوده

سليمان في ذلك ، فأنى الوليد ذلك و قال : والله لتوجهن به إلى مكبلا

مغلولا . فلما ورد الكتاب على سليمان بن عبد الملك دعا بابنه أيوب

فقيده ، ثم دعا يزيد فقيده ، ثم شد يد هذا بسلسلة و غلها جميعا

بغلين و حملها إلى الوليد بن عبد الملك و كتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين

١٠ فاني قد وجهت إليك يزيد بن المهلب فابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد

ثانيا و اجعلني إذا شئت ثالثا - و السلام ' . قال : فلما دخل يزيد بن

المهلب و أيوب بن سليمان في سلسلة مع يزيد استحيي لذلك ثم قال : قد أسأنا

إلى أبي أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ . قال : و ذهب يزيد بن المهلب ليتكلم

و يحتج عن نفسه فقال له الوليد : اسكت فقد قبلنا عذرك و عرفنا ظم

١٥ الحجاج . ثم قال : يا غلام ا على بالحداد ، فدعا بالحداد و أطلق عنها جميعا

و وصل أيوب بن سليمان بثلاثين ألف درهم و ردهما إلى سليمان .

ثم كتب إلى الحجاج : أما بعد فانه لا سبيل لك على يزيد بن المهلب ،

فانظر لا تعاودني بعد هذا اليوم - و السلام . قال : فصار يزيد بن المهلب ،

عند سليمان بن عبد الملك بن مروان في أفضل المراتب و أعلى المنازل .

(١) ذكر هذا الكتاب مفصلا في الطبرى ٨ / ٧٣ .

ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم و سرجع إلى خبر

يزيد بعدا إن شاء الله تعالى

قال: واستولى قتيبة على خراسان و دان له الناس بالسمع و الطاعة،

فلم يكن بخراسان أحد يتقى من ناحيته إلا رجلا ن: أحدهما يقال له نيزك^٢

البرقشي، و كان تركيا غير أنه أسلم على يدى بعض ولاة خراسان / و كان ٥ / ١٣٣ ب

مع ذلك شريرا غدارا، و الآخر عثمان بن مسعود التميمي، و كان أيضا

شريرا قتالا و كان متزوجا إلى الترك، و هو الذى قتل موسى بن عبد الله

ابن خازم السلمي من قبل . قال: فاتقى قتيبة بن مسلم من هذين الرجلين،

غير أن نيزك^٢ البرقشي قدم على قتيبة فصالحه عن أرضه و بلاده و صار

معه و ناصحه؛ و أما عثمان بن مسعود فكانه تأبى على قتيبة أن يصير إليه . ١٠

قال: و جعل قتيبة يكتب إليه و يلففه فى كتبه و يختدعه بالهدايا، فلم يزل

كذلك حتى صار إليه فقربه قتيبة و أدنى مجلسه و أطفه . قال: و دخل

المجسر^٣ بن مزاحم السلمي على قتيبة مسلما، فنظر إلى عثمان بن مسعود

جالسا عن يمينه، فأحب أن يحرضه عليه فقال: أبا عمرو! و ما فعل موسى

ابن عبد الله بن خازم السلمي؟ فقال عثمان أ عن ابن عمك تسألنى؟ فقال: ١٥

نعم، عنه أسألك، قال: استودعته نهر بلخ، و أيم الله لو كنت حاضرا فى

ذلك الوقت لألحقتك به! قال: فعلم قتيبة بن مسلم أن الرجل قتال سفاك

(١) فى الأصل: بعدها .

(٢) فى الأصل: يتول - كذا؛ و فى الطبرى ٦١/٨ و ٢٥٣/٤: نيزك طرخان .

(٣) فى الأصل: المحسن، و التصحيح من الطبرى ٨٤/٨ .

للدماء ، فقال له : أبا عمرو ! إن الأمير الحجاج بن يوسف قد كتب إلى
فيك يأمرني بأزعاجك إلى ما قبله ، فسر إليه فانه قد علم حسن بلائك
وما كان من نكايتك في العدو ، فانه يجب أن يراك و يكافئك على ذلك
و بلغ بك ما أنت أهله في طاعتك و أثرك . فقال له ابن مسعود : نعم
أيها الأمير ! ولكنني انصرف فأتأهب لذلك ، فقال قتيبة : و ذاك لك .

قال فقال المجسر بن مزاحم : أيها الأمير ! إن صار إلى منزله لم يرجع إليك
أبدا ، و لم تره إلا في الخيل و الكتائب ، فان بنى تميم يحمونه ، و له في
الناس صنائع ليس لأحد مثلها ؛ فقال له قتيبة بن مسلم : و ما هذه الصنائع

التي له عند الناس ؟ قال : فوثب عثمان بن مسعود / و خرج فلم يجب أن

يسمع ذلك ، فقال قتيبة : ويحك ! فما هذه الصنائع ؟ فانه قد وثب و لم يجب

أن يسمعها ، فقال من حضر : أيها الأمير ! إنه أهديت إليه جارية حسناء

و عنده قوم من بنى عمه فأراد أن يدفعها إلى رجل منهم ثم قال : إن

هذا لقبيح أن أضعها لرجل و أترك الباقيين ! و كانوا ثمانين إنسانا فأمر

لكل واحد منهم بجارية و وصيف ، و له مثل ذلك كثير في الناس

أيها الأمير ! قال : فقال قتيبة : ردوه ، فلما ردوه إلى قتيبة أمر به فقيد ،

ثم حمله على البريد و وجه به إلى الحجاج و كتب إليه : أيها الأمير !

اكفى عثمان بن مسعود أضبط لك خراسان إن شاء الله و لا قوة إلا بالله

العلي العظيم . قال : و أدخل عثمان بن مسعود على الحجاج فنظر إلى رجل

بهي جميل تام من الرجال ، فتأمله الحجاج ساعة ثم أمر به فقيد بقيد

٢٠ ثقيل ، ثم دعا به بعد ذلك بأيام فدخل على الحجاج و هو يحجل في قيده

(١) في الأصل : المحسن - كذا .

و ذلك كان ليس في رجله شيء ، فقال له الحجاج : ارتفع ! قال : فظفر
 [ابن] مسعود طفرة بقيده فاستوى مع الحجاج على سريره ، فقال
 الحجاج : ما كنت أظن أن أحدا يقدر هذا ، فقال عثمان : أيها الأمير ! إن
 السلاح أثقل من هذا القيد و أنا أثب على الفرس و معي سلاحى ، فقال
 الحجاج : إني لم آمرك أن ترتفع معى على سريرى ، إنما أمرتك أن ترتفع
 فى المجلس ، ثم أمر به الحجاج إلى السجن ثانية و أمر أن يزداد فى حديده .
 قال : ثم جعل يستأديه حتى أخذ منه مالا عظيما ، ثم لا يدري ما فعل
 به الحجاج بعد ذلك - والله أعلم .

ذكر مغازى قتيبة بن مسلم بخراسان

قال : و عزم قتيبة على الغزو ، فقام فى الناس خطيبا فحمد الله
 و أثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن الله عز و جل إنما أحلكم هذا المحل
 ليعزبكم دينه و لتذبوا عن حرمان المسلمين ، و قد أمركم بالصبر و وعدمكم
 النصر ، و وعد المجاهدين منكم فى سبيله أفضل الثواب و أعظم الذخر ،
 فتنجزوا / موعد ربكم و وطنوا أنفسكم على مضض الألم ، و إياكم و الهوينا
 و الفشل - و السلام ^٢ . قال : فاستخلف على مدينة مرو و خرج يريد ^{١٥}

(١) فى الأصل : يستأذنه .

(٢) كذا هنا ، و سيأتى فى ١٣٨/ب من الأصل أن الحجاج لم يزل يعذب
 و يستأدى حتى مات فى السجن من شدة العذاب .

(٣) انظر الطبرى ٥٩/٨ .

(٤) فى الطبرى و ابن الأثير ٢٥٢/٤ : « استخلف بمر و على حربها إياس بن عبد الله
 ابن عمرو و على الخراج عثمان بن السعدى » .

بخارستان ، حتى إذا صار بالطالقان^١ أقبل إليه دهاقين بلخ فعبروا معه
النهر ، ثم سار قتيبة بن مسلم في عسكر لجب حتى صار إلى بخارستان
فنزل عليها ، وخرج إليه ملكها فصالحه وأعطاه الرضى وأخذ منه
قتيبة الرهائن .

٥ ثم سار يريد بيكند^٢ مدينة من أداني بخارا و بها يومئذ خلق كثير
من الترك و السغد و البرقس . قال : فسار إليهم قتيبة حتى نزل بساحتهم
و نظر إلى عساكرهم ، فلما أصبح وثب فعبى أصحابه ميامن و مياسر و قلبا
و جناحا و كينا ، ثم زحف بهم إلى الكفار .

قال : و قد كان قتيبة وجه إلى الكفار بجاسوس يقال له تنذر^٣
١٠ ليأتيه بأخبارهم ، قال : و علمت به الترك فأخذوه و أتوا به إلى ملكهم
خاقان ، فقالوا : أيها الملك ! هذا رجل منا و هو عين لقتيبة بن مسلم علينا
فمرنا فيه بأمرك ، قال فقال له خاقان : ويحك يا تنذر ! أنت رجل منا فما
الذي يحميك على أن تكون عينا لقتيبة علينا ؟ فقال تنذر : أيها الملك !
إن الرجل لمحسن إلى جدا ، و لكن لك على أن أردده عنك مع جيشه
١٥ هذا الذي أتاك به ، قال فقال له خاقان : إن فعلت ذلك يا تنذر فلك
عندى عشرة آلاف درهم و غلام و جارية ، و إن أنت مضيت و لم تفعل

(١) في الأصل : بالطقان - كذا ، و التصحيح من الطبرى و ابن الأثير .

(٢) بالكسر و فتح الكاف و - كون النون - بلدة بين بخارى و جيحون على
مرحلة من بخارى - معجم البلدان ٢ / ٣٣٩ .

(٣) من الطبرى ٨ / ٦٢ و ابن الأثير ٤ / ٢٥٤ ، و في الأصل بالمواضع كلها بغير نقط .

ذلك ثم وقعت في يدي ضربت عنقك؟ قال فقال تنذر: كفيت أيها الملك! ذرني و قتيبة . قال: ثم رجع تنذر إلى قتيبة فتقدم إليه سرا من أصحابه فقال له: أيها الأمير! إنه قد غرك الحجاج و ألقاك إلى التهلكة، وهذا عامل يقدم عليك من قبل الوليد بن عبد الملك، فلا تحارب هؤلاء القوم في يومك هذا فانك لا تدري كيف يكون الأمر بينك و بينهم! ٥
 قال: فتبسم قتيبة من ذلك ثم قال: يا عدو الله! وما الذي أتاك بهذا الخبر دوني، أهذا شيء دبرته على أن أصرف / جيشي هذا عن الترك في يومى هذا؛ قال: ثم قدمه قتيبة فضرب عنقه صبورا^٢. فرأى المسلمون قد راعهم ما فعل قتيبة بحاسوسه هذا، فقال قتيبة: أيها الناس! ما لي أراكم قد راعكم قتل^٣ تنذر هذا عبد أحانه الله و قد كنت أظنه ناصحا للمسلمين ١٠
 [بل كان] غاشا لهم^٤، فذروا عنكم ما كان مني إلى تنذر، و عليكم بجهاد عدوكم .

قال: فدنا القوم بعضهم من بعض، و تقدم خالفان ملك الترك و هياطلتهم . قال: فالتفت قتيبة إلى رجل من أصحابه يقال له و كيع بن

(١) في الطبرى «فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك و قد عزل الحجاج فلو انصرفت بالناس إلى مرو» انظر ابن الأثير أيضا .

(٢) في ابن الأثير «فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس» انظر أيضا الطبرى .

(٣) في الأصل: قتلى .

(٤) في الطبرى ٨ / ٦٢: «ما يروءكم من قتل عبد أحانه الله؟ قالوا: إنا كنا

نظنه ناصحا للمسلمين قال: بل كان غاشيا فأحانه الله بذنبه» .

أبي سود التميمي ، فقال : يا وكيع ا كم تقدر هؤلاء الكفار يكونوا ؟
 فقال : أيها الأمير ا أقدر أنهم يزيدون على ثمانين ألفا ، فقال قتيبة :
 صدقت ، قد خبرت أنهم سبعة و ثمانون ألفا ولكن ما عندك الآن فيهم ؟
 فقال وكيع : أيها الأمير ا عندي كل ما تحب مني ، فقال قتيبة : أحسنت ،
 ٥ ولكن لا تعجل بالحملة حتى أنظر ما يكون . قال : ثم تناوش القوم
 ساعة و كانت بينهم مناولة فأخذت السيوف من الكفار مأخذها فقتل
 منهم جماعة ، ثم التفت وكيع إلى قومه من بني تميم فقال : يا معشر المسلمين ا
 انظروا من كان منكم يريد الموت فليتبغني ، و كان كارها فليثبت في مكانه .
 قال : فأجابته بنو تميم بأحسن الجواب ، فتقدم وكيع في زهاء عشرة
 ١٠ آلاف من بني تميم و مواليهم ، و ساعدتهم بنو بكر بن وائل ، و قصرت
 عنهم قبائل العرب من اليمن حسدا منهم لهم ، فلم يساعدهم على القتال .
 قال : فدنت منهم الترك فاقتلوا قتالا شديدا ، و اختلط القوم من وقت
 بزوغ الشمس إلى زوالها ، ثم صاح وكيع بن أبي سود بأصحابه و حمل
 و حملوا معه حملة منكرة ، و صدقوهم الضرب و الطعن ، فولت الترك من
 ١٥ بين أيدي المسلمين و أخذهم السيف ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و انهزم
 الباقيون أقبح الهزيمة ، فأنشأ نهار بن توسعة التميمي يقول في ذلك
 أبياتا مطلعها :

لعمري لقد فازت تميم بذكرها و سائر أحياء العراق و قوف

إلى آخرها . قال : و مضت الترك و السغد هاربين على و جوههم نحو

٢٠ الجبال و الغياض قد ألقى الله تبارك و تعالى الخوف و الرعب في قلوبهم .

ذكر غنائم ييكنند وما وجد في خزائنها

قال : و دنا قتيبة من مدينة ييكنند فزل عليها ، ولم يزل محاصرا لها حتى فتحها بالسيف ، فقتل مقاتلتها و هدم سورها حتى وضعها بالارض ثم جمع غنائمها ، فأخرج منها الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و كتب إليه يخبره بفتح ييكنند ، ثم قسم باقى الغنائم فى المسلمين . قال : و قوى المسلمون بما أصابوا من غنائم ييكنند ، و تنافسوا فى شراء السلاح حتى بلغ الرمح سبعين درهما ، و بلغ الدرع سبعمائة درهم ، و بلغت السيوف أثمانها على أقدارها ؛ قال : و جلبت إليهم الدواب من كل بلد ، و أصاب قتيبة فى فى خزائن ييكنند سلاحا كثيرا ، فقسمه بين المسلمين ؛ و أصاب أيضا خزانة مقللة فأمر بفتحها ففتحت ، فأخرج منها من آنية الذهب و الفضة ما لا يحصى ؛ و أصابوا أيضا فى هذه الخزانة^١ صنما عظيما من ذهب ، فأمر قتيبة بأذابه فأذيب فخرج منه خمسون و مائتا ألف دينار^٢ . قال : و أصابوا فى هذه الخزانة لؤلؤتين عظيمتين فعجب قتيبة من كبرهما و ضيائهما ؛ ثم دعا بسدنة بيت النار ، فقال : خبرونى كيف وقعت هاتان اللؤلؤتان إلى بلدكم هذه ؟ فقالوا : أيها الأمير إنا نظرنا ذات يوم إلى ١٥ طائرين قد وقعا^٣ على بيت النار و الأصنام فألقيا هاتين اللؤلؤتين من

(١) زيد فى الأصل : أيضا .

(٢) فى الأصل « مائتان ألف دينار » و فى الطبرى ٦٣ / ٨ : « فخرج منه خمسون و مائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال » .

(٣) فى الأصل : وقتنا .

من مناقرهما ثم طارا؛ قال: فعجب قتيبة من ذلك، ثم بعث بهاتين اللؤلؤتين إلى الحجاج وكتب إليه بخبرهما، فكتب إليه الحجاج: إني قد فهمت ما ذكرت من أمر هاتين اللؤلؤتين، وإن أعجب من أمرهما وأمر الطائرين سخاءاً نفسك لنا بها أبا حفص - والسلام.

قال: وكان عامة أهل يكنند يومئذ بالصين في تجارات لهم، فلما

رجعوا نظروا إلى يكنند فطلبوا نساءهم وأولادهم، فجعلوا / يشترونهم من

المسلمين بالمال الجزيل. قال: وكانت امرأة رجل منهم قد وقعت مع

ابن لها إلى رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن سليمان الغنوي،

فطلبها زوجها وطلب أيضا ابنها منه، واستام عليه الغنوي عشرة آلاف

درهم، فقال له التركي: يا هذا! أنا أتزوج امرأة غير هذه فتدلي في سنتين

غلامين، ولأعطيك عشرة آلاف درهم؛ فقال له الغنوي: ذاك إليك

فاصنع ما بدا لك. قال: فاشترى التركي امرأته وابنيه بعشرة آلاف

درهم، ثم لقي الغنوي بعد ذلك فقال له: أيها العربي إنك لو أبيت على

أن لا تبغى أهلي وابني إلا بأربعمائة ألف درهم لأخذتني وطابت

١٥ نفسى به .

قال: وعمر أهل يكنند مدينتهم ثانية باذن قتيبة ونزلوا بها على

أنهم يؤدون إليه في كل سنة شيئا معلوما، فصالحهم على ذلك وكتب

عليهم بذلك كتابا .

(١) في الأصل: وسمها .

قال: ثم سار قتيبة من يكنند إلى نومشكت^١، فلما دنا منهم خرجوا إليه فصالحوه على مال يعطونه كل سنة على أنهم يكونون في طاعته، فقبل قتيبة ذلك منهم.

ثم قفل يريد مرو فاذا بطرخان^٢ ملك السغد و كور بغانون^٣ ملك الترك قد أقبلا في مائتي ألف يريدون قتاله. قال: وقد كان قتيبة في هـ الجيش و خلف أخاه عبد الرحمن بن مسلم على الساقة، فلما نظر إلى جيش الكفار قد وافاه في ذلك الخلق العظيم أرسل إلى قتيبة فأعلمه بذلك، فرجع قتيبة إلى ورائه، و التقى القوم فاقتلوا قتالا شديدا إلى الليل، ثم ناجزهم في اليوم الثاني فقاتلهم، فكانت الدائرة على الكفار، فقتل منهم مقتلة عظيمة و انهزموا، و تبعهم قتيبة و المسلمون فقتلوهم قتالا ذريعا، و غنم المسلمون غنائم كثيرة، ثم رجع قتيبة إلى مرو ثم كتب إلى الحجاج خبره بوقعته هذه و كيف رزق عليهم الظفر، فوجه إليه بالخمسة - و الله أعلم.

(١) من الطبرى ٦٦ / ٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٥٦، و في الأصل: بومشكت. و ليس ذكره في معجم البلدان.

(٢) وقع في الأصل: بطرحون - مصحفا.

(٣) من الطبرى، و في الأصل: لور معاينون. و في ابن الأثير: كورنعايون.

(٤) في الأصل: إليه.

(٥) في الأصل: غنائما.

ذكر مسير قتيبة بن مسلم إلى بخارى

قال: ثم جمع قتيبة بن مسلم المسلمين و سار إلى بخارى، و بها يومئذ ملك عظيم / الشأن يقال له معاينون بن راع^١ في نيف على أربعين ألفاً، و نزل عليهم قتيبة بجيشه و دام الحرب أياماً كثيرة لا يفترون من الحرب، حتى إذا عضهم السلاح و وجدوا ألم الجراح أرسلوا إلى قتيبة يسألونه الصلح على أنهم يعطونه مائتي ألف درهم و يعينونه بأنفسهم، فرضى قتيبة منهم بذلك، فأخذ منهم ما صالحهم عليه. قال: و قد كان قتيبة أخذ منهم رجلاً أعور أسيراً فكان شيطاناً من شياطينهم، فقدمه ليضرب عنقه فقال: أيها الأمير! لا تقتلني و أنا أفدى نفسي بما قيمته ألف ألف درهم؛ قال قتيبة لأصحابه: ما ترون فيما يقول هذا الكافر؟ فقالوا: أيها الأمير! هذا الذي قد بذله رغبةً و زيادةً في الغنيمة نخذ منه ما قد بذل و لا تقتله، فقال قتيبة: لا والله لا تروع^٢ باسمه مسلمة أبداً ثم قدمه فضرب عنقه.

قال: و خرج أهل بخارا إلى قتيبة فصاروا معه في عسكره، فأنشأ المغيرة بن حنبل التميمي يمدح قتيبة بن مسلم و هو يقول أياتاً مطلعها:

عفت الديار بسفح طود شمام إلا بقية أثلب و تمام

(١) كذا في الأصل، و في الطبري ٨ / ٦٨ و ابن الأثير ٤ / ٢٥٧: و وردان

خذه، و كذا في دائرة المعارف للبستاني (بخارى).

(٢) في الأصل: لا يروع.

إلى آخرها .

ذكر نيزك البرقشي و هربه من عسكر قتيبة

قال : و هرب نيزك البرقشي من عسكر قتيبة في جوف الليل مع رجل
من وجوه الترك يقال له باذان يريد إلى قلعة باذغيس ، قال : فطلبه
قتيبة فلم يقدر عليه فلم أنه قد هرب ، فوجه الخيل في طلبه فلم يقدر عليه ،
فأقبل نيزك إلى قلعته فدخلها ، و هي قلعة حصينة لا ترام ولا يقدر
عليها أحد ، و اسمها براسكين^٢ ، و هي التي يقول فيها الشاعر حيث يقول :
براسكين من حل ذروتها حاز البلاد فان شاء جار أو ظلمها
منية لم يرمها قبله أحد تخالها كوكبا في الجو قد نجما
تخال نيرانها من بعد منظرها بعض النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت بساحتها حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
/ قد ذل نيزكها من بعد عزته و جاءها^٣ عارفا بالذل مهتضا

قال : و سار قتيبة في عسكره و جنده حتى نزل على القلعة ، قال : و سمعت
ملوك خراسان بأن قتيبة قد سار إلى نيزك ، و نيزك قد كان يسئ إليهم
و يغير عليهم و لم يكن لهم فيه حيلة لحصانة قلعته . فلما سار إليه قتيبة
زحفت معه ملوك خراسان و دخلوا في طاعته و رغبوا في معاونته ، قال :

(١) وردت الأبيات في الطبري ٨ / ٧٨ و مطلعها :

لمن الديار عفت بسفح سنام إلا بقية أبصر و ثمام

(٢) كذا في الأصل ، و لم نظفر بها .

(٣) في الأصل : جاء - كذا .

وأقبل قتيبة حتى نزل أسفل القلعة ومعه أهل بخارا وأهل مرو
 والطالقان والفارياب وأهل بلخ وسرخس وما ولاها . قال : ثم دعا
 قتيبة برجل من أصحابه يقال له سليم بن عبد الله وكان يقال له سليم الناصح ،
 فأرسله إلى نيزك يدعوهُ إلى الطاعة وبعذله على هربه ويضمن له على
 قتيبة ما أحب . قال : فأقبل سليم الناصح هذا حتى صعد الجبل وصار
 إلى باب القلعة ، ثم استأذن على نيزك فأذن له ، فدخل فلما نظر إليه
 نيزك قربه وأدناه ثم قال : ما وراءك يا سليم الناصح ؟ فقال له سليم :
 ويحك ما الذي حملك على الهرب من العسكر وأنت أنت و قدرك عند
 الأمير هو القدر الذي علمت ؟ فقال نيزك : ويحك يا سليم ! إني لم أكن
 ١٠ آمن على نفسي من قتيبة مع إكرامه إياي ، لأن العربي بمنزلة الكلب ،
 إن ضربته نبسح ، وإن أطعمته بصبهن ، وإن غزوته فقاتلته ثم صالحته
 فأعطيته شيئا رضى ، هذا رجل قدم إليه فلان الأعور قيل له ألف
 ألف درهم على أن لا يقتله فلم يقبل ذلك منه و قتله ، فلما رأيت ذلك
 منه لم آمن على نفسي و هربت ، فهات الآن ما عندك يا سليم ! فقال
 ١٥ سليم : عندي والله أنه جال في جيشه كله وقد حفت معه ملوك خراسان
 من جميع البلاد ولا أظنه نازحا عن موضعه هذا ، وأظنه يشتر فيه هذا
 الشتاء هلك أم سلم ، وأنا أرى لك من الرأي أن تنزل من قلعتك هذه
 ولا يعلم أحد بنزولك حتى تدخل إلى عسكره فتضع يدك في يده ، فقال
 نيزك : ويحك يا سليم ! إن نفسي لتأني ذلك ، / فقال سليم : إني ما جئتك
 (١) في الأصل : ورضى .

إلا ناصحا مشيرا عليك . فأما إذا أبيت فاني منصرف عنك : قال :
ثم وثب سليم لينصرف ، فقال له نيزك : فنغديك إذا يا سليم ! [قال : إني
لاظنكم في شغل عن تهيئة الطعام و - ١] معنا طعام كثير ، ثم قال سليم
لغلامه : يا غلام ! اتنا بالطعام الذي حملناه معنا من العسكر ؛ قال : فجاء
الغلام بطعام كثير لا عهد له بمثله ، فلما نظرت الأتراك إلى ذلك الطعام
و حسنه و كثرته بادروا إليه فانتهبوه . قال : فاعتم نيزك لذلك ، فقال له
سليم : يا أبا الهياج ! إني لك من الناصحين ، أرى أصحابك هؤلاء إن طال
بهم الحصار أن يستأمنوا قتيبة و يسلموك ، فقال نيزك : أو أنزل إلى قتيبة
من غير أمان و ظني به أنه قاتلي ؟ قال سليم : يا هذا ! فانه قد آمنك و إنما
هو الذي أرسلني إليك أفتهمني ؟ قال نيزك : لا أتهمك ؛ فقال أصحابه مثل ١٠
قول سليم و قالوا : أقبل منه قوله فانه ناصح لك . قال : فدعا نيزك بدابته فركب
و ركب معه أصحابه ، و خرج من باب القلعة حتى إذا صار إلى الدرجة
التي ينتهي منها إلى قرار الأرض ضرب قلبه ، فالتفتا إلى سليم الناصح
فقال : يا سليم ! من كان لا يعلم متى يموت فأنا أعلم متى أموت ، إذا
عابنت قتيبة فأنا ميت ! فقال له سليم : كلا يا أبا الهياج ! لا يكون إلا خيرا ١٥
إن شاء الله . قال : و سار نيزك حتى إذا خرج من فم الشعب وقع
التكبير في عسكر المسلمين ، ففرع الأتراك لذلك التكبير ثم تخلفوا عن
نيزك ، فقال نيزك : أما هذا أول الشر ، فقال له سليم : لا عليك يا أبا الهياج !
فان تخلف هؤلاء عنك فهو خير لك من مسيرهم معك فسر .

(١) من الطبرى ٨ / ٧٦ .

قال : فسار نيزك حتى إذا دخل العسكر و نظر إليه قتيبة كله بلغة
 الباذغيسية ثم قال : مرحبا برجل غدارا ثم أمر به فحبس في خيمة لقتيبة
 و قيد بقيد ثقيل ، و كتب إلى الحجاج يخبره بأمر نيزك هذا ، فكتب
 إليه الحجاج أن اقله فانه رجل سوء غدار عدو لأهل الإسلام . قال :
 ١٣٨ / الف ٥ فورد كتاب الحجاج على قتيبة بعد أربعين يوما ، / فلما ورد عليه الكتاب
 دعا به قتيبة فأقبل يحجل في قيده حتى وقف بين يديه ، فقال له قتيبة :
 يا نيزك ! ألك عندي أمان ؟ فقال : لا ولكن عند سليم الناصح أمان ،
 فقال قتيبة : كذبت يا عدو الله لا أمان لمثلك و قد رجعت عن دين
 الإسلام غير مرة ، ثم قال قتيبة لأصحابه : ما تقولون في نيزك ؟ قال :
 ١٠ فصاح الناس من كل جانب فقالوا نقول إنه كافر فاسق مرتد غدار !
 قال : فدعا قتيبة بالسيف ليضرب عنقه ، فقال له نيزك : إني إنما نزلت
 إليك بكتاب الله ، قال قتيبة : و أنا أقتلك بحكم الله ، قال نيزك : فاني
 أفدى نفسي منك بمال ، قال قتيبة : و ما مبلغ ما تفدى نفسك مني ؟
 قال : ألف ألف درهم ، قال قتيبة : زدني ، قال : ألف ألف درهم ،
 ١٥ قال : زدني ، قال : ثلاثة آلاف ألف درهم ؛ فلم يزل حتى بذل له
 عشرة آلاف ألف درهم ، فقال قتيبة : أين هذا المال ؟ قال : في القلعة ،
 قال : القلعة ^١ و ما فيها لنا ، والله لو لم يبق من أجلى إلا ثلاث كلمات
 لقتلتك ^٢ . قال : ثم قدمه فضرب عنقه صبورا ، و قتل معه سبعائة رجل

(١) في الأصل : بالقلعة .

(٢) في الطبري ٧٧/٨ : لقلت : اقتلوه اقتلوه اقتلوه .

من أصحابه على دم واحد؛ فأنشأ المغيرة بن حبناء التميمي^١ في ذلك يقول
أبياتا مطلعها :

لعمري لنعمت^٢ غرة^٣ الجند غزوة قضت نجبها من نيزك فاشمعلت^٤
إلى آخرها .

قال : ثم بعث قتيبة إلى قلعة نيزك فاحتوى على ما فيها من الأموال و
والأسلحة والآثار . واحتوى أيضا على أهل نيزك وولده وخدمه ،
فأخرج من ذلك كله الخمس فوجه به إلى الحجاج ووجه إليه برأس نيزك
ورأس ابن أخيه عثمان و رؤوس القوم الذين قتلهم مع نيزك و قد علق
في آذانهم الرقاع بأسمائهم ، فلما وردت الرؤوس على الحجاج ونظر
إليها دعا بعثمان بن مسعود التميمي من الحبس ، فأقبل يحجل في قيوده .
فقال له الحجاج : أتعرف هذه الرؤوس يا عثمان؟ قال : نعم أيها الأمير ، هذه
رؤوس أصحاب نيزك / الذين كانوا معه و كانت نعمة الله عليهم سابقة ،
وهذا رأس نيزك البرقشي صاحب قلعة باذغيس ، وهذا رأس ابن أخيه عثمان
ابن سور ، فقال الحجاج : ويحك يا عثمان ! الترك تسمى أولادها بعثمان؟ فقال :
لا ، و لكن سمي هذا باسمي لأنى كنت مصاهرا لهم ، قال الحجاج : فهل
رأيت أحدا أعظم غنى ممن قتل هذا - وأوما الحجاج إلى نيزك؟ فقال :

(١) في ابن الأثير ٤ / ٣٦٥ : نهار بن تومعة .

(٢) في ابن الأثير : نعمت .

(٣) في الطبري و ابن الأثير : غزوة .

(٤) في الطبري و ابن الأثير : و تعلت .

نعم أيها الأمير . من قتل صاحب هذا الخاتم ، فقال : هذا خاتم موسى ابن عبد الله بن خازم السلمي - ثم رمى بالخاتم إليه ، فنظر إليه الحجاج فاذا خاتم من ذهب فسه ياقوت أحمر ، فقال الحجاج : صدقت يا عثمان ! إن من قتل صاحب هذا الخاتم هو أعظم غنى من قاتل نيزك .

خبر المنطقة

قال : ثم أقبل الحجاج على عثمان بن مسعود فقال له : يا عثمان إنه قد كتب إلينا قتيبة بهذه المنطقة يذكر أنه منطقة نيزك فانظر إليها ، قال : فنظر عثمان بن مسعود إلى المنطقة فقال : أيها الأمير ليست هذه منطقة نيزك ، هذه منطقة رجل من عظماء الترك يقال له جينغويه^١ و منطقة نيزك^{١٠} موصولة و هي نصف منطقة فيروز ، و ذلك أن منطقة فيروز لما قتل سقط عن فرسه في نهر خزار^٢ فانقطعت منطقته فذهب السيل بنصفها مما يلي الأبرين و صار إلى نيزك موصولة . قال فقال رجل ممن حضر مجلس الحجاج : كذبت أيها الأمير ! هذه منطقة نيزك ، فقال له عثمان : إذا عرب بالكعب ما أنت و هذا؟ و ما يدخلك فيما ليس من أمرك؟ ما عليك بالملوك و لباسهم؟ أنت تأكل الضب و اليربوع و الجرذ و القنفذ ، أنا أعلم منك بأمور الملوك و دأبهم . قال : فضحك الحجاج ثم قال : ردوه إلى الحبس ! فردوه إلى الحبس ، فلم يزل يعذب في الحبس و يستأدى حتى مات في السجن من شدة العذاب ، فهذا أصح خبر ورد علينا من أمر عثمان بن مسعود التميمي - و الله أعلم .

(١) في الأصل : جموه ، و التصحيح من الطبري ٨ / ٧٨ .

(٢) في معجم البلدان ٣ / ٤٢٨ : « خزار موضع بقرب و خشن من نواحي بلخ » .

ثم رجعنا إلى خبر قتيبة بن مسلم

١٣٩ / الف

/ قال : فلما قتل قتيبة نيزك البرقشي دخل من ذلك على أهل خراسان فرح و سرور شديد ، و قالت الشعراء في قتيبة أشعارا كثيرة ، و مدحه نهار بن توسة بهذه الأبيات :

أصبت و وفقت ابن عمرو و لم تزل على كل حال [قد] توفق للرشد ه
 قتلت عدو الله نيزك بعدما أتى و جنود المسلمين على حقد
 فكم ثم كم من غمرة قد عقرتها و كم عاند في القوم قومت للقصد
 و لم مقتر أنعشته يا ابن مسلم و أعطيته الآمال في طلب الحميد
 و كم من عظيم البال يحتمل في الوغى نزات صريعا للدرين و للحد
 و كم بائس أغنيته بعد عيلة فأصبح ذا مال كثير و ذو لبد ١٠
 و من متلد دغدغت بالسيف ماله و قدما قدما كان يأوى إلى صفد

ذكر مسير قتيبة إلى مرو الروذ و الطالقان و الفارياب

و الجوزجان في وقت واحد

قال : ثم سار قتيبة يريد مرو الروذ ، و بها ملك يقال له بازام ، و قد كان بازام هذا أعان نيزك البرقشي على قتيبة فقتله و قتل ولدا له كبيرا ١٥ و قتل له أخا صغيرا ، و علق رأسه في عنق أمه ثم أمر بقتلها بعد ذلك فقتلت ، فقال له المجسر بن مزاحم السلمي : أيها الأمير ! لو كنت وهبت

(١) في الأصل : المحشر ، و التصحيح من الطبري ٨ / ٨٤ .

دذه المرأة لرجل من أصحابك ولم تقتلها كان ذلك عندي أحسن ا قال:
 فنظر إليه قتيبة نظرة ظن أنه سيقتله، ثم سكت و نادى في أصحابه و سار
 إلى الطالقان، و بها يومئذ من صعايك الترك فخار بهم قتيبة يوما واحدا
 فظفر بهم، فقتل منهم جماعة و صلبهم، ثم استعمل على من بقى منهم أخاه
 عمرو بن مسلم؛ و سار يريد الفارياب، فلما دنا منها تلقاه ملكها مدعنا
 مقراله بالسمع و الطاعة، فلم يهيجه قتيبة و لم يؤذها و رده إلى بلده
 مكرما؛ ثم سار منها إلى الجوزجان، فتلقاه أهلها سامعين مطيعين، و هرب
 ملكها إلى الجبل، فلم يطلبه قتيبة و لم يؤذ أحدا من أهل الجوزجان، غير
 / أنه استعمل عليها عامر بن مالك الجماني أحد بني تميم و هم أن يسير إلى
 ١٠ غيرها فجاه إليه ملك الجوزجان سامعا مطيعا فصالحه قتيبة عن أرضه .
 قال: فمضى ملك الجوزجان إلى بلاده فشد عليه رجل من أصحابه فقتله،
 و بلغ ذلك قتيبة فطلب ذلك الرجل حتى وقع في يده. فأخذه قتيبة
 فطلاه بالنفط ثم صلبه و أحرقه بالنار^٢. قال: و جعل قتيبة يقتل و يأمر

١٣٩ / ب

(١) في الأصل: فلم يهيجه .

(٢) في الأصل: و لم يؤذيه .

(٣) في ابن الأثير ٤ / ٢٦٥: « أرسل ملك الجوزجان يطالب الأمان فأمته على

أن يأتيه فطلب رهنا و يعطى رهان فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب

الباهلي، و أعطى ملك الجوزجان رهان من أهل بيته و قدم على قتيبة ثم رجع فمات

بطالقان، فقال أهل الجوزجان إنهم سموه فقتلوا حبيبا، و قتل قتيبة الرهائن الذين

كانوا عنده » انظر أيضا الطبري ٨ / ٧٨ .

وينهب حتى أذل الترك إذلالا ما أذلهم أحد قبله مثله قط ، فأنشأ نهار
ابن توسعة في ذلك يقول :

أراك الله في الأتراك حكما كحكم في قريظة^١ والنضير

قضاء من قتيبة غير جور به يشفي الغليل من الصدور^٢

قال : ثم جمع قتيبة من كان في يده من أسارى الترك ، فكانوا نيفا على ٥
ثمانين رجلا من سادات الترك و ملوكهم ، فكبلمهم بالحديد و استوثق
منهم بالأغلال ، ووجه بهم إلى الحجاج مع أموال كانت عنده من
أموال الخس ، فأنشأ حاجب بن ذبيان المازني يقول أبياتا مطلعها :

كم من كمي تركت مجندلا شلوا طريحا للذئب و الرخم

إلى آخرها .

قال : ثم رجع قتيبة إلى مرو فترها و أرسل إلى امرأة نيزك
البرقشي فخطبها ليتزوج بها ، فأرسلت إليه : أيها الأمير إنك لست بخليفة
ولا أنت الحجاج ، إنما أنت أمير من أمراء خراسان مثل يزيد بن المهلب
و غيره ، و قد قتلت زوجي و ولدي و احتويت على أموالي ثم بعثت إلى
تخطبني ، أفما تخاف أن أعمل في قتلك فأخذ بأرى منك ؟ قال : فلم قتيبة ١٥
أنها قد صدقت في قولها و أنصفت و حققت فلها عنها و تركها .

(١) في الأصل : قريضة - كذا بالضاد .

(٢) زيد في الطبري ٨ / ٧٨ :

فان ير نيزك خزيا و ذلا فكم في الحرب حتى من أمير

ذكر مسير قتيبة إلى بلاد سجستان ثم منها إلى بلخ

قال: ثم جمع قتيبة أصحابه و سار بهم يريد سجستان ، و بها يومئذ ملك يقال له رُنَيْلٌ^١ في نيف عن سبعين ألفاً من الكفار ، فأقبل حتى نزل عليها ، ثم أمر أصحابه بالغارة ، فجعلوا يغيرون يمنة و يسرة على بلاد سجستان / حتى ملأوا أيديهم من الغنائم . قال : و كره رُنَيْلٌ ملك سجستان حرب قتيبة و علم أنه لا يقوم له و لا لأصحابه ، فأرسل إليه يسأله الصلح ، فأجابه قتيبة إلى ذلك ، و وقع الصلح بينهما على خمسمائة ألف درهم و مائتي رأس من الرقيق جوار و غلمان ، فأخذ قتيبة منهم ذلك ، فأخرج منه الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و قسم باقي ذلك في المسلمين .

١٤٠ / الف ٥

١٠ ذكر مسير قتيبة إلى بلخ و ما والاها من الكور

قال : ثم نادى قتيبة في أصحابه بالرحيل و سار حتى نزل على بلخ ، و بها يومئذ ملك يقال له الشاه بن نيزك في جمع عظيم ، فلما بلغه نزول قتيبة بساحته خرج إليه ، و وقع الحرب بين الفريقين فاقتلوا ، فقتل من المسلمين نيف على سبعمائة رجل ، و قتل من الكفار بشر كثير ، و أسر ١٥ منهم ألف رجل أو يزيدون ، فقدمهم قتيبة و ضرب أعناقهم صبراً ، ثم إنه جلس و دعا بالطعام و جعل يتغدى و القتل بين يديه و هو لا يكترث لذلك . قال : و نظر أهل بلخ إلى ذلك من قتيبة فاتقوا و خافوا على

(١) في الأصل في المواضع كلها : زَنْبِيلٌ .

أنفسهم خوفاً شديداً و طلبوا الصلح ، فأجابهم قتيبة إلى ذلك ، فوقع الصلح بين قتيبة و بين أهل بلخ على ثلاثمائة ألف درهم و ثلاثمائة رأس من الرقيق ، فأخذ قتيبة منهم ذلك و كتب لهم كتاباً بالصلح ، ثم أخرج من ذلك المال الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و قسم باقى ذلك فى المسلمين ؛ فأنشأ زياد الأعمم يقول فى ذلك آياتاً مطلعها :

إن خير الولاية حر كريم يد من كان قبله حين كيدا

إلى آخرها .

ذكر مسير قتيبة إلى خوارزم

ثم سار قتيبة بجيشه حتى نزل على خوارزم ، و بها يومئذ ملك يقال له جنغان^١ فى أربعمئة ألف عنان من أصناف الكفار ، و قال : و لجنغان ١٠ أخ يقال خرزاد قد غلبه على أمره فليس له معه أمر و لا نهى ، و كان يجب أن يقدم قتيبة إلى البلد ، فسكت حتى جاء قتيبة / و نزل حذاء خوارزم ، و كتب إليه جنغان يعلمه أنه قد بذل له مائة ألف رأس و متاعاً سماه له فى كتابه على أن يدفع إليه أخاه و يملكه فى بلاده ؛ قال : فأرسل بكتابه إلى قتيبة سرا و لا يعلم به أحد من أهل خوارزم . قال : و بعث إليه ١٥ بثلاثة^٢ مفاتيح من الذهب ، فقدم رسول جنغان على قتيبة و قد عزم على الحرب ، فلما قرأ الكتاب أجابه إلى ما سأل ، ثم إنه أظهر فى عسكره

(١) فى ابن الأثير ٤ / ٢٧٣ : خوارزم شاه .

(٢) فى الأصل : بثلاث .

أنه يريد السغد، ووقع الخبر بذلك بخوارزم، فقال خرزاد لأهل مملكته:
 إن قتيبة يريد السغد وقد أمنتم من حربه وأن يغزوكم في هذه السنة.
 ثم نادى قتيبة بالرحيل نحو بلاد السغد قبل يومه ذلك، ثم رجع
 إلى بلاد خوارزم، فلم يشعر القوم إلا وقتيبة قد وافاهم، ففرعوا
 لذلك فرعا شديدا، ثم اجتمعوا إلى جنغان فقالوا: أيها الملك أما عندك
 من الرأي؟ [قال]: مهنا لأخي خرزاد فصيروا إليه. قال: فاجتمع
 القوم إلى خرزاد فقالوا: إن هذا الرجل قد نزل بساحتنا يريد هلاكنا
 فهات ما عندك من الرأي، قال: فعلم خرزاد بأن أخاه قد كاتب قتيبة
 فهمم بقتل أخيه، ثم خشي أن يقتله أهل البلد فلم يقتل أخاه، ثم نادى
 ١٠ في الناس وخرج حتى نزل بموضع يقال له فنك، ونزل قتيبة قريبا
 منه. قال: و خوارزم يومئذ ثلاث مديان يحيط لها مياه الفارقين. قال:
 و وقع الحرب بين الفريقين وسلم جنغان إلى قتيبة مدينتين من مدن
 خوارزم وصار معه في عسكره، وبقى خرزاد في المدينة الثالثة وطلب
 الأمان، ثم بعث إلى قتيبة: أنا أيها الأمير عبدك فاصطنعني واستبقني،
 ١٥ فنعم العبد أنا لك ا فقال قتيبة لرسوله: ارجع إليه فقل عني: إن رضى أخوك
 جنغان بذلك آمنتك واستبقيتك، فكلمه واطلب إليه في ذلك. قال:

(١) في معجم البلدان ٦/٤٠٢: فنك - بالفتح أولا وثانيا وكاف، قرية بينها وبين

سمرقند نصف فرسخ.

(٢) في الأصل: ترك.

(٣) في الأصل: أخوه.

فأرسل إليه خرزاد : أيها الأمير إنه ليس في عسكريك أحد يطمع أن يعيش
خمسين سنة ، و قد علمت / أن مصيري إلى الموت ، و ليس مثلي من ذلك
لأخيه ، وإنما أحببت أن أكون لك لا لغيرك ، و القتل أحب إليّ من
الطلب إلى أخى ، فان مت أو قتلت فانه قد مات من كان أنبل منى و أشد
منى تملكاً و تبحراً - و السلام .

قال : و وقع الحرب بين أهل خوارزم و بين قتيبة ، فلم يكن
إلا ساعة حتى أخذ خرزاد أسيراً ، فأتى به إلى قتيبة حتى وقف بين يديه ، فقال
له قتيبة : كيف رأيت ما أنزل الله بك يا خرزاد ؟ فقال : أيها الأمير !
لا تلمني فانى ما ضربت يدي إلى سيفي إلا لتحكم بيني و بينك فخذلى سيفي

و لم يطاوعى ، قال قتيبة : هذا يكون ، ثم قدمه فضربت عنقه صبراً . ١٠
فقال جنغان : أيها الأمير إنك لم تشف صدرى بعد ، قال قتيبة : فما تريد
يا جنغان ؟ قال : أريد أن تقتل كل من كان معه على ، قال : فجمعهم قتيبة
و هم خلق كثير من الأسارى فسلمهم إلى جنغان ، فقدمهم جنغان فضرب
أعناقهم صبراً ، ثم أخذ أموالهم فدفعها إلى قتيبة ، ثم وفى بما كان ضمن له .

قال : فأخرج قتيبة من ذلك الخمس فوجه به إلى الحجاج ، و قسم باقى ذلك ١٥
فى المسلمين ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشعري يقول فى ذلك أبياتا مطلعها :

إني رأيت أبا حفص يزينه^٢ أيامه و مساعى الناس تختلف

إلى آخرها .

(١) فى الأصل : الأشعري .

(٢) فى الطبرى ٨ / ٨٤ : تفضله . و فيه عشر أبيات .

ذكر مسير قتيبة إلى السغد من بعد فتح خوارزم وما والاها

قال : فلما فرغ قتيبة من أمر خوارزم قام إليه المجسر^١ بن مزاحم السلمي فقال : أيها الأمير ! ههنا سر بيني و بينك ! قال : فتحنى معه ناحية ثم قال : هات ما عندك ، فقال : إن أردت السغد يوما من الدهر فاليوم ، فإنه ما بينك وبينه إلا مسيرة عشرة أيام ، قال فقال قتيبة : هل أشار عليك بهذا أحد ؟ قال : لا ، [قال : فأعلمته أحدا ؟ قال : لا ، قال : -] فوالله لئن تكلم بهذا غيرك من الناس لأضربن عنقك . قال : ثم دعا قتيبة بأخيه عبد الرحمن بن مسلم فقال له : قدم الأثقال إلى مرو ، / فنادى عبد الرحمن بالرحيل إلى مرو ، فارتحل الناس و مضت الأثقال بين يديه و تبعها ١٠ الناس يريدون إلى مرو ، حتى إذا أمسى عبد الرحمن بن مسلم و هو في المسير أتاه كتاب أخيه قتيبة بن مسلم^٢ أن انظر إذا أصبحت فوجه الأثقال إلى مرو و سر أنت في الخيل و الرجال إلى السغد ، و اكنم ذلك فاني من ورائك بالأثر إن شاء الله تعالى . قال : فأمر عبد الرحمن بن مسلم بالأثقال فمضت إلى مرو ، و انصرف هو في الخيل و الرجال نحو سمرقند ، ١٥ : قام قتيبة في الناس خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ، و قال : أيها الناس ! إن الله عز و جل قد فتح عليكم من البلاد ما علمتم ، و أنا أرجو أن يكون سبي سمرقند كسبي بني قريظة^٣ و النضير ، فأبشروا ثم أبشروا - و السلام .

(١) في الأصل : المحسن - و التصحيح من الطبري ٨ / ٨٤ .

(٢) الزيادة من الطبري ٨ / ٨٥ .

(٣) في الأصل : القريضة .

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة

قال : وإذا كتاب الحجاج قد ورد على قتيبة : أما بعد فإني لست بأش إذ فتح الله علينا ، عليك خوارزم ، وأغنمنا أموالها و خزائنها و غنائمها أن يفتح الله عليك ، علينا ما بعدها ، و قد بلغني أنك تريد المسير إلى سمرقند ، أنا أنشدك أن غزوت بالمسلمين ، أنا أسأل الله أن يعز نصرك .
و أن يحسن عاقبتك ، و أن يمدك بالملائكة المردفين ، و أن يرعب قلوب أهل سمرقند ، و أن يخالف بين كلمتهم ، و أن يلقى بأسهم بينهم ، و أن يورثنا أرضهم ، و ديارهم و أموالهم ، و أن يجعل دائرة السوء عليهم ، إنه على كل شيء قدير - و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

قال : فلما ورد كتاب الحجاج على قتيبة نادى في الناس فجمعهم
و أقرأهم الكتاب ، ثم نديهم للمسير إلى سمرقند فحف معه الصغير و الكبير من جميع مدائن خراسان ، خرج معه السوقة بالعصي و المقاليع فضلا عن غيرهم . قال : فسار بهم قتيبة حتى قطع البلاد ثم سار إلى سمرقند فنزل عليها .

١٥ ذكر نزول قتيبة على سمرقند و محاربه أهلها

قال : فنزل قتيبة على سمرقند و بها يومئذ ملكها غوزك بن / أخشيد السغد في ثلاثين و مائة ألف من السغد . قال : فأحرق قتيبة أبوابها ، و خرجت إليه السغد في الآلة و السلاح و العدة الكاملة ، و اشتبك الحرب بين الفريقين فاقتلوا مرارا ، كل ذلك يتنصف بعضهم من بعض ؛ فلما كان

بعد ذلك بأيام أقبل نفر منهم حتى وقفوا على سور المدينة ، ثم تكلم رجل منهم بالسغدية فقال : يا معشر العرب ! على ما ذا تقاتلونا و تدخلون على أنفسكم المشقة و العناء في أمر لا تصلون إليه ؟ إنا قد وجدنا في بعض كتبنا أن مدينتنا هذه لا يفتحها إلا رجل اسمه أكاف الجمل ، فانصرفوا عنا و لا تعبوا خيلكم و تقتلوا أنفسكم ، فقال قتيبة : ما الذي يقول هؤلاء القوم ؟ فقال رجل ممن يفهم كلامهم : إنهم يقولون كذا و كذا ، فقال قتيبة : الله أكبر ! فأنا والله أكاف الجمل ، أنا قتيبة و القتب قتب الجمل . قال : ثم جد في حربهم ، فقتل منهم في ذلك اليوم خلق عظيم .

قال : و كتب ملك سمرقند إلى ملك الشاش بأن العرب قد قاتلونا و قاتلناهم ، فان هم ظفروا بنا ساروا إليكم فانظروا لأنفسكم فانما نحن الجنة دونكم ، فان وصل إلينا غلتم أتم أذل و أهون . فاجتمع أهل الشاش على نصرة أهل سمرقند ، ثم إنهم أرسلوا إلى غوزك بن أخشيد أن اشغلهم أنت بالقتال حتى نبيت نحن عسكرهم . قال : و جعل أهل الشاش ينتخبون أهل النجدة و الشجاعة من أهل بلادهم ، ثم إنهم ساروا ١٥ بمعين على يات العسكر عسكر قتيبة ، و اتصل الخبر بقتيبة ، فانتخب من عسكره سبعمائة رجل ، كل رجل منهم يحتاج إلى رجال ، ثم قال لهم : اعلوا أن أهل الشاش قد ساروا إلى ما قبلكم يريدون أن يبتوكم بزعمهم ، فاخرجوا إليهم الآن فاكفوا لهم في موضع كذا و كذا ، و ذبوا عن دينكم و أحسابكم - و السلام .

٢٠ قال : فخرج المسلمون و ذلك في وقت المغرب ، فنزلوا على فرسخين

من عسكر قتيبة على / طريق القوم الذي وصف لهم . قال : ورئيس المسلمين يومئذ صالح أخو قتيبة ، ففرق أصحابه ثلاث فرق فجعلهم كناه : كميناً عن يمينه ، و كميناً عن شماله ، و وقف هو في الفرقة الثالثة على قارعة الطريق ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه إذا أهل الشاش قد أقبلوا في الآلة و العدة التامة الكاملة ، قال : فلما نظروا إلى المسلمين حملوا عليهم و اختلط القوم ، و خرج عليهم الكمينان عن يمينه و يساره فانطوا عليهم ، و صبر الفريقان بعضهم لبعض ساعة ، و شد على رجل من أهل الشاش عظيم القدر فيهم فضربه ضربته على قرطه فأطار رأسه ، و وقعت الهزيمة على الكفار ، فانهمزوا و السيف يأخذهم ، فما أفلت منهم إلا الشديد .

قال : و أسر منهم جماعة ، و انصرف المسلمون إلى قتيبة فخبروه بذلك ، فقال قتيبة : جزاكم الله من قوم خيراً فلقد جاهدتم فأحسستم الجهاد ، و أبلتكم فأحسستم البلاء . قال : ثم قدم هؤلاء^٢ الأسارى فضرب أعناقهم عن آخرهم ؛ ثم أقبل على كعب بن معدان الأشعري^٣ فقال له : يا كعب أأنت القائل في المهلب بن أبي صفرة هذه الآيات :

(١) كذا في الأصل ، و اعله : اليسير .

(٢) في الأصل : هؤلاءك .

(٣) في الأصل : الأشعري .

(٤) في الطبري ٨ / ٨٩ و ابن الأثير ٤ / ٢٧٦ : « دعا قتيبة نهار بن توسعة حين

صالح أهل السند فقال : يا نهار ! أين قولك ، و قد مضى البيتان الآتيان في ص

١٢١ لنهار بن توسعة ، و هو الصحيح انظر الشعر و الشعراء ص ١٢٠ .

١ إلا ذهب الغزو^١ المقرب^٢ للفتى^٣ ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما^٤ بمرور الروذ^٥ رهن ضريحه^٦ وقد^٧ فقد^٨ من كل شرق ومغرب

فقال: بلى أيها الأمير! أنا قاتل هذا. وأنا الذي أقول فيك:

فما^٩ كان^{١٠} مذكنا ولا كان^{١١} قبلنا^{١٢} ولا^{١٣} كان^{١٤} كالباهلي ابن^{١٥} مسلم

أعم^{١٦} لاهل الأرض بأسا وناثلا^{١٧} وأقسم^{١٨} فينا مغنا بعد مغنم^{١٩}

قال: فأمر له قتيبة بجائزة سنية، وأقبل حتى نزل على سمرقند، فوضع

عليها المجانيق فجعل يحاربهم أشد الحرب. قال: فأرسل إليه غوزك بن

أخشيد ملك السغد: أيها الأمير! أنت إنما تقاتلني باخواني من العجم،

(١-١) من الطبرى وابن الأثير والشعر والشعراء، وفي الأصل: إذا ذهب العرف.

(٢) في الشعر والشعراء: للفتى.

(٣) في الأصل: أقاموا، والتصحيح من الطبرى وابن الأثير، وليس البيت في

الشعر والشعراء.

(٤-٤) من الطبرى وابن الأثير، وفي الأصل: ما يرحانها.

(٥-٥) في الطبرى وابن الأثير: غيبا عن.

(٦) في الطبرى وابن الأثير: وما.

(٧-٧) في الشعر والشعراء: فيمن كان في الناس.

(٨-٨) في الطبرى وابن الأثير والشعر والشعراء: هو فيما بعدنا كابن.

(٩) من الطبرى وابن الأثير، وفي الأصل: أهم. والبيت في المراجع المذكورة:

أعم لأهل الترك قتل بسيفه وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

وفي ابن الأثير «الشرك» مكان «الترك». وفي الشعر والشعراء «أشد على

الكفار قتل بسيفه».

فأخرج إلى العرب حتى تعلم كيف / أحاربهم ا قال : فغضب قتيبة لذلك ثم نادى في المسلمين فانتخب الأبطال من عسكره فقدمهم إلى الحرب ، وأمر أصحاب المجانيق بالرمي ، فكان المسلمون يرمونه بحجارة المجانيق والسعد يرمونهم بالنشاب ، فلم يزل المسلمون كذلك حتى ثلثوا السور برمي الحجارة . قال : و صاح القوم بقتيبة أن ارجع عنا اليوم فانا نصلحك غدا ، فقال قتيبة : ه إنه قد جزع السعد فانصرفوا عنهم على كفرهم . قال : فانصرف المسلمون عنهم إلى عسكرهم .

ذكر صلح قتيبة بن مسلم على سمرقند

و دخوله و المسلمين إياها

قال : فلما كان من غد دنا قتيبة من السور و وقع الصلح بين القوم ، ١٠ فصالحهم قتيبة على ألفي ألف درهم عاجلة و مائتي ألف درهم في كل سنة ، و على ثلاثة آلاف رأس من الرقيق ليس فيهم صبي و لا شيخ ، و على ما في بيوت النيران من حلية الأصنام ، و على أنهم يبذون لقتيبة في المدينة مسجدا ، و على أنهم يخلون المدينة فلا يكون فيها مقاتل ، و يدخلها قتيبة و أصحابه و يصلى و يخطب و يتغدى بها ثم يخرج ؛ فأجابه غوزك بن ١٥ أخشيد إلى ذلك على أنه يدخل من باب كس و نسف و يخرج من باب الصين . قال : و أمر غوزك باتخاذ الطعام لقتيبة و لوجوه أصحابه ثم أمر بباب سمرقند ففتح ، فدخل المسلمون المدينة بالكبير ، و أقبل قتيبة في

(١ - ١) في الأصل : فانصرفوا المسلمين .

إخوته و بنى عمه حتى إذا صار إلى باب سمرقند قد استقبله غوزك بن
أخشيد فسجد له ، ثم مشى بين يديه حتى صار إلى بيت الأضام فجلس فيه ،
و أقبل غوزك حتى وقف بين يديه بلا سيف ، فجعل قتيبة ينظر إلى غلمان
غوزك في مناطق الذهب المرصعة بالجواهر ، فاغتاظ لذلك غيظا عظيما حتى
حتى احمرت عيناه و أراد أن يغدر بغوزك فتبين ذلك في وجهه ، ثم إنه
لم ير ذلك / صوابا ، فتم لغوزك ما صالحه عليه ، فأنشأ كعب بن معدان
الاشقري^٢ في ذلك يقول أياتا مطلعها :

الأياها الباغي قتيبة غيبة أبي الله إلا أن يكون مؤيدا

إلى آخرها . قال فقال له قتيبة : أحسنت يا غلام ! ادفع إلى الأشقري^٢
١٠ عشرة آلاف درهم . قال : ثم دعا بالطعام ، فأمر غوزك بن أخشيد
بالموائد و قدمت ، و عليها ألوان الأطعمة ، فأكل قتيبة و إخوته و بنو عمه
و قواده ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم و غسلوا أيديهم وثب قتيبة
فصلى ركعتين ، ثم دعا بكاتبه فأمر أن يكتب لغوزك بن أخشيد عهده
الذي صالحه عليه .

١٥ ذكر العهد الذي كتب الغوزك بن أخشيد

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح قتيبة بن مسلم بن عمرو
الباهلي غوزك بن أخشيد أفشين السغد ، إنه صالحه و شرط له بذلك عهد الله

(١) في الأصل : لم يرى .

(٢) في الأصل : الأشعري .

و ميثاقه و ذمته ، و ذمة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و آله ، و ذمة
 أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ، و ذمة الأمير الحجاج بن
 يوسف بن الحكم ، و ذمة المؤمنين ، و ذمة قتيبة بن مسلم ، فصالحه عن سمرقند
 و رساتيقها كس و نسف أرضها و مزارعها و جميع حدودها على ألفي ألف
 درهم عاجلة ، و مائتي ألف درهم في كل عام ، و ثلاثة آلاف رأس
 من الرقيق ليس فيهم صبي و لا شيخ على أن يسمعوا و يطيعوا لعبد الله
 الوليد بن عبد الملك بن مروان و للأمير الحجاج بن يوسف و للأمير
 قتيبة بن مسلم ، و على أن يؤدي غوزك بن أخشيد أفشين السغد ما
 صالحه عليه قتيبة بن مسلم من مال و رقيق ، فما أعطى من ذلك في جزية
 أرضه من السبي يحسب له كل رأس بمائتي درهم ، و ما كان من الثياب ١٠
 الكبار كل ثوب بمائة درهم و الصغار بستين درهما ، / و ما كان من حرير
 فكل شقة بثمانية و عشرين درهما ، و الذهب الأحمر كل مثقال بعشرين
 درهما ، و الفضة البيضاء مثقال بمثقال ، و على قتيبة بن مسلم العهد و الميثاق
 أنه لا يعمل على غوزك بن أخشيد أفشين السغد بشيء و لا يغدر به و لا
 يأخذ منه أكثر مما صالحه عليه ، فان خرج على غوزك بن أخشيد عدو ١٥
 من الأعداء فعلى قتيبة بن مسلم أن ينصره و يعاونه على عدوه ، و يقول
 قتيبة بن مسلم بأني قد ملكتك يا غوزك بن أخشيد سمرقند و أرضها
 و حدودها و كس و نسف و بلادها و حصونها ، و فوضت إليك أمرها ،
 و أخذت خاتمك عليها ، لا يعترض عليك معترض ، و أن الملك من بعدك

لولدك أبدا ما دامت لى ولاية بخراسان ؛ شهد على ذلك الحضين بن المنذر البتكري وضرار بن حصين التميمي وعلباء بن حبيب العبقي و معاوية بن عامر الكندي ووكيع بن أبي سود الحنظلي وإياس بن نبهان و الأشجع بن عبد الرحمن و المحرر بن حمران و المجسر بن مزاحم و عبد الله بن الأزور و الفضيل بن عبد الله و عثمان بن رجاء و الحسن ابن معاوية و الفضيل بن بسام ؛ و كتب ثابت بن أبي ثابت كاتب قتيبة بن مسلم في سنة أربع و تسعين . قال : و ختم قتيبة بن مسلم الشهود بخواتيمهم على هذا العهد، و دفع العهد إلى غوزك بن أخشيد؛ فأنشأ الفرات بن عبد الله السني^١ بقول في ذلك :

١٠ يرى الموت من عادى قتيبة مجهرا و ليس بوقاف و لا بمواكل
و لكنه سمح بنفس كريمه^٢ يصل بها يوم الفنا و القبائل^٣
فما لأبي حفص يزيد إذا سما بأرعن مثل الطود جم الصواهل^٤
حوى السغد حتى شاع في الناس ذكره و نال التي أعيت على المتناول
و نال التي قد رامها الناس قبله فأعيوا و أمسى ذكره غير خامل^٥

١٥ قال : ثم دعا قتيبة بأخيه عبد الرحمن بن مسلم فجعله مقيا بمدينة سمرقند لثلا ينكثوا و لا يغدروا^٦، ثم أقبل إلى مدينة مرو فترها /، و كتب

١٤٤/ب

(١) في الأصل : الثني ، و التصحيح من معجم الشعراء ص ٣١٧ .

(٢) في معجم الشعراء : « بذول لها يوم التفات القنابل » .

(٣) ليس البيت في معجم الشعراء .

(٤) في الطبري ٨ / ٨٩ : « واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم » .

إلى الحجاج يخبره بما فتح الله عليه من سمرقند وما كان من صلحه إياهم،
ووجه إليه الخمس من أموال سمرقند .

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة

أما بعد ، يا قتيبة ! فقد استقبل الله عز وجل من أمرك بما لم يستقبل
به أحد قبلك من التمكّن في البلاد و الظهور على الأعداء ، فخذ ما آتاك الله
بقوة و كن من الشاكرين ، و أعلّك يا قتيبة بأنك إلى الشدة في دين الله
عز وجل أحوج منك إلى اللين و الوهن و الضعف ، فاشدد يدك أبا حفص
بما قلّدك الله تبارك و تعالى من أمر خراسان ، و اتبع السياسة التي رضى الله
بها عن عبده الصالح ذي القرنين إذ قيل له لما بلغ مغرب الشمس ”يذا القرنين
أما ان تعذب و اما ان تتخذ فيهم حسنا“^١ فأحب الله تبارك و تعالى
أن يبلوه فيما آتاه ، فهدها إلى طاعته و مرضاته من الحرم و القوة .
فقال : ”أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عنها با نكراه و اما
من آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى و سنقول له من امرنا بسرا“^٢ ،
فرضى الله بصنيعه الحسن و قص ذلك في كتابه العزيز على نبيه صلى الله
عليه و سلم ليقتدى به أئمة الحق و رعاة الدين ، فتدبر أبا حفص ما كتبت
به إليك من موعظة العبد الصالح - و السلام عليك و رحمة الله و بركاته .

(١) في الأصل : الدين .

(٢) انظر سورة ١٨ آية ٨٦ .

(٣) انظر سورة ١٨ آية ٨٧ - ٨٨ .

قال : فوصل الكتاب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان .

ذكر كتاب الحجاج إلى قتيبة عند وفاته^١

قال : ومرض الحجاج مرضته التي توفى فيها ، فلما أحس من نفسه الضعف وعلم أنه ميت كتب إلى قتيبة أيضا بهذا الكتاب : أما بعد يا قتيبة ! فإني كتبت إليك كتابي هذا وقد اشتد وجعي ، لعل الله تعالى أن يجعل علقى هذه كفارة لذنوبي ، والله أحب أن أخلد في هذه الدنيا كما خلد إبليس اللعين - عليه من الله والملائكة والناس أجمعين اللعنة والحزى والبوار وسوء الدار - ولي أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وآله والأئمة الصالحين / من بعده ، وإني لأعلم رجالا من المنافقين ١٠ سيشتد سرورهم بما لي عند الله من عداوتهم إياي على دينه وأخذ حقه منهم ، وإني لأعلم رجالا يشتد لنتك جزعهم لما يتخوفون من ظهور الأعداء ، وقد علمت أن الذي ينصرهم^٢ في حياتي هو الذي ينصرهم بعد مماتي ، فانظر يا قتيبة أن تكون أشد بما كنت في أمر الله و جهاد الكفار والمنافقين ، واغظ عليهم وماوهم جهنم وبئس المصير ، أستودعك الله ١٥ يا قتيبة أنت ومن معك من المسلمين حتى نلتقي نحن وأنت غدا بين يدي الرب الرحيم^٣ .

(١) بهامش الأصل : « ذكر وصية الحجاج عند موته » .

(٢) في الأصل : ينصرهم .

(٣) بهامش الأصل « الجواب عندي أن الحجاج معلق في قصر من حديد بين الجنة والنار - والله أعلم » .

قال: ثم تولى الحجاج فكانت وفاته بالعراق ليلة الجمعة لسبع
مضين من شهر رمضان لخمس أو ست و تسعين - والله أعلم؛ فأنشأ
الفرزدق بن غالب يقول:

ليبك على الإسلام من كان باكيا على الدين أو مستوحش الليل خائف
وأرملة لما أتاها نعيه أجادت له بالواكفات الذوارف ه
وقالت لأتراب لها قمن حسرا فقد مات راعي ذودنا بالتألف
فما ضمنت أرض كمثل ابن يوسف ولا خط يوما في بطون الصحائف
قال: واتصل موت الحجاج بالوليد بن عبد الملك فأظهر عليه الحزن
والجزع أياما كثيرة .

ذكر ولاية يزيد بن أبي كبشة على العراق و مسير ١٠

قتيبة إلى فرغانة

قال: ثم دعا الوليد بن عبد الملك برجل يقال له يزيد بن أبي كبشة
السكسكي فاستعمله على العراق في موضع الحجاج، وأمره أن يقر
قتيبة بن مسلم على خراسان. قال: فأقبل يزيد بن أبي كبشة حتى نزل العراق،
ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم يخبره بولايته على العراق و يأمره بالمسير ١٥
إلى فرغانة ويحثه على ذلك .

قال: فلما ورد كتاب يزيد بن أبي كبشة على قتيبة نادى في أصحابه

(١) انظر الطبرى ٨ / ٩٦ .

فجمعهم و أقرأهم الكتاب ، ثم أمرهم بالتجهز إلى فرغانة لمحاربة أهلها .

قال : فأجابه الناس إلى ذلك ، فسار قتيبة في جيش عظيم حتى نزل

أرض فرغانة ، فجعل يقتل و يسبي حتى انتهى إلى الشعب / الذي ينتهى منه

إلى الصين ، و قد غنم المسلمون غنائم كثيرة . ثم أقبل قتيبة حتى نزل

على ملك فرغانة و اسمه باشك و كان له حصن و ثيق يقال له كذه ،

و قد جمع باشك في ذلك الحصن جميع ما يحتاج إليه من آلة الحصار ؛

قال : فأقام عليه قتيبة سبعة أشهر حتى قفى ما كان عنده ، ثم خدعه

قتيبة فاستنزله من حصنه بغير أمان ، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً ،

ثم احتوى على أمواله و قليله و كثيره ، فأخرج من ذلك كله الخمس ،

ثم وجه به إلى يزيد بن أبي كبشة أمير العراقيين ، و قسم باقى ذلك في

المسلمين ؛ فأنشأ حاجب بن ذبيان المازني في ذلك يقول أياتا مطلعها :

كم من عدو قتل ذى كلب جهم المحيا صبحت بالحرب

إلى آخرها . قال : و بلغ الوليد بن عبد الملك أن قتيبة بن مسلم قد

فتح فرغانة و ظفر بأهلها و قتل ملكها ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن

١٥ أمير المؤمنين قد عرف بلاءك في عدو المسلمين و نكايتك في المشركين ،

و أمير المؤمنين رافعك و صانع بك كل الذى تحب ، فأتمم مغازيك

و انتظر ثواب ربك ، و لا تغب أمير المؤمنين من كتبك حتى كأنه

ينظر إلى جهادك و الثغر الذى أنت فيه - و السلام عليك و رحمة الله

و بركاته .

(١) انظر لهذا الكتاب الطبرى ٨ / ٩٦ و سبط النجوم العوالى ٣ / ١٨٤ .

ذكر فتح كاشغر من أداني مدائن الصين

و وفاة الوليد بن عبد الملك

قال : فلما فتح قتيبة فرغانة و كان من أمرها ما كان نادى في الناس فجمعهم ثم سار بهم إلى كاشغر ، و كاشغر من أداني مدائن الصين .
قال : فسار إليهم قتيبة بخيله و رجله ، حتى إذا تقارب من بلادهم نزل .
بمسكره في أداني أرضهم ، ثم دعا برجل من أصحابه له كثير بن ايم
الرياق فضم إليه سبعة آلاف رجل من فارس و راجل و وجه بهم
إلى كاشغر ، قال : فأقبل كثير حتى نزل عليهم فقاتلهم قتالا شديدا ، و سبي
منهم مائتي رأس ، فحتم رقابهم و وجه بهم إلى قتيبة ؛ فأنشأ نهار بن توسعة
يقول في ذلك :

١٠

الف / ١٤٦

/ لقد ذقت بنو الأتراك حربا و ذلا ليس بالذل الحقيير
و كم في الحرب حمق من أمير و كم في الحرب حزم من أمير
قال : ثم رجع قتيبة بن مسلم من غزوته تلك و توفي الوليد بن عبد الملك ،
فكان ملكه تسع سنين و ثمانية أشهر ، و توفي بدمشق في يوم السبت
في النصف من جمادى الآخرة سنة ست و تسعين ، و هو يومئذ ابن سبع ١٥
و أربعين سنة ، و كانت وفاته بعد وفاة الحجاج بأحد عشر شهرا -
و الله أعلم .

(١) كذا في الأصل ، وفي الطبري ٨ / ١٠٠ « كثير بن فلان » ، وفي ابن

الأثير ٥ / ٢ « كبير بن فلان » .

(٢) في الأصل : بأحدى عشر .

ذكر ولاية سليمان بن عبد الملك وخبر يزيد بن المهلب

قال: فلما توفي الوليد بن عبد الملك صار الأمر إلى أخيه سليمان بن عبد الملك، فدعا سليمان يزيد بن المهلب فخلع عليه وجمعه وعزم على أن يوليه العراقين^٢ البصرة والكوفة. فقال له يزيد بن المهلب: يا أمير المؤمنين! إن العراق قد أجبر به الحجاج بن يوسف في ولايته وأنا رجل من أهل العراق، ومتى وليته وقدمت عليهم أخذتهم بالخراج، والخراج لا يستخرج إلا بالضرب والشتم والحبس الشديد، ومتى فعلت هذا بهم أكون عندهم كالحجاج فتغلظ على قلوبهم، فإن رأى أمير المؤمنين أيده الله أن يعفني من ذلك، وأنا أدله على رجل بصير بأمر الخراج

١٠ و سياسة الأمور فيوليه إياها، قال سليمان: ومن هذا الرجل؟ فقال: صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم، فقال سليمان: فانا قد قبلنا ذلك منك ووليناك خراسان إن أحببت، فقال يزيد: يا أمير المؤمنين! تلك غايي ومنيى. قال: فدعا سليمان بن عبد الملك بصالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم فعقد له عقدا وولاه العراق، وعقد يزيد بن المهلب

١٥ بلاد خراسان حربها وخراجها كما كان في أول مرة^٢.

(١) بهامش الأصل: «خلافه سليمان بن عبد الملك».

(٢) زيد في الأصل: و.

(٣) وفي الطبرى ٨ / ١٠٣: «عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر

عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج».

ذكر ابتداء خلاف قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك

و عصيانه إياه

قال: [نخرج] يزيد بن المهلب من الشام أميرا على خراسان غير

أنه صار إلى البصرة ليجتمع إليه الناس من إخوته و بني عمه و مواليه،

قال: و بلغ ذلك قتيبة بن مسلم فاتقى علي / نفسه لما كان ارتكب من ٥ / ١٤٦ ب

آل المهلب في ولاية الحجاج، فنادى في الناس فجمعهم إليه ثم قال:

أيها الناس! إن خليفتم الوليد بن عبد الملك قد مضى لسبيله كما قد

علمتم، و قد صار الأمر إلى أخيه سليمان بن عبد الملك، و قد علمتم منزلة

يزيد بن المهلب منه، و قد بلغني أنه قد ولي هذا البلد و أنا أكره أن

أكون في بلد و فيه مثل يزيد بن المهلب، و أنا ناظر في أمري بعد ١٠

هذا - و السلام.

ثم دخل قتيبة إلى رحله و كتب إلى سليمان بن عبد الملك يهنئه

بالخلافة و يعزبه عن أخيه الوليد، و وجهه بالكتاب مع رجل من الإزد.

فلما ورد كتاب قتيبة على سليمان بن عبد الملك و قرأه أقبل على الرسول

فقال: كيف رأيت قتيبة؟ فقال: يا أمير المؤمنين رأيت^١ كارها لولاية ١٥

يزيد بن المهلب خراسان، و أظنه سيخالف على أمير المؤمنين. قال:

فكتب سليمان إلى قتيبة: أما بعد، فإن الناس قد اشتد عليهم البلاء في

ولاية الحجاج من الخوف و الحبس و التشريد حتى ضاقت صدورهم،

(١) في الأصل: كيف رأيت.

و قد أحب أمير المؤمنين أن يحل عقد الخوف عنهم و أن ينعشهم بالعدل
و الإنصاف و الأمن ، و قد فهم أمير المؤمنين كتابك و تهنتك و ما قد
أضمرت في نفسك من الخلاف ، فلا تفسدن صالح عملك بشق العصا فان
أمير المؤمنين و إن عزلك عن خراسان و لأك غيرها ، فأقبل إلى أمير المؤمنين
هـ فيمن أجبت من إخوانك و بقرادك ، آمنا مطمئنا - و السلام .

قال : فلما ورد كتاب سليمان بن عبد الملك على قتيبة جعل يحرك
رأسه ثم أنشأ يقول :

رمانى سليمان بأمر أظنه سيحمله منى على شر مركب
رمانى يجبار العراق و من له على كل حى حد ناب و مخلب
و للوت خير من حياة ذليلة و جبل ضعيف قد وهى متقضب
و للترك أدنى فى الوداد مودة و أقرب منى من بنى المهلب

قال : فوثب إليه رجل من أصحابه يقال له جهم بن زحر الجعفي فقال :

أيتها الأمير ! إنك قد أخذت فى شيء لا يدري ما هو فامرحه لنا و اسلك

بنا سيلا نعرفه ، فقال قتيبة : إياك عنى ، و اسمعى يا جارة ! قال : فعندها

١٥ وقع فى قلوب الناس و علموا أن قتيبة مخالف على سليمان بن عبد الملك
و أنه قد عزم على العصيان ؛ فأنشأ بعضهم فى ذلك يقول :

أقتيب إنك قد أتيت عظيمة فانظر قتيبة أين أين المهرب
أصبحت ناكث بيعة أعطيتها طوعا لجلدك للخلافة أجرب
مهلا فانا لا نجيبك و الذى تدعو إليه من أمورك أعجب

(١) فى الطبرى ١٠٩/٨ أن اسم جارية قتيبة أم خليفة كانت خوارزمية .

ما ابن المهلب بالذي يزرى به نقص ولا في أمره متغلب
 ولانت أحقر و الذي أنا عبده في عينه من بقية تتذبذب
 فانظر لنفسك يا قتيبة فر بما نظر السفية فضاق عنه المهرب
 قال : ثم دعا قتيبة برجل من أصحابه فوجه به إلى نيسابور و قال له :
 كن هنالك مقبلا و اكتب إلى بالأخبار الصحيحة من أمر يزيد بن ه
 المهلب حتى أعمل على حسب ذلك ، و انظر أن لا تخفى على شيئا من
 الأخبار . قال : فخرج ذلك الرجل حتى صار إلى نيسابور فنزلها ،
 ثم جعل يستخبر الأخبار المتواترة بالصحة أن سليمان بن عبد الملك قد
 ولي يزيد بن المهلب أرض العراق و قد دفع إليه آل أبي عقيل من
 أهل بيت الحجاج ليستأديهم الأموال - و السلام . قال قتيبة : لئن كان
 ولاء العراق فقد ولاء خراسان ، اللهم ! إني أسألك مئة كريمة ا قال :
 ثم عزم قتيبة على أن يأتي خوارزم فيتحصن بها ، ثم بدا له في ذلك الرأي
 و عزم على أن يأتي فرغانة فيتحصن بها ، ثم إنه قد فافتعل كتابا على
 لسان سليمان بن عبد الملك : أما بعد ، يا قتيبة ا فقد بلغ أمير المؤمنين
 في الآثار الصادقة أن خليفة من خلفاء بني أمية اسمه اسم بن يفتح الله ١٥
 على يديه مدينة القسطنطينية ، فيجد فيها قبر آدم و جبة حواء و مائدة
 عيسى ابن مريم ، و يفتح الله له أرض الصين فيحتوى على أموالها و قليلها
 و كثيرها ، و قد توجه أمير المؤمنين نحو القسطنطينية واثقا بالله و بالأخبار
 الصادقة أن / الله عز و جل يفتحها على يديه ، فانظر يا قتيبة إذا ورد عليك
 كتابي هذا فاغز بمن معك من المسلمين إلى أرض فرغانة ، ثم سر منها ٢٠

إلى الصين ، و عليك بالجد و الجلد في أمر الله ، فلن أمير المؤمنين و اتق بطاعتك ، عارف بيمينك و بركتك لما كان من العدو و منك ، و أنه رافعك و زائدك و ضائع إليك ما لم يصنعه إلى أحد ممن كان قبله من الخلفاء - و السلام . قال : ثم جمع قتيبة الناس فلقرأهم الكتاب و أمرهم بالاستعداد و التأهب و المسير إلى فرغانة .

قال : فتجهز الناس و خرجوا على كره منهم ، و اتصل الخبر بسليمان ابن عبد الملك ، فكتب إلى يزيد بن المهلب فأشخصه من البصرة إلى ما قبله ، ثم قال : اعلم أن قتيبة بن مسلم قد خاف من ولايتك أرض خراسان خوفا شديدا لا يكون لنا مع طاقته ، فالرأي أن تكتب إليه كتابا تزين له المسير إلى فرغانة و تصوب له رأيه و تأمره أن لا يخرج عنها حتى يفتح الله قلاعها ، و تأمر الرسول الذي يصل إليه بالكتاب أن يقول للناس بأن أمير المؤمنين قد زادكم في العطايا مائة مائة ، و قد أذن لمن أحب منكم القفول أن يقفل إلى منزله ، فإن الناس يحبون القفول إلى منازلهم و قتيبة يمنعهم من ذلك فيخالفونه .

قال : فكتب يزيد بن المهلب إلى قتيبة بن مسلم بما أمر به سليمان ابن عبد الملك ، فلما ورد الكتاب على قتيبة فرج بذلك و استبشر ، ثم خرج إلى الناس فقرأ عليهم ، فلما فرغ من قراءة الكتاب قام الرسول فقال : أيها الناس إن أمير المؤمنين قد زادكم في العطاء مائة مائة و قد أذن لمن أحب منكم القفول إلى منزله فليقفل . قال : فلم قتيبة أن هذا الرسول قد أغرى به الناس ، فقال : أيها الناس إن هذا الرسول يمنيكم الضلال

و الأباطيل ، وإنه يريد بكم غير ما تظنون ، إن سليمان بن عبد الملك إنما يدعوكم إلى أن تبايعوا ابنه أيوب ، وأيوب غلام لا تحل ذبيحته ، والله إن غلامى هذا الذى / يخدمنى لأفضل من أيوب بن سليمان .

١٤٨ / الأ

قال : ثم دخل قتيبة إلى رحله فكتب إلى سليمان بن عبد الملك

ثلاثة كتب : كتاب منها فى طومار يذكر فيه طاعته لعبد الملك بن مروان ولابنه الوليد ، وأنه له ' على مثل ما كان [لها - ٢] عليه فى أول أمره ؛ وكتاب فى ثلث طومار فيه فتوحه وأيامه وقدره عند العجم وبعد صوته فىهم ، ويذم آل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد

ابن المهلب على خراسان ليخالفنه ويفتنن عليه فتقا عظيما ؛ وكتاب فى

ربع طومار بخلع سليمان والخلاف عليه . ثم قال : من يبلغ كتبى هذه إلى سليمان بن عبد الملك فله دينه ا فقال له مولى له : أنا أبلغها فهااتها !

قال : فدفع قتيبة كتبه هذه إلى مولاه ثم قال : أوصل هذا الطومار

الأكبر إلى سليمان بن عبد الملك أنت بنفسك ، فان قرأه وألقاه إلى يزيد

ابن المهلب فادفع إليه الثانى ، [فان قرأه وألقاه إلى يزيد فادفع إليه الثالث]

فان قرأ الكتاب الأول ولم يدفعه إلى يزيد فاحبس الكتابين الآخرى ١٥

معك ولا تدفعها إليه .

قال : فقدم رسول قتيبة بن مسلم إلى الشام ووافاه يزيد بن المهلب

عند سليمان بن عبد الملك ، فدخل ودفع الطومار الأكبر إلى سليمان ،

(١) فى الأصل : لهم ، والتصحيح من الطبرى ٨ / ١٠٤ .

(٢) من الطبرى .

فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد، فدفعت الثاني إليه فقرأه ثم ألقاه إلى يزيد،
ثم دفعت إليه الثالث فقرأه ووضعه إلى جانبه ثم تبسم وألقاه إلى يزيد وقال:
لقد ظلمنا قتيبة وإنه لعظيم الغناء حسن البلاء، ثم نهض وأمر برسول
قتيبة فحول إلى دار الضيافة وأخذ الكتاب الثالث. فلما أمسى دعا سليمان
رسول قتيبة فأعطاه صرة فيها دنانير فقال: هذه جائزتك وهذا عهد
صاحبك قتيبة على خراسان مع رسولي هذا. قال: ثم وجه سليمان بن
عبد الملك معه رجل من عبد القيس يقال له صعصعة. فخرجا حتى إذا
صارا بحلوان تلقاهما الناس بخلع قتيبة وعصيانه، قال: فمضى رسول
قتيبة ورجع رسول سليمان إلى الشام.

١٠ قال: ودخل رسول قتيبة إلى خراسان فقال له قتيبة: وما وراءك

فقال: / ورائي أني قد كنت أتيت بعهدك من أمير المؤمنين، فلما صرت

إلى حلوان وسمع الرسول بخلعك رجع بعهدك إلى صاحبه. قال: فقدم

قتيبة على ما عزم عليه من الخلع والعصيان، ثم كتب إلى البحترى بن

عبد الله الأسدي، وكان كبيرا أثيرا عظيم القدر عند أهل خراسان،

١٥ فقال له: يا بحترى! إني قد جربت منك يمنا و رأيا، وقد كان مني ما علمت،

ولست آمن سليمان فهات ما عندك، قال فقال له البحترى: إذا أخبرك

بذلك أن القوم قد عرفوك وعرفوا منك الطاعة، وقد علموا أن ما كان

منك في العدو ليس بصغير، فهم لا يستنقذونك مع قدرك وموضعك وبعد

صوتك. قال فقال له قتيبة: يا أعور! أتظن أني أخاف القتل، ما أخاف

٢٠ ولكني لا آمن أن يولي يزيد بن المهلب خراسان فيدعونى والناس حضور

عنده فيقتصر بي ، والموت عندي أيسر من ذلك ، قال فقال له البحترى :
 أيها الأمير أصلحك الله ! إن ظني بيزيد بن المهلب وإن ولي خراسان
 فانه لا يفعل بك ما تظن ، وإن فعل بك ما تخاف ان ينقصك ذلك . قال
 فقال قتيبة : ذر عنك هذا ، ما الذي تقوله الناس ؟ فقال : يقولون بأنك
 خالع عاص ؛ فقال قتيبة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال البحترى :
 نعم ما قلت ، ولكن انتظر رسولاك وما يأتيك به من عند أمير المؤمنين ،
 فاني أظن أنه سيأتيك بعهدك ، فلا تعجل فتعرض نفسك وأهل بيتك
 للحرب والقتال ، فانه لا يدري على ما ينجلي أمرك . قال فقال له قتيبة :
 ويحك يا بحترى ! إنه قد جاء رسولي بعهدى إلى حلوان ، غير أن رسول
 أمير المؤمنين رجع بالعهد إلى الشام ، وأما الحرب والقتل فوالله ما من
 غائب هو أحب إلى من الموت وإني لأدعو بالأعاجم خاليا ومعهم
 خناجرهم وسيوفهم ، وما منهم إلا من قد وترته بشتم أو بضرب أو بقتل
 ذى / محرم فأتهددهم بالضرب والقتل فما يزيدهم ذلك إلا خضوعا و ذلا ،
 وإني لأخرج ليلا فأمشي وحدي في قبص بين قوم ما منهم رجل إلا
 وقد نالته منى عقوبة فما يعرض لي أحد منهم ، ولقد دعوت بصاحب
 دراتي وقد كنت ضربته بالأمس فدعوته وأنا وحدي ، فقام بين يدي
 طويلا سيفه معه وخنجره في وسطه وأنا لا أكلمه ، وأقول إنه سيفتك
 بي ، فما فعل بي شيئا ثم خرج من بين يدي فرعا مرعوبا ، فلست
 أخاف القتال .

قال : ثم أرسل قتيبة إلى الحضين بن المنذر البكري فدعاه ثم قال : ٢٠

يا أبا محمد! إني أريد أمرا و أخاف أهل خراسان و انتقاصهم على المسلمين ، فقال له الحضين بن المنذر : أيها الأمير ! و ما هذا الأمر الذي تريد ؟ قال : أريد أن أوجه إلى كاشغر رجلا في خيل و إلى طريق فأحصن ذلك الطريق ، قال فقال له الحضين بن المنذر : أيها الأمير ! ههنا طريق واحد إن قدرت على إحكامه فالطريق كلها آمنة ، قال قتيبة : و أى طريق هذا ؟ فقال : طريق الأجل المقدر ، قال : فغضب قتيبة و أخذ قانسوته فضرب بها الأرض حتى انشقت ، قال : فقال له الحضين : بشما تفاءلت به لنفسك أيها الأمير ، فقال قتيبة : لأنك تلقاني بكل ما أكره في كل وقت . قال : فوثب الحضين فخرج من عنده .

١٠ و أرسل قتيبة إلى إخوته فشاورهم في أمره ، فقال عبد الرحمن : قم فصر إلى سمرقند ، و قل للناس من أحب المقام فله المواساة ، و من أراد الانصراف إلى بلده فغير مستكره ، فانه لا يقيم معك إلا الناصح لك ، ثم حينئذ اخلع سليمان فانه لا يأمنك ؛ فقال له عبد الله بن مسلم : اخلعه . قال : فأخذ قتيبة برأى أخيه عبد الله ، فأنشأ نهار بن توسعة ١٥ يقول في ذلك :

شمر و نمر يا قتيبة بن مسلم فان يزيدا ظالم و ابن ظالم
و لا تأمنن الثائرين و لا تنم فما ليل أصحاب التراب بنائم
و لا تثقن بالأزد فالقدر رأبهم و مكر فمنهم مستحل المحارم
/ و إني لأخشى يا قتيب عليكم معرة يوم مثل يوم ابن خازم

١٤٩ / ب

(١) في الأصل : ظلما .

ذكر كلام قتيبة في خطبته

قال: فبئها نادى قتيبة في الناس فجمعهم، ثم قام فيهم خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم قد علمتم أني وليت أموركم فضممت الأخ إلى أخيه والابن إلى أبيه، وقسمت فيكم، ووفرت عليكم عطياتكم، وقد جربتم الولاية قبلي، أتاكم أمية بن عبد الله ه فكان كاسمه في رأيه وعقله، يخضع في كور خراسان لا يجبي فينا ولا ينكي^١ عدوا ولا مدعنا للطاعة ولا منيبا للعصية، كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بأن خراسان لا يقوم لمطبخه؛ ثم جاءكم من بعده المهلب بن أبي صفرة فدوم بكم ثلاث سنين لا تدرين في طاعة أنتم أم في معصية، حتى بليت ثيابكم وذهبت أموالكم، لا يجبي فينا ولا ينكي^٢ عدوا؛ ثم جاءكم بنوه منهم ابن الرحمة^٣، [وإنما خليفتم - ^٢] يزيد ابن^٤ ثروان هبنقة^٥ القيسي بل هو أحق منه^٦، وأقل عقلا من باقل^٧،

(١) في الأصل: دحمة؛ والتصحيح من جمهرة خطب العرب ٢/ ٢٩٧، ويريد به يزيد بن المهلب.

(٢) من الطبري ٨/ ١٠٥ وجمهرة خطب العرب ٢/ ٢٩٣.

(٣) في الأصل: بوران هنيقة - كذا.

(٤) يضرب به المثل في الحق فيقال «أحق من هبنقة» انظر المستقصى ١/ ٨٥.

(٥) هو رجل من اباد، يضرب بعينه المثل، قيل اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فمر بقوم فسألوه: بكم اشتريته؟ فمد لسانه ومد يديه (يريد أحد عشر) فشردهم الظبي وكان تحت إبطه، والمثل «أعبي من باقل» انظر مجمع الأمثال للبيداني

و قد رأيتم عدلى فيكم و إنصافى إياكم ، فهاتوا ما عندكم . قال : فما أجابه
أحد بشيء ، قال : فغضب قتيبة لذلك ثم قال : يا أهل السافلة ! ولا أقول :
يا أهل العالية ؛ و بنى بكر بن باطل ! ولا أقول : بكر بن وائل ؛ و يا بنى ذميم !
ولا أقول : بنى تميم ؛ و يا أهل الشح و البخل بأى يومىكم تخوفوننى أم بأى يوم
تمنون على ! أ يوم حربكم أم بيوم سلمكم ؛ و أنتم يا معشر الأزد تبدلتم بقلوس
السفن أعتة الحصن ، و بالمرادى الرماح ، و بالمجازيف السيوف ؛ و أنتم
أعراب ، و ما الأعراب ! و لعنة الله على الأعراب ! الأعراب أشد كفرا و نفاقا ؛
جمعتم من منابت الشيع و القيصوم كما يجمع قزع الخريف بعد ركوبكم
الأتن و البقر فى جزيرة بنى كاوان^٢ ، حتى إذا ملائتم أيديكم من غنائم
الاعاجم و خدمتكم أبناء ملوك الترك و السفد قلمت كيت و كيت و ذبت
و ذبت ، أما والله لئن وليكم يزيد بن المهلب ليعصبنكم عصب النسعة
و ليقرعنكم قرع / المروة . قال : فسكت الناس فما أجابه أحد بشيء ، فجعل
يتمثل بهذا البيت :

إن امرأ ملك اليمامة كلها أعطى الملوك مقادة لم يضل

١٥ قال : فهض الناس و تفرقوا و هم غضاب من شتمه لهم و سوء
مقالته فيهم . و دخل قتيبة إلى رحله و أقبل إليه إخوته و أهل بيته فقالوا

(١) واحدها المردى - بالضم و الشد ، خشبة تدفع بها السفينة ، تكون فى يد الملاح .

(٢) سورة ٩ آية ٩٧ .

(٣) هى جزيرة عظيمة و هى جزيرة لانت و هى من بحر فارس بين عمان

و البحرين - انظر معجم البلدان ٣ / ١٠٣ .

له : أيها الأمير ! ما ذا أتيت إلى الناس في هذا اليوم ! والله ما قصرت عن أهل العالمة وهم شعارك و دثارك ، ثم تناولت بني بكر بن وائل وهم أنصارك ، ثم لم ترض حتى تناولت بني تميم وهم إخوتك ، ثم تناولت الأزد وهم يدك و جناحك ، فقال قتيبة : لاني تكلمت فما أجابني أحد منهم بشيء ، وقد مضى القوم فذروهم ، إن أهل العالمة كابل الصدقة جمعت من كل أوب ، و بنو بكر أمة لا تمنع يد لأمس ، و تميم جمل أجرب ، و عبد القيس ما يضرب الحمار يطنه ، و الأزد أعلاج و أشرار خلق الله ، والله أن لو ملكت أمرهم لو سميتهم .

قال : فعندها مشى الناس إلى عبد الرحمن القسرى ، و كان قتيبة

قد أضرب به ، فكلموه و قالوا : أما رأيت ما تكلم به هذا الرجل فينا ١٠ و في قومنا و عشائرنا ؟ فقال : قد بلغني ذلك ، فما تريدون ؟ فقالوا : نريد أن تدخل إليه فليأذن لنا في القفول إلى بلادنا ، و هو أعلم بعد ذلك إن شاء فليخلع سليمان بن عبد الملك و إن شاء فليسمع و ليطلع ، فان هو لم يأذن لنا فلا يلومن إلا نفسه . قال فقال لهم عبد الرحمن القسرى : يا هؤلاء ! أنتم تعلمون الذي بيني و بينه من التباعد ، و لكني ألقى أخاه ١٥ عبد الرحمن بن مسلم فانه من أمثلهم ، فقالوا : ذاك إليك .

قال : فأقبل عبد الرحمن القسرى حتى دخل على عبد الرحمن بن مسلم فسلم عليه ثم قال : إني لأحسب أن أخاك قتيبة قد خذل ، و لولا ما كان منه إلى لكلمته في ذلك لأن الناس قد هموا به ، فليأذن

(١) في الطبرى ٨ / ١٠٥ : و أما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه .

لهم بقفولهم إلى بلادهم من قبل أن يتفارق الأمر . قال فقال له عبد الرحمن :

إن قتيبة لا يخاف هذا الكلام ، إني لو بعثت أمتي / لفرقتهم في الجبال ؛

١٥٠ / ب

قال : فغضب القسري من ذلك ثم قال : إنك لو بعثت أمتك لنكحوها

و رجعت إليك مفضوضة . قال : ثم خرج القسري من عنده ، وأقبل

عبد الرحمن بن مسلم حتى دخل على قتيبة فخبره بما كان تكلم به القسري

٥

و ما يتكلم به القسري .

قال : فبلغ ذلك عباد بن إياس الغنوي فأقبل حتى دخل على قتيبة

فقال : أيها الأمير ! إنك قد أفسدت قلوب الناس عليك ، فناد فيهم

بالقفول إلى منازلهم حتى تذهب عنك العامة و أهل الأحقاد ثم ترى

١٠ رأيك بعد ذلك ؛ قال : لا أفعل و لا آذن لهم بالقفول . قال ، فادع إذا

بتقائك من العجم ، فلا يشعر الناس إلا و أنت مشمر للحرب ، ثم ادع

من تخافه على نفسك فاضرب عنقه من قبل إجماع الكلمة عليك ؛ قال

قتيبة : لا أفعل ذلك . قال : فأعط الناس حقهم و أرضهم بالأموال ،

قال : لا و لا كرامة ! قال : فأنت و الله مقتول .

١٥ قال : ثم خرج عنه عباد بن إياس الغنوي ، و نادى قتيبة في الناس

فجمعهم ثم خرج إليهم فخطبهم ، فحمد الله و أثنى عليه و قال : يا أهل

خراسان ! حتى متى يتبطح أهل الشام في فيثكم ، و الله لقد أدنوني

و أقصوكم ، و أكرموني و هانوكم ، و رفعووني و وضعوكم ؛ يا أهل خراسان !

أنتيم و أنتم رجلان : رجل قد نزع سنان رمح فجعله محراثا يحرث به ،

٢٠ و رجل منكم على حربته إن هدرت هدر و إن سكنت استقر ، لباسكم

العباء، و طعامكم الخشب، فأطعمتمكم الجرمق، و البستكم الزرمق، و بصرتمكم ما لم تكونوا تتناولونه قبل ذلك، فنطقت فيكم الشعراء، و تفوهت فيكم الأدباء. خرجتم مع ابن الأشعث ثم أتيتموني خائفين من سيف الحجاج فأمتكم و كفت عنكم، حتى إذا تم لكم الأمن و أمنتم النعمة أشرتكم و بطرتم النعمة، فأنشأتكم تضربوني في الأمثال و تمنون الأمانى، و الله ه أن لو شئت لكنت أعز العرب دعوة و أكثرها نصرا بما قد أفاءه الله على. ثم قال: ابن رماة الحدق! فقام أبناء ملوك السغد و أبناء / ملوك الترك و الطراخنة و البرقش و أبناء ملوك بخارستان و غيرهم من أبناء ملوك خراسان، و هم يومئذ زيادة على عشرة آلاف غلام لا يسقط لأحد منهم سهم. قال قتيبة: هؤلاء أعظم الأعاجم أخطارا، و أكرمهم ١٠ نجارا، و أضرب منكم بالسيوف، و أثبت منكم عند اللقاء. قال: فسكت القوم فما أجابه أحد بشيء من ذلك، فازداد غضبه، ثم سكت و تنحى عن موضعه ذلك و دخل إلى رحله، و نهض الناس مزمعين^١ على حربه و قتله.

١٥ ذكر مقتل قتيبة بن مسلم و اجتماع أصحابه على ذلك

قال: ثم إنهم مشوا إلى الحضين بن المنذر فقالوا له: يا أبا محمد! هل لك أن نوليك^٢ أمورنا إلى أن يقدم علينا أمير من عند سليمان بن عبد الملك

(١) في الأصل: مزمعون.

(٢) في الأصل: نواليك.

و يكفينا أمر قتيبة ، فقد تعدى طوره و جاوز قدره ؛ فقال الحضير :
لا حاجة بي في ذلك ، فقالوا : ولم ؟ قال : لأن مضر خراسان إنما ثلاثة
أجناس^١ ، بنو تميم خاصة الجيش و أكثرها فرسان^٢ ، فهم لا يرضون
أن يكون في غيرهم ، و أخرى فانكم إن أخرجتموهم^٣ من هذا الأمر
أعانوا قتيبة عليكم . قال فقالوا له : يا أبا ساسان ! إن قتيبة قد وتر بني
تميم بقتل^٤ ابن الأهم^٥ فقال : صدقتم و لكنهم يتعصبون للضرية .

قال : فترك القوم حضينا ، ثم صاروا إلى عبد الله بن حوذان
الجهضمي ، وهو يومئذ سيد من سادات الأزدي ، فكلموه في ذلك
فلم يجبههم إلى شيء ، فرجعوا إلى الحضير بن المنذر فقالوا : يا أبا محمد !
إن بكر بن وائل لا تخالفك و نحن نوليك أمرنا ، فقال : ما أحببت أن
يكون لي في هذا الأمر ناقة و لا جمل ، عليكم بغيري فان قبائل مضر
لا ترضى أن تسلبوها أمرها و تقتلوا و يولى الأمر عليها غيرها .

قال : فركوه و أقبلوا إلى حيان^٦ بن إياس العدوي^٧ فقالوا له :
زريد منك أن تمشي معنا إلى الحضير بن المنذر فتكلمه في هذا الأمر .
١٥ فأقبل حيان إلى الحضير فقال : يا أبا محمد ! ما الذي تكره من أن تخلع

(١) في الأصل : أجناس . (٢) في الأصل : فرسان .

(٣) في الأصل : أخرجتموهن .

(٤-٤) في الأصل : بني الابهوم ، و التصحيح من الطبري ٨ / ١٠٦ .

(٥) في الأصل : عباد ، و سيأتي بعد حيان - انظر أيضا الطبري ٨ / ١٠٨ .

(٦) في الأصل : الغنوي ، و التصحيح من الطبري .

قتيبة ونوليك هذا الأمر؟ فقال الحضين: أذكرك الله / أبا معمر أن
تراجعني في هذا الأمر، فوالله ما أستطيع أن أستمعه - وكان الحضين
في وقته ذلك قائما فجلس، ثم قال: والله ما يحملني رجلاي مخافة أن
يلعب قتيبة ذلك، فذرني و عليك بغيري .

فخرج حيان بن إياس من عند الحضين بن المنذر، ثم بعث إلى قوم ه
من قبائل مضر فجمعهم، ثم قال: إنه 'لم يكن' لهذا الأمر إلا هذا
الأعرابي - يعني وكيع بن أبي أسود التميمي، فانه رجل مقدم بطل،
لا ينظر في عاقبة، وله عشيرة تطيعه وتقبل منه، فصيروا إليه. ثم صار
القوم إلى وكيع بن أبي أسود فكلموه في ذلك، فقال وكيع: هات يدك
يا حيان! فمد حيان يده فبايع وكيعا .

١٠

قال: واتصل الخبر بقتيبة بن مسلم بأن حيان بن إياس العدو^٢
قد بايع وكيعا وأنه قد أفسد عليه الناس، فقال قتيبة: والله لقد حذرني
الحجاج قبل هذا اليوم حين وليته أمر السغد، فقال: احذره فان لك
منه يونا اروياتا^٣ .

قال: وجعل الناس يصيرون إلى وكيع بن أبي أسود فيبايعونه سرا ١٥
حتى بايعه خلق كثير؛ فجعل يتمثل بقول الأشهب بن رميلة حيث يقول:

(١-١) في الأصل: لن يكن .

(٢) في الأصل: الغنوى .

(٣) كذا في الأصل .

سأجني ما جنيت وإن ركني لمعتمد إلى ركن^١ ركن
 قال : و بخراسان يومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون ألفاً ، منهم
 بنو تميم عشرة آلاف و رئيسهم يومئذ ضرار بن حصين بن زيد الفوارس
 ابن حصين بن ضرار ، و عشرة آلاف من الأزد و رئيسهم يومئذ
 ٥ عبد الله بن حوذان الجهضمي ، و الحضير بن المنذر البكري ، و عبد القيس
 خاصة في أربعة آلاف^٢ ، هؤلاء كلهم على قتيبة إلا من كان من قبائل
 قيس عيلان ، فانهم كانوا مع قتيبة .

قال : و جعل قوم يأتون قتيبة و يقولون له : أيها الأمير ا عليك
 بالاستعداد و الحذر فان الناس قد بايعوا و كيعا و خلعوك ، قال : فكان
 ١٠ قتيبة لا يصدق بشيء من ذلك و يقول : هؤلاء قوم يحسدون و كيعا لانه
 يشرب في منزلي و يسكر حتى يخذر و يحمل من منزلي و هو / سكران
 لا يعقل ، و هو يريد الخروج و الخلاف عليّ ، هذا لا يكون أبداً . قال :
 فجعل الناس يبايعون و كيعا و يقولون له : يا أبا المطرف ا إنما نبايعك
 (١) في الطبري ٨ / ١٠٦ : نضد .

(٢) في الطبري : « و بخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية
 تسعة آلاف و بكر سبعة آلاف رئيسهم الحضير بن المنذر ، و تميم عشرة آلاف
 عليهم ضرار بن حصين الضبي ، و عبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان
 عوذى ، و الأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان . و من أهل الكوفة
 سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن علي ، و الموالي سبعة آلاف
 عليهم حيان . »

لأمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك و لمن يوليه علينا و لمن يستخلفه سليمان
 على أنك تسمع له و تطيع فلا تدعين غير هذا . قال : وكيع : ما ادعى
 غير هذا و أنا سامع مطيع لكل من يقدم من عند أمير المؤمنين . قال :
 و دس قتيبة إلى وكيع رجلا يقال له ضرار بن سنان^١ الضبي على أنه
 يبائع وكيع و يأتي قتيبة بالخبر ، قال : فذهب الضبي إلى وكيع فبايعه ٥
 ثم جاء إلى قتيبة فخبّره بذلك . قال : فأرسل قتيبة إلى وكيع أن صر
 إلينا أبا المطرف ! فانا قد احتجنا إلى مناظرتك ، قال : فجاء رسول قتيبة
 إلى وكيع و وكيع في وقته ذلك قد طلى رجله مغرة و علق على ساقه
 خرزا و عنده رجلان من زهرة^٢ برفيانه من الحمرة ، فقال له الرسول^٣ :
 أجب الأمير أبا المطرف ! فقال وكيع : قد ترى ما بي فكيف آتية ١٠
 و أنا على هذه الحالة . قال : فرجع رسول قتيبة إليه فخبّره بذلك ،
 فقال قتيبة : عد إليه ! فقال الرسول : أصلحك الله ! فاني قد رأيت برجله
 شيئا لا يقدر على الركوب ولا أظن ذلك الوجع إلا قائله ، فقال
 قتيبة : لا شفاء الله مما به اعد إليه فأنتى به على سرير محمولا ، فرجع
 الرسول إليه فقال له : يقول لك الأمير : إن لم تقدر على الركوب فتحملك ١٥
 الرجال على السرير ، فقال وكيع : إن الرجال يحركونني على السرير
 فتزداد عنتي هذه ؛ قال : فرجع الرسول إلى قتيبة فأعلمه ذلك ، فقال

(١) من الطبري ٨/١٠٧ ، وفي الأصل : سيار .

(٢) في الطبري : زهران .

(٣) في الأصل : السؤال - كذا .

قتيبة : يا غلام اقل لشريك بن الصامت : فليطلق إليه و ليأتني^١ به سحبا
 على وجهه ، قال فقال ثمامة بن ناجذ^٢ العدوي : أنا آتيتك به أصلح الله
 الأمير ! قال : ثم أقبل ثمامة إلى وكيع فقال له : كن على أهبة فان
 الرجل قد عزم على أخذك . قال : ثم قعد ثمامة / عند وكيع فلم يرجع
 إلى قتيبة ، فقال قتيبة : أين شريك بن الصامت ؟ فقال : ها أنا ذا أصلح الله
 الأمير ! فقال : اذهب إلى وكيع فأتني به سحبا على وجهه ، فان امتنع
 عليك فجئني برأسه . قال : فقام هريم بن أبي طحمة التميمي فقال : أنا آتيتك
 به أصلح الله الأمير ! قال : و قام جماعة من بني تميم فقالوا : نحن نأتيتك
 به أو برأسه أيها الأمير ! فلا تقلق . ثم ركبوا إلى وكيع فقالوا له : قم
 ١٠ و إلا هلكت و أهلكتنا معك ، قال : فدعا وكيع بسكين فقطع ما كان
 على ساقه من الخرز ، ثم جعل يرتجز و يقول :

شدا على من رامني لا انكشف يوما لهمدان و يوما للصدف^٣
 قال : ثم دعا بسلاحه و درعه فدرع و تقلد سيفه و تناول رمحاه ، و نادى
 في الناس فكأنهم إنما كانوا على أهبة ، ثم مضى وحده نحو فسطاط
 ١٥ قتيبة و هو يقول :

(١) في الأصل : ليأتيني .

(٢) من الطبري ، وفي الأصل : ناحيه - كذا .

(٣) في الطبري :

شدوا على سرتي لا تنقلب يوما لهمدان و يوم للصدف

سجنت حمل مكروهة شدها الشرسوف والقاصعا^١
قال: فلقبه رجل من أصحاب قتيبة يقال له إدريس فقال له: أبا المطرف!
إنك قد خفت من الأمير ما لم يرده^٢ بك وقد آمنك، فإله في نفسك.
قال: فالتفت وكيع إلى أصحابه وقد لحقوا به فقال: أيها الناس! هذا
إدريس وهو رسول قتيبة يؤمنني إن أنا أتيت، وكذب والله ابن الحدباء!^٥
لا والله أو يؤتى برأسي أو أوتى برأسي! قال: وجعل الناس ينادى بعضهم
بعضا وهم يقولون: افزعوا إلى وكيع شيخ تميم، قال: وأقبل الناس
من كل أوب، وأقبل وكيع حتى وقف بأزاء فسطاط قتيبة، فصار
بنو تميم والأزد مقابل الفسطاط، وقبائل ربيعة من وراء السرادق؛
وقتيبة في أهل بيته، وأقبلت قبائل قيس لينصروا قتيبة، فعملوا أنهم^{١٠}
لا طاقة لهم بأهل العسكر.

قال: وسمع قتيبة الضجة فقال: ما هذا؟ قالوا: وكيع قد أقبل

/ في عسكر، قال: فدعا قتيبة دابته ليركبها فلم تقر الدابة ولم تقف،

فقال: نحوها، فنحوها، وقعد قتيبة على سريره وعليه قميص ورداء وهو

معم بعمامة بيضاء قد كانت أمه بعثت بها إليه قبل ذلك وقد احتجى بجماثل^{١٥}

سيفه، وعنده يومئذ إخوته وجماعة من أهل بيته وعشائره، فقال له

رجل من أصحابه يقال له ميسرة بن عبد الله الجدلي وكان شجاعا بطلا:

(١) في الطبرى:

قرم إذا حمل مكروهة شد الشراسيف لها والحزيم

انظر أيضا ابن الأثير ٥ / ٧ .

(٢) في الأصل: لم يرده .

أيها الأمير ! إن شئت أتيتك برأس وكيسع ، فقال له قتيبة : اسكت ، فسكت . وأقبل رجل من موالي بني أسد يقال له يزيد بن مسلم ، و قد كان قتيبة قبل ذلك ضربه و حلق رأسه و لحيته و أطافه في عسكره ، فجعل يحرض الناس على قتيبة و يذكر من قتله قتيبة منهم قبل ذلك .
 ٥ و يسميهم بأسمائهم و يقول : أين بنو الأهم ؟ أين بشر بن صفوان ؟ أين ضرار بن حسه^١ بن القاسم بن زياد ؟ أين فلان ؟ و أين فلان ؟ قال : فجعل يزيد بن مسلم يحض بني تميم و يذكرهم ذحولهم و قتلامهم و يحدد أحقادهم .
 قال فقال قتيبة لرجل عنده : اخرج فناد : أين بنو عامر ؟ فقال له رجل من بني عامر : حيث تركتهم ، فقال قتيبة : أذكر كم الله و الرحم ! فناداه
 ١٠ 'محضر بن جزء الكلابي^٢ : أنت قطعتهما ، قال قتيبة : فلكم العتي ، قال 'محضر بن جزء^٣ : لا أقالنا إذا إن أفلناك ؛ قال : فجعل قتيبة يتمثل بهذين البيتين و هو يقول :

يا قوم صبرا على ما كان من مضض^٤ إذ لم أجد لعتاة^٥ القوم^٦ أقرانا

(١) كذا في الأصل .

(٢-٢) من الطبري ٨ / ١٠٨ ، و في ابن الأثير ٥ / ٧ : محضر بن جزء العلابي و هو قيسي أيضا ؛ و في الأصل : محرم بن حري - كذا .

(٣-٣) في الأصل هنا : محضر بن حري .

(٤) في الطبري و ابن الأثير : نفس .

(٥) فيها : ألم .

(٦) فيها : لفضول .

(٧) في ابن الأثير : العيش .

لو كان قومي أحرارا لقد منعوا سلوى يطأر عنه الناس خذلانا
قال : فقال رجل من أصحاب قتيبة يقال له صالح بن حيان مولى مصقلة
ابن هيرة لغلام له : يا غلام اناولني قوسي^١ ، فقال له صالح بن مسلم أخو
قتيبة بن مسلم^٢ : ليس هذا وقت قوس .

قال : ثم ذهب صالح بن مسلم لينكلم الناس فرماه^٣ ورجل من بني ه
ضبة يقال له سليمان^٤ ويلقب بريح اترنج^٥ بسهم فصرعه ، فابتدره الناس
فحمل إلى أخيه قتيبة ، وكان أكبر ولد مسلم ، فأدخل للفسطاط ورأسه
مائل ، فقام إليه / قتيبة فجلس عنده ساعة حتى قضى ، ثم رجع إلى سريره .
و تقدم عبد الرحمن بن مسلم أخو قتيبة ، فرماه مولى لبني حنيفة يكنى أبا
فديك بسهم فقتله . ثم أقبل يزيد بن الأهم الأزدى على قومه من
الأزد فقال : أيها الناس ! تعلمون أن قتيبة بن مسلم هذا جعلني رئيسا
عليكم ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فاني والله سمعته وهو يقول : والله
لاستأصلن الأزد حتى لا يبقى لعمايتها سادة ولا قادة لا قال : ثم تقديم في
قومه من الأزد نحو فسطاط قتيبة بن مسلم متمثلا بهذا البيت وهو يقول :

أعله الرمايه كل يوم فلنا قال قافية هجائي

١٥

- (١) ليس البيت في الطبري ولا ابن الأثير .
- (٢) في الطبري وابن الأثير ٥ / ٨ هذه مقالة عبد الله بن مسلم أخى قتيبة .
- (٣-٣) في الطبري وابن الأثير : حيان .
- (٤) في الأصل : فراه - خطأ .
- (٥-٥) في الطبري : سليمان الزنجيرج وهو الخرنوب .

و يروى :

أعله الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

قال : ثم تقدم سعد بن نجد الأزدي و جهم بن زحر الجعفي و في يده^١

رأية له ، فنظر إليه حيان بن إياس العدوي^٢ فحمل عليه ، و حمل عليه^٣ جهم

فضربه بالسيف ضربة فوق علي معركة البرذون كقطع تجافيفه و عنق الفرس ،

و رمى جهم بنفسه من الفرس و حمل علي العدوي^٤ برمح^٥ راجلا ، فهرب

العدوي^٦ من بين يديه إلى قتيبة : قال : و صاح رجل من أصحاب و كيع :

ما تنتظرون بالرجل ؟ تغتفون به قبل أن يتعشى بكم ! قال : فدعا و كيع

« بالنار و الحطب »^٧ فأحرق الناس ، و بها نجوا^٨ ثم دنوا من الفسطاط ،

١٠ فدخل إلى قتيبة مؤذنه فقال : أيها الأمير اعلي ما ذا أقبل ؟ قال : علي

طاعة الله و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و آله ، فخرج المؤذن فقاتل

حتى قتل ؛ و تقدم عبد الله بن و آلان و عبد العزيز بن الحارث و ميسرة

و عبد الرحمن بن عبد الله القسرجي - هؤلاء الأربعة ، فخرجوا من القارة

خوفا علي أنفسهم أن يقتلوا ، و تقدم عبد الله و عبد الكريم و الحسين

(١) في الأصل : يدهم .

(٢) في الأصل : الضوي .

(٣) في الأصل : عليهم .

(٤-٥) وقع في الأصل « بالنار و الحطب » مكررا .

(٥-٥) كذا في الأصل ، و في الطبري و ابن الأثير : « و أحرق الناس موضعا

كانت فيه إبل لقتيبة و دوابه » .

وزياد إخوة قتيبة ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم . و تقدم كثير بن قتيبة فقتل ؛ ثم تقدم مغلس بن عبد الرحمن بن مسلم ابن أخي قتيبة فقاتل فقتل . فقال قتيبة لرجل واقف بين يديه يقال له جنادة الوائلي : / انج / ١٥٤
بنفسك ، فقال : لا والله وأقتل بين يديك ! أنا أسلمك ، قد أطعمتني الجرملق^١ و ألبستني النمرق^٢ ! فقاتل فقتل . و خرجت أم ولد لقتيبة يقال لها الصماء فشدد عليها رجل من القوم فقتلها . قال : و قتل حاجب قتيبة شريك بن الصامت ، و صبر قتيبة مع أخيه و هاجت بينهم قسطلانية ، و مالت الأزدي و بنو بكر فقطعوا أطناب السرادق ، ثم هجموا على قتيبة ، و قصده رجلان أحدهما سعد بن نجد الأزدي و الآخر جهم بن زحر الجعفي ، فطعنه جهم بن زحر و ضربه سعد بن نجد ، و يقال : انهما جميعا ضرباه فقتلاه ؛ ١٠
و قد ذكر ذلك الحضين بن المنذر البكري في قصيدة له حيث يقول :

ألم تر جهما و ابن نجد^٣ تعاورا بسيفهما رأس الهمام المتزوج
وما أدركت في قيس عيلان نارها بنو شنفر إلا بأسياف مذحج
و إلا بفتيان العتيك و غيرهم من الأزدي في داج من الرهج أدعج
أتاهما ابن زحر بعد ما هب جمعها فباشرها في حرها المتوهج ١٥

(١) في الطبرى و ابن الأثير : الجرملق .

(٢) في ابن الأثير : النمرق .

(٣-٣) في الطبرى ١٠٩/٨ : و ابن سعد و ابن زحر .

(٤) ليست الأبيات الثلاثة الآتية في الطبرى ، إلا أن فيه بدلا :

عشية جئنا بن زحر وجئتم بادغم من قوم الذراعين ديوج

أصم غداي كأن جينه^٢ بجاجة نفس^١ في أديم مجمع

قال: ودخل عبد الله بن حوذان الأزدي إلى قتيبة فاحتز رأسه^٣

ومضى به إلى الأزدي. قال: وطلب وكيع بن أبي سود الرأس، فقيل له:

إن رأس قتيبة وخاتمه قد صار إلى الأزدي، قال: فغضب وكيع ثم قال:

٥ لا والله لا أبرح أو أوتى بالرأس! وإلا ألقت بها فتنة صماء، وإلا ذهب

رأسي مع رأسه. قال فقال بعض أصحابه: يا أبا المطرف! فانك توتني

بالرأس فلا عليك! قال: وأقبل رجل من الأزد إلى قومه فقال: أحمق

أنتم! بايعنا رجلا وقلدناه أمورنا وعرض نفسه للتلغ وتأخذون أتم

الرأس؟ أحلوا بلبه الرأس حتى يصنع به ما يشاء! قال: ثم أقبلوا بالرأس

١٠ إلى وكيع وقالوا: يا أبا المطرف! إن هذا الذي احتز الرأس - وأومؤا

إلى عبد الله بن حوذان أو عبد الله بن علوان، قال: فأمر له وكيع بثلاثة

آلاف درهم، ثم بعث بالرأس إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان / مع

١٥٤ / ب

رجل يقال له سليط بن عطية الحنفي^٤ وأنيف بن حسان^٥ العدوي في

رجال من قومها، وكتب إليه يعلمه بقصة قتيبة بن مسلم وما كان من خلعه

١٥ وعصيانه؛ فأنشأ عبد الله بن جمانه الباهلي يقول في ذلك أبياتا مطلعها:

(١) من الطبري، وفي الأصل، اشتم.

(٢-٢) في الطبري: اطاخة نفس.

(٣) في الطبري وابن الأثير: نزل سعد فشق صوقعة الفسطاط فاحتز رأسه.

(٤) هو حنين بن المنذر، كما في الطبري وابن الأثير.

(٥-٥) في الطبري: سليط بن عبد الكريم الحنفي.

(٦) من الطبري، وفي الأصل: حيان.

علام تلوم عاذلتي سفاها و تلحاني وما أنا بالمليم
إلى آخرها .

قال : وجعل الناس يسلبون من قدروا عليه من قبائل باهلة ،
فاقبل قوم من قيس عيلان إلى عبد الرحمن بن عبد الله القسري
إلى وكيع فقال : أبا المطرف ! إنكم قد قضيتم شأنكم من قتيبة فعلى ما ذا
يسلب الناس ؟ قال : فأرسل وكيع مناديه ، فنادى في العسكر : ألا من
أخذ شيئا من سلب باهلة ولم يرده فقد حل دمه . قال : فرد الناس ما كان
في أيديهم من السلب ، قال : و أتى وكيع برجل قد سلب باهليا فقال
له : أسلبته بعد ما سمعت النداء ؟ ثم قدمه وكيع فضرب عنقه . قال :
و كان وكيع هذا من آخر الناس ، غير أنه كان فارسا بطلا لا يقوم
له أحد عند اللقاء ، و خطب ذات يوم فلم يدر ما يقول ، فحمد الله و أثنى
عليه ثم حضر فجعل يقول :

شربت خميرة فسكرت منها فال السرج وانقطع اللجام

قال : و صعد المنبر ذات يوم فقال : أيها الناس ! إني لست بخطيب ولكني
والغ دم ، و قد قتلت ابن الحدباء قتيبة بن مسلم ، و كذلك سولت لي
نفسى ؟ ثم نزل عن المنبر . و قال هريم بن أبي طحمة التميمي : أنت أخطب
منى فاصعد و اخطب ، قال : فصعد هريم المنبر فحمد الله و أثنى عليه ،
ثم قال : لعن الله وكعبا فلقد قتل رجلا ملعونا ، قال فقال له وكيع و هو
تحت رجله جالس : حسبك ! لعنك الله و لعن من أنت أخطب منه !

(١) لعل هنا سقطت في الأصل بدلالة السياق فلذا وضعنا النقاط .

قال : وقد أراد سليمان بن عبد الملك أن يولى وكيعا بلاد خراسان ، فقال له ابن الأعمش : مهلا يا أمير المؤمنين ! فان وكيعا رجل أهوج مقدم ترفعه الفتنة و تضعه الجماعة . قال : فلما كان بعد قتل قتيبة بن مسلم دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فقال له : يا ابن غالب ! أسرك / مقتل قتيبة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! وأنا الذي أقول في ذلك أياتا مطلعها :

١٥٠ / الف

أتاني^٢ ورحلى بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم
إلى آخرها . قال : فأجابه رجل من باهلة وهو يقول أياتا مطلعها :
أتك لعمرى بالمدينة وقعة تعاضمها الأقسام إحدى العظام
١٠ إلى آخرها .

قال أبو الحسن المدائني : فلما قتل قتيبة و مضى لسبيله احتوى وكيع ابن أبي سود على بلاد خراسان ، فأقام بها تسعة أشهر يولى و يجي و يعزل ، و سليمان بن عبد الملك يحب أن يولى يزيد بن المهلب خراسان غير أنه يقدم و يؤخر . قال : و يزيد يومئذ قد صار إلى البصرة فهو مقيم بها
١٥ عند أهل بيته و بنى عمه يتوقع أن يؤمر بالمسير إلى خراسان . قال :
و دعا سليمان بن عبد الملك بعبد الملك بن المهلب فقال له : أبا عبد الله ! ما ذا أنت صانع إن وليتك ؟ فقال : يجذني أمير المؤمنين بحيث أحب .
قال : و بلغ ذلك يزيد بن المهلب فاشتد ذلك عليه ، و كتب سليمان بن

(١) زيد في الأصل : بي .

(٢) من الطبري ٨ / ١١١ ، و في الأصل : ابني .

عبد الملك أن يوليه خراسان ، ويعلمه في كتابه أنه لا يقوم بأمرها أحد
سواه . قال : و قدم أيضا رسول وكيع بن أبي سود من خراسان يطلب
الولاية لنفسه . قال : فنظر سليمان في كتاب يزيد بن المهلب ، ثم نظر
في كتاب وكيع بن أبي سود ، ثم دعا بعبد الله بن الأهم فقال له :
خبرني كيف علمك بخراسان ، فقال : أنا أعلم الناس بها يا أمير المؤمنين !
ولدت بها و بها نشأت . قال سليمان : الله أكبر ! فأشر على برجل أوليه
إياها ، فقال : أمير المؤمنين أيده الله أعلم بمن يريد أن يولى ، فان ذكرهم
خبرته بعلى فيهم أ يصلح لها أم لا يصلح ؛ قال : فسمى له سليمان عدة
من قريش ، فقال ابن الأهم : لا يصلحون لها ، قال سليمان : فما تقول في
وكيع بن أبي سود ؟ فقال ابن الأهم : وكيع رجل مقدام شجاع بطل
همام حازم ، غير أنه أعرابي وفيه جفوة ، فقال له سليمان بن عبد الملك :
صدقت ليس وكيع من رجال خراسان ، قال / ابن الأهم : نعم يا أمير المؤمنين
وشجاعه وكيع أكثر من عقله فان وثق بثلاثمائة رجل من أصحابه
لا يرى لأحد عليه طاعة ، قال سليمان : فمن لها ؟ قال ابن الأهم : لا أبوح
باسمه إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين كتابه ، فقال سليمان لمن في مجلسه :
اخرجوا ، فخرج الناس ، ثم قال سليمان : من هو الآن يا ابن الأهم ؟
فقال : يزيد بن المهلب ، فقال سليمان : يزيد بالعراق وأظنه بها أحب
إليه ، فقال : صدقت يا أمير المؤمنين و لكن تكرهه على ذلك و تشخصه
إلى خراسان ، فليس لها أحد سواه لأنه قد كان بها حياة أبيه و بعد أبيه ،
فهو أعرف الناس بها ، فقال سليمان : صدقت .

٢٠

(١) كرهه في الأصل ثانيا بعد « بطل » .

ثم كتب سليمان إلى يزيد بن المهلب: أما بعد، فإن عبد الله بن الأهمش كما نحب و نحب في فضله و عقله و رأيه و دينه، و قد شاورته في أمر خراسان فوَقعت خيرته عليك، و قد وليتك إياها حربها و خراجها، فاذا أتاك كتابي هذا فاجمع إليك الناس و سر على بركة الله، فأمر المؤمنين رافعك و مبلغك أملك و منيتك إن شاء الله - و السلام . قال: و دفع سليمان الكتاب إلى ابن الأهمش و خلع عليه و أجازته .

قال: فسار ابن الأهمش سيرا حثيثا حتى دخل البصرة، ثم دخل على يزيد بن المهلب فسلم عليه، فرد عليه يزيد السلام ثم قال: ما وراءك يا ابن الأهمش؟ فقال: ورأى كل خير، ثم دفع إليه الكتاب، فلما قرأه قال: الله أكبر! إلى كم تنتظرني!

ذكر ولاية يزيد بن المهلب أرض خراسان

قال: ثم وثب يزيد من ساعته فتجهز، و قدم ابنه مخلدا على مقدمته إلى خراسان . قال: فسار مخلد بن يزيد حتى تقارب من مدينة مرو، و قدم أيضا خليفة له يقال له عمرو بن عبد الله بن سنان العتكي ١٥ الصنابحي^١، فأقبل هذا الصنابحي^٢ حتى دخل مدينة مرو و بها يومئذ وكيع بن أبي سود؛ قال: فأرسل وكيع بن أبي سود [إلى] الصنابحي^٣ أن صر إلى فاني أريد مناظرتك، / فأرسل إليه الصنابحي^٤: أنت أعرابي

(١-١) من الطبري ١١٥/٨، و في الأصل: عمر بن عبد الله بن بشار العتكي الضحيانى .

(٢) في الأصل: الضحيانى . و كرر فيه ثانيا « فأقبل هذا الضحيانى » .

(٣) في الأصل: الضحيانى .

١٥٠/الف

جلف أحق، أتأمرني بالمصير إليك و أنا قادم عليك؟ فاستقبل أميرك
و ذر عنك الجهل و الحق .

قال : و خرج وجوه أهل مرو ليستقبلوا مخلد بن يزيد بن المهلب ،

قال : و تأنى و كيع و لم يخرج حتى أخرج كرها . قال : و ترحل الناس

لمخلد بن يزيد بن المهلب و مشوا بين يديه إلا هؤلاء الثلاثة : و كيع بن هـ

أبي سود و محمد بن حمران^١ السعدي و عباد^٢ بن لقيط أحد بني قيس

ابن ثعلبة ، فانهم لم ينزلوا لمخلد بن يزيد فأنزلوا كارهين حتى مشوا بين

يديه . فلما دخل مخلد بن يزيد إلى مدينة مرو أخذ عمال و كيع بن

أبي سود فحبسهم و عذبهم من قبل قدوم أيه عليه .

قال : و بلغ و كيع بن^٣ أبي سود^٢ بأن يزيد بن المهلب قد فصل ١٠

من العراق فكتب إليه كتابا و بدأ باسمه قبل اسم يزيد ، و قال في

كتابه : أما بعد يا يزيد فان أعطيتني ما أريد و إلا فعلت و فعلت . فلما

وصل الكتاب إلى يزيد و قرأه غضب و شتم و كيعا ألبح الشتيمة ثم سار

حتى دخل الري فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار منها سيرا حثيثا . حتى

إذا تقارب من مدينة مرو نادى المنادى في المدينة : ألا إن الأمير ١٥

قد أقبل ، فمن أراد استقباله فليخرج ، قال : فخرج الناس لاستقبال يزيد

ابن المهلب و خرج و كيع بن أبي سود فيمن خرج ، و أقبل يزيد حتى

(١) من الطبري ١١٦/٨ ، و في الأصل : عمران .

(٢) من الطبري ، و في الأصل : عتاب .

(٣-٣) في الأصل : اسود .

دخل مدينة مرو فنزلها ، وبعث إلى وكيع فدعاه و قال : أتكتب
إلى و تبدأ باسمك قبل اسمي و تقول في كتابك ما تقول ! و الله
لا قتلنك ! فقال وكيع : لا تفعل ذلك لأنك شجاع و أنا شجاع ، و لو كنت
جباناً لقتلتني . قال : فشمه يزيد و تهدده ، فقال له وكيع : أما و الله
لقد علمت أنه ما وطأ لك البلاد و لا مهد لك الفرش غيري ! و لو قدمت
على قتيبة و إخوته و بني عمه لوجدت حسابهم خشنا ، قال فقال له
يزيد : يا عدو الله ! أذ مال الله الذي أخذت من كور خراسان ، فقال :
و هل كنت خائن^١ الله أيها الأمير ؟ قال : فحبسه يزيد و حبس عماله
و حاشيتهم و عذبهم / بالدهق ؛ فأنشأ عبد الله بن همام^٢ السلولي يقول
١٥٠ ب / في ذلك :

خذ العفو و اصفح يا يزيد فاني رأيت ثواب الله خيرا و أفضلا
و لا تسمعن قول الوشاة فانهم يودون لو يسقى الرعاف المملا
خف الله في قوم تووا منذ خفتهم يرجون عدلا من لدنك مؤملا
و أنت شمال يا يزيد فلا تكن عليهم عذابا بالبلاء موكلا

١٥ قال : ثم عزم يزيد على الغزو فضم جنده إلى ابنه مخلد ، فغزا
مخلد بالناس أرض الترك حتى صار إلى حصن لهم حصين و فيه من
الترك خلق عظيم . قال : فجاورهم مخلد بن يزيد و هم ينظرون إليه كأنه
يريد إلى غيرهم مكيدة منه لهم ، حتى إذا بعد عنهم كر عليهم في أصحابه ،

(١) في الأصل : خان - كذا . (٢) في الأصل : سلام ، و التصحيح

من طبقات نحول الشعراء للجمعي ص ٦٢٢ .

فقتل منهم من قتل ، و بادر الباقون إلى مدينتهم فدخلوها - و هي مدينة عظيمة - و أخذوا ' أموالها و قليلها و كثيرها ' و أخذوا جميع ما كان في المدينة و سبوا منها سبياً كثيراً و غنموا غنائم خطيرة . قال : و أتى بامرأة ذلك الطرخان الذي قتل حتى وقفت^٢ بين يدي مخلد بن يزيد بن المهلب ، فقال لها مخلد بالتركية : اختاري من أحببت^٣ من أصحابي هؤلاء ، ه قال : فنظرت المرأة إلى رجل من عبد القيس ، وكان رجلاً جميلاً بهياً من الرجال و كان يخضب بالسواد ، فنظرت إلى ياض في لحيته و صرفت وجهها عنه ، ثم نظرت إلى محمد بن المهلب ، أخذها قال له مخلد بن يزيد : و كل بخدمها^٤ و جواريتها . و أقبل بالأموال و الغنائم إلى أبيه يزيد بن المهلب . قال : و جعل يزيد بن المهلب يجمع عمال قتيبة بن مسلم^{١٠} فيعذبهم أشد العذاب و يستأديهم الأموال ، ثم أخذ عمرو بن مسلم أخا قتيبة فعذبه و وضع في عنقه جامعة . ثم أمر مدرك بن المهلب بمطالبتة ، فلم يزل يستأديه حتى أخذ منه كل شيء قدر عليه . ثم دعا به يزيد فقال له : ويحك يا ابن مسلم ! إنما تجمع الرجال الأموال لثلاث خصال : يوسع الرجل على نفسه ، و الثانية ينوبه في عشيرته ، أو / يدفع عن نفسه ١٥ ١٥٧ / الف أمرا من الأمور ، و أنت فلا أراك تسخو نفسك لنفسك عن شيء

(١-١) في الأصل : أمواله و قليله و كثيره .

(٢) في الأصل : وقف .

(٣) في الأصل : أحببتي . (٤) في الأصل : يخدمها .

من مالك ! قال : فأوما عمرو بن مسلم إلى مدرك بن المهلب ثم قال :
 أيها الأمير وهل ترك لي شيئا هذا ؟ قال : فرماه مدرك بن المهلب
 بالدواة فأصاب أنفه وأدماه ، ثم شتمه . فقال محمد بن المهلب : إن لهذا
 فعلا والله ما كففتم عن ماله ولا عن عرضه ولا عن بشره ! كأنه
 لم يكن بي في حالكم ، وكأنكم قد أمنتهم أن تكونوا في مثل حاله . قال :
 ثم خرج محمد بن المهلب من عند أخيه مغضبا . فقام عبد الله بن الأهم
 إلى يزيد فقال : أصلح الله الأمير إن قتيبة بن مسلم قتل أهل بيته وأقام
 إلى الكلاب ، وإن الناس قد قتلوا قتيبة فقتلنا رسله كما قال الأول :
 ألا يا كلب غيرك أرجعوني وقد ألصقت خدك بالتراب
 ١٠ ألا يا كلب فانتشرى وسيرى فقد أودى عمير بن الحباب
 ولكن فاقتلوا أولاد قوم ، هم أخذوا موارد الكلاب
 قال : وجعل يزيد بن المهلب يغزو أطراف خراسان مما لم يصل
 إليه قتيبة ولم يبلغه ، ففتح فتحا بعد فتح حتى فتح حصونا كثيرة واحتوى
 على أموال خطيرة . قال : فدخل عليه بعض شعراء خراسان فمدحه
 ١٥ وأطنب في مدحه ، فقال له يزيد بن المهلب : من أنت أيها الرجل ؟ فقال :
 أنا فلان ابن فلان الفلاني ، فقال يزيد : قد عرفتك ، ألسن القائل في قتيبة
 ابن مسلم حيث تقول :

قتيبة بن مسلم بن عمر يرثس أقواما و قوما سرى
 يعطى على غلانه واليسر ما زال مذ كان شديد الأسر

(١) في الأصل : شيء .

قال فقال له الشاعر: نعم أصلح الله الأمير أنا قاتل ذلك و القائل
فيك هذه الآيات:

ما زال سيك يا يزيد ينوبني^٢ حتى انتعشت^٣ وجودكم لا ينكر
أنت الربيع إذا تكون خصاصة عاش السقيم به وإثرى المقتر
عمت سحائبكم جميع بلادنا فسقوا وأغدقهم ملك ممطر^٥
فسقاك ربك حيث كنت مخيلة ربا سحائبها تجود^٥ وتبكر

/ قال: فوصله يزيد وأحسن جائزته. قال: وجعل يزيد لا يسمع برجل
عمل بقتيبة يوما عملا إلا بعث إليه وأخذه وقيدته وحبسه، فأرسل
إليه أبو الحرباء الغنوي من السجن بهذه الآيات:

يا ابن المهلب لا تسمنا خطية قد كنت تكرهها وأنت أسير^{١٠}
إن الفضيلة كاسمها أكرومة ولها جوار بين وسرور
واصفح بعفوك عن ذنوب سراتنا إن المسامح ذنبه مغفور
وافعل كما فعل المهلب قلبكم فيمن ولاه^٦ وأسيفه مشهور
قال: فعندها قصر يزيد عن عذاب القوم وعزم على المسير إلى جرجان.

(١) الأبيات الآتية في الطبري ١١٦/٨ منسوبة إلى عبد الملك بن سلام السلوي.

(٢) في الطبري: بحوبتي.

(٣) في الطبري: ارتويت.

(٤) في الطبري:

عمت سحائبه جميع بلادكم فرووا وأغدقهم سحاب ممطر

(٥) في الطبري: تروح.

(٦) في الأصل: وليه.

ذكر مسير يزيد بن المهلب إلى جرجان

وما كان منه إلى أهلها

قال: وكانت جرجان في زمان العجم و سلطانهم قد حوطوا عليها حائطاً من الآجر فجعلوها حصناً لا يرام و تحصنوا به من الترك .
 ٥ قال: وهو حائط طويل أحد طرفيه في البحر و الطرف الآخر مدود في البلاد، لأن الترك إنما كانت تأتيهم من ناحية خوارزم فلا يقدرون عليهم من أجل الحائط . قال: و كان سابور ذي الأكتاف و خسرو و هرمز بن انوشروان و قباد بن فيروز و غيرهم من ملوك الأعاجم قد غزوا جرجان و راموها في سالف الدهر فأعياهم ذلك و لم يقدرُوا عليها لخصانتها و لكثرة أهلها . قال: ثم إن أهل جرجان صالحوا الترك بعد ذلك و خالطوهم، و نزل الترك بين أظهرهم، فأقاموا فيهم ما شاء الله أن يقيموا ثم رحلوا عنهم إلى بلادهم، و بقيت منهم بقية يزيدون على أربعة آلاف فنزلوا دهستان، فكانوا يغيرون على جرجان و يؤذونهم غاية الأذى، فلم تزل بلاد جرجان على ذلك من حالها إلى
 ١٥ أن جاء الله بالإسلام، فغزاها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية في خلافة عثمان بن عفان، فصالحوه على مائتي ألف درهم، فأخذ منهم سعيد ذلك المال و انصرف عنهم، ثم لم يغزها أحد بعد سعيد بن العاص . قال: و انقطعت الطرق أيضاً / إلى بلاد جرجان،

١٥٨/الف

(١-١) في الأصل: أبي العاص، و التصحيح من الإصابة ٩٨/٣ .

فلم يكن يسلك طريق خراسان وناحية قومس إلا على وجل و خوف شديد . قال : و إنما كان الطريق إلى خراسان من ناحية فارس إلى كرمان ثم إلى خراسان . قال : و كان أول من سهل الطريق من قومس إلى خراسان قتيبة بن مسلم . قال : و كان قتيبة يكتب إلى الحجاج يستأذنه في غزو جرجان ، فكتب إليه أن إياك و التوريط فيما لا طاقة لك به من جرجان و عليك غيرها .

قال : و كان سليمان بن عبد الملك إذا سمع بفتوح قتيبة بن مسلم يقول لمن حضر من وزرائه : ألا ترون إلى فتوح قتيبة بأرض خراسان؟ قال : فكان يقول له يزيد بن المهلب : يا أمير المؤمنين ! ليست هذه بفتوح ابن قتيبة عن فتح جرجان الذي قد أعيت الملوك من قبل . و حالت بين الناس و بين خراسان . قال : فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان لم تكن له همة إلا جرجان فسار إليها ، حتى إذا تقارب منها وجد رائحة منتنة كريهة ، فقال : ما هذه الرائحة ؟ فقالوا : أيها الأمير ! إن صول التركي أغار هذه البلاد ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، و هذه رائحة القتلى . قال فقال يزيد : قبح الله قتيبة ! يترك هؤلاء و هم في بيضة الإسلام و يغزو فرغانة و الصين ، قال فقال رجل من بني تميم : أيها الأمير ! إن قتيبة قد كان أراد أن يغزو هذه الناحية غير أن الحجاج منعه من ذلك ، فقال يزيد : و أين صول هذا التركي ؟ فقال : صول بجرجان و عساكره بدهستان .

(١) في ابن الأثير ١٣/٥ : هذه الفتوح ليست بشيء الشأن هي جرجان .

قال: فسار يزيد إلى جرجان، وخرج صول من جرجان فصار إلى دهستان و اجتمعت إليه الترك، فصار في قريب من مائتي ألف إنسان و سار إليه يزيد في عشرين و مائة ألف من جند الشام و جند خراسان و العراق، و دنا الفريقان بعضهم من بعض، فاقتلوا قتالا شديدا. قال: ٥ و نظر رجل من أهل العراق يقال له محمد بن أبي سبرة إلى رجل من الترك و هو يقاتل، فحمل عليه ليضربه بسيفه و بادره^٢ التركي بضربة على يعضته فقد البيضة، / و ذهب التركي ليجذب سيفه عن البيضة فلم يواته، و انخزل عليه محمد بن أبي سبرة فضربه ضربة فقتله، ثم أقبل نحو المسلمين و سيف التركي في يعضته كما حسن شيء. نظر إليه. قال: و إذا بقبيلة عظيمة من الترك قد أقبلت و فيها زهاء أربعة آلاف شاكين في السلاح، فنظر إليهم يزيد بن المهلب، فلم يكذب أن حمل عليهم بنفسه و في إخوته و بنى عمه و مواليه، فهزمهم حتى بلغ بهم إلى أبواب دهستان.

قال: فلما دام الحرب على أهل دهستان و رأوا أنه لا طاقة لهم بالمسلمين كاعوا عن الحرب فلم يحاربوا، فأرسل صول صاحب الترك إلى يزيد بن المهلب يسأله الصلح، فأجابه يزيد إلى ذلك، و وقع الصلح على ألف رأس من الرقيق و سبعمائة ألف درهم و على أن يطاء صول بساط يزيد ابن المهلب. قال فم الصلح على ذلك، و أخذ يزيد من القوم ما أخذ، فأخرج من ذلك كله الخمس فعزله، و قسم باقي ذلك في المسلمين؛ فأنشأ

(١) في الأصل: الفريقين.

(٢) في الأصل: بدره.

وأثله بن خليفة السدوسي يقول في ذلك أبياتا مطلعها :

ما زال مذ كان أبو خالد يزيد خرقا راغبا في السماح

إلى آخرها .

قال : ثم سار يزيد حتى نزل على جرجان ، فلم يحارب أهلها

إلا ساعة من نهار حتى صالحوه ، فوقع الصلح بينهم وبينه على ثلاثمائة ٥

ألف درهم و مائتي رأس رقيق ، فأخذ منهم ما صالحهم عليه ، و ولى

عليهم أسد بن عبد الله الأزدي^١ أو عبد الله بن معمر اليشكري^٢ في أربعة

آلاف رجل و سار يريد طبرستان ، فأنشأ فلان الحماني يقول في ذلك

أبياتا مطلعها :

١٠ إذا ما يزيد سار يوما بجيشه إلى غاية منه أفادك مغنا

إلى آخرها .

ذكر مسير يزيد بن المهلب

قال : و سار يزيد بن المهلب حتى دخل حدود طبرستان و ملكها

يومئذ الاصبهذ جيل جيلان في جمع عظيم من الديلم و أصناف الكفار ،

فأمر يزيد بقطع الشجر و تسهيل الطرق و إصلاح المسالك ، ثم وجه ١٥

بأخيه مدرك / بن المهلب في أربعة آلاف ، و وقف يزيد في باقى الجيش . ١١ / ١٥٩

قال : و بلغ الاصبهذ مسير المسلمين إلى ما قبله ، فأراد أن يهرب إلى

الديلم ، فقال ابنه : أيها الملك ! بينا أنت ملك تهابك الناس و يتقونك

(١) كذا في الطبرى ١١٩/٨ في رواية .

(٢) هكذا في ابن الأثير ١٤/٥ ، و كذا في الطبرى ١٢٢/٨ من رواية أخرى .

و ينظرون إليك بعين الجلالة إلى أن تصير مطلوباً تهرب من يزيد بن المهلب، وقد وقف له من ليس مثلك ولا فوقك؟ ولعل الديلم إن دخلت إليهم لا يوفون لك فتؤخذ أسيراً فتسلم إلى يزيد؛ قال: فأقام ولم يبرح، ثم استجاش بأهل جيلان فأجابوه بعشرة آلاف أو يزيدون .
 ٥ قال: وبلغ ذلك يزيد بن المهلب فدعا بخداش بن المغيرة بن المهلب وأبي الجهم الكلبي فضم إليهما عشرين ألفاً ووجه بهم إلى أصحابه معونة لهم . قال: و سار إليهم سليمان الديلمي من قبل الاصبهذ في جيش عظيم، فالتقى القوم واقتلوا قتالاً شديداً، فقتل سليمان الديلمي، قتله ابن أبي سبرة الجعفي، وانهزم الكفار هزيمة قبيحة حتى اشتدوا في الجبل ١٠ و أتبعهم المسلمون، قال: فسار الكفار إلى رؤس الجبال فجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والنشاب . قال: ثم وقعت الهزيمة على المسلمين فانهزموا حتى صاروا إلى يزيد بن المهلب و قد قتل منهم جماعة . قال: و أخذت عليهم المضايق والشعاب والطرق .

ثم كتب الاصبهذ صاحب طبرستان إلى المرزبان صاحب جرجان ١٥ بأنا قد قتلنا يزيد بن المهلب وأصحابه فاقتل^٢ أنت الآن و من يليك من العرب^٣ . قال: فعطف المرزبان وأصحابه على المسلمين بجرجان وهم أربعة

(١) في ابن الأثير ١٤/٥ والطبري ١٢٣/٨ «وجه أخاه أبا عيينة من وجه، وخالد ابن يزيد ابنه من وجه، وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال: إذا اجتمعتم فأبوعيينة على الناس» .

(٢) في الأصل: فاقبل .

(٣) في الطبري: فاقتل من في البياسان من العرب .

آلاف ، فقتلواهم عن آخرهم حتى ما أفلت منهم أحد و فيهم خمسون رجلا من بني عم يزيد بن المهلب . قال : و بلغ ذلك يزيد بن المهلب . قال : و قد أخذت عليه الطرق و المضايق ، فعظم ذلك عليه و أسقط في يده . قال : فدعا بكاتب له يقال له عبد الله بن الحارث العجرمي و قد كان يزيد غضب عليه قبل ذلك بخراسان و استغفاه^١ و وضع الجامعة^٢ في عنقه^٥ ثم رضى عنه / بعد ذلك ، قال : فعزم يزيد على أن يوجه به إلى الاصبهذ ، فقال له : أتوجهني إلى هذا الرجل و أتر الجامعة في عنقي^١ قال : فلم يرسله يزيد و ضاق به الأمر و لم يدر ما يصنع ؛ ثم إنه دعا برجل يقال له حيان النبطي مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، و كان حيان هذا أصله من الديلم ، و إنما قيل له نبطي لأنه كان الكن لم يكن عنده عبارة و لكن كان له تدير^{١٠} فدعاه يزيد بن المهلب و قال له : أبا الغمر ! إني قد كنت أسأت إليك بخراسان و أغرمتك و أخذت مالك ، و الآن فقد احتجت إليك فلا يمنعك ما كان مني إليك من نصيحة المسلمين ، إنه قد جاء من خبر جرجان ما قد علمت ، و قد أخذ علينا هؤلاء الطرق كما ترى ، فانظر لله و للمسلمين ، قال فقال له حيان النبطي : أيها الأمير ! إنه إن كان منك إلى ما كان فاني لم أترك النصيحة^{١٥} للمسلمين إن شاء الله .

قال : ثم ركب حيان و صار إلى الاصبهذ ، فاذن له ثم أدناه و أجلسه ،

(١) في الأصل : استغفاه .

(٢) في الأصل : الجماعة . و الجامعة الغل لضرب من الحللي لأنها تجمع اليدين إلى العنق - أقرب الموارد .

فقال له حيان: أيها الاصبهني! إنى وإن كنت على دين الإسلام
 فالأصل منى ومنك واحد، وأنا ناصح لك وقد كنت أصلحت بين
 العرب والترك ومن كان من وراء النهر، وأنصحهم فيقبلون نصحي
 فلا تقترن بما نلت من المسلمين من الهزيمة في وفك هذا فانك لا تطبق حرب
 أمير المؤمنين، وقد أرسل يزيد يستمد بالجيوش ولست آمن أن يأتيه
 من المدد ما لا تقوم له ومن الأمر ما لا تطيقه، ويزيد بن المهلب في
 وقته هذا سريع إلى الصلح فان قوى أمره لم يرض منك بالصلح،
 والرأى عندي أن تصالحه بنصرف عنك إلى جرجان فيكون حربته
 و سطوته عليهم لغدرهم وقتلهم لأصحابه. قال فقال له الاصبهني: ويحك
 يا حيان! إنه قد بلغنى عن يزيد بن المهلب إنه قد أساء إليك بخراسان
 واستصفي مالك والآن فاني أراك قد صرت له رسولا، فكيف هذا؟
 قال فقال له حيان: / صدقت أيها الاصبهني قد كان منه إلى ما ذكرت
 وليس يمنعنى ذلك من النصيحة لك وله، ومع ذلك فان عجزت عن
 الصلح لما يريد أن يعطيه أعتك بما تريد من المال، فلم يزل حيان
 كذلك حتى خدع الاصبهني، فاتفق الصلح بينه وبين يزيد بن المهلب
 على ألفى درهم وأربعمائة وقر زعفران^٢ أو قيمة ذلك وأربعمائة
 غلام على رأس كل غلام جام فضة وعلى كل جام طيلسان وشقة حرير

١٦٠/ الف

(١) في الأصل: ستطف.

(٢) في الأصل: إلا.

(٣) في الأصل: زعفرانا.

وخاتم فضة أو ذهب، وعلى أن يدفع إليه خمسمائة رجل من الأتراك كانوا قتلوا جماعة من المسلمين ولجأوا إليه، وعلى أن يطلق له ثلاثمائة أسير قد كانوا في يده'. قال: فوقع الصلح على ذلك ولم يبرح حيان النبطي من عند الاصبهذ حتى قبض ذلك كله وأتى به إلى يزيد بن المهلب. قال: ووصل الاصبهذ حيان بثلاثمائة ألف درهم وخلي لهم الطريق. قال: فانصرف يزيد عن بلاد طبرستان سالما غانما بعد الإياس من نفسه وأصحابه، فقدم أولئك الأتراك الذين وجه بهم الاصبهذ فضرب أعناقهم عن آخرهم صبوا، وسار يريد جرجان.

ذكر مسير يزيد إلى جرجان وما فعل بها وبأهلها

قال: فسار يزيد بن المهلب إلى جرجان خنقا عليهم لما كان من ١٠ غدرهم وقتلهم لأصحابه، وقد أعطى الله عهدا وميثاقا لئن ظفر بهم وظهر عليهم أن^٢ يبرم أو يدير الأرحية بدمائهم فيطحن ويخبز من الطحين ويأكل من ذلك الخبز. قال: وبلغ ذلك المرزبان فخرج عن جرجان هاربا حتى صار إلى قلعة له في الجبل فتحصن بها، وهي قلعة بين غياض^٣ ملتفة ليس لها إلا طريق واحد. قال: وعلم يزيد بن المهلب أن المرزبان ١٥ قد خرج وصار إلى القلعة، فأقبل يزيد حتى نزل عليه وحاصره أربعة

(١) انظر ابن الأثير ٥ / ١٥ و الطبري ٨ / ١٢٠ و ١٢٣ .

(٢) في الأصل: أو .

(٣) في الأصل: رياض، والتصحيح من الطبري ٨ / ١٢٤ .

أشهر لا يقدر منه على شيء وقاتلهم مرارا ونصب عليهم المجانيق فلم يقدر من القلعة على حيلة .

فبينما / يزيد بن المهلب على ذلك من شأنه وقد تطاول نزوله على القلعة إذ خرج رجل من أصحابه من أهل طوس يقال له الهياج بن عبد الرحمن الأزدي إلى الصيد ومعه كلب ، فنظر إلى ظبية أو وعل يتوقل في الجبل ، فتبعه الأزدي في طريق على مثل شراك النعل وقد كان معه قوم من أهل العسكر ، فقال لهم : قفوا مكانكم حتى أرجع إليكم فوقفوا له في موضع أشب كثير الشجر والشوك والوعل . قال : و الهياج بن عبد الرحمن يتبع الوعل ويتوقل في الجبل ، فلم يزل كذلك حتى اطلع على القلعة من طريق خفي [و] وعرف فلما عين ذلك انصرف راجعا ، وخشى أن يشتبه عليه الطريق ، فجعل يخرق ما عليه من الثياب ويجعله على الشجر علامات ، ولم يزل كذلك حتى انتهى إلى العسكر ، ثم أقبل إلى عامر بن أنيم^٢ الواشجي صاحب شرطة يزيد بن المهلب ، فذهب ليدخل إليه فمنعوه من الدخول ، فصاح وقال : عندي نصيحة ، فدعا به عامر بن أنيم^٢ ، ثم قال : هات ما عندك من النصيحة ، فقال : تحب أن تدخل هذه القلعة بلا قتال ؟ قال : نعم ، قال : فأدخلني على الأمير ، فجاء به حتى أدخله على يزيد ، فقال : أيها الأمير ! مالي عندك إن أخذت لك هذه القلعة بلا قتال ؟ قال : لك عندي عشرة آلاف دينار ، قال : فعجل

(١) في الأصل : المناجنيق - كذا .

(٢) في الأصل : وثيل ، والتصحيح من الطبري ١٢٤/٨ .

(٣) في الأصل هنا : اتيم .

لى منها بأربعة آلاف درهم قال : فأمر له يزيد بأربعة آلاف درهم ،
و ضم إليه من الرجال ما أحب ، ثم دعا بابنه خالد فجعله معه وقال :
انظر لا أراك منهزما ^١ .

قال : فسار القوم و الهياج بن عبد الرحمن الأزدي بين أيديهم
و ذلك فى جوف الليل ، ^٢ و قد أضربت النيران حول العسكر حتى صارت ^٥
النيران كأمثال الجبال ، قال : و نظر أهل القلعة إلى تلك النيران فهاهم
ذلك ، ثم خرجوا من باب القلعة يريدون حرب المسلمين كعادتهم و هم
آمنون من ذلك الوجه الذى قد قصده المسلمون . قال : و أشرف
المسلمون عليهم و على القلعة و نظروا إلى ما فيها ، / فكبروا و اقتحموا .

قال : فلم يشعر العدو إلا و المسلمون من ورائهم فى القلعة فأعطوا بأيديهم ، ^{١٠}
و فتحوا القلعة عنوة و أخذ المرزبان ، و أخذت القلعة و جميع ما فيها من
الرجال و النساء و الذرية و الأموال ، و لم يبرح خالد بن يزيد من موضعه
ذلك حتى أصبح ، ثم أقبل إلى أهله بأهل القلعة مع نسائهم و أموالهم
و أولادهم و كثيرهم و قليلهم . فأمر يزيد بن المهلب بالمرزبان فضربت
عنقه صبرا و أعناق أصحابه ، و احتوى على أموالهم و نسائهم و أولادهم ، ^{١٥}

(١) زيد فى الطبرى : « و قال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه : متى تصل
إليهم ؟ قال : غدا عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ، فانى
سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر » ، انظر أيضا ابن الأثير ٥ / ١٦ .

(٢ - ٢) فى الطبرى : « فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن
يشعلوا النار فى حطب كان جمعه فى حصاره إياهم فصيره آكاما فأضرموه نارا ،
فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران » .

ثم أمر بهدم حيطان القلعة ، وأقبل حتى نزل على جرجان في موضع فوضع عليها المجانيق ورمها بالنيران و النفط ، فلم يزل كذلك حتى فتحها عنوة بالسيف . ثم أمر بقتل القوم ، فلم يزل يقتل ويجهتد إلى أن جرت الأرحية ، فلم يجر الدم فأجرى معه الماء ، فدارت الأرحية بالماء و الدم ، فطحن و اختبز له من ذلك الطحين خبزا فأكل و بر قسمه ؛ فأنشأ بعض بني عمه يقول في ذلك :

فتح الله الأмир يزيد ذى المعالي و الفضل و الإحسان
ببلد الترك و الأعاجم طرا من قرى مروها إلى جرجان
كمن القوم بالسلاح عليهم كل قوم من القروم هجان
١٠ و لقد وجه الجنود إليهم واثقا بالمهيم الحنان
فجاء الإله بالنصر لما أن رماهم بالنفط و النيران

ثم أمر يزيد بقتل جرجان و قتل القلعة فنصب لهم الخشب من باب جرجان إلى فرسخين منها فصلبهم عليها ميمنة و ميسرة على طريق طبرستان ، ثم جمع الأموال فأخرج منها الخمس و قسم باقى ذلك فى المسلمين فأغنهم ١٥ بغنائم لم يروا مثاها ؛ فأنشأ كعب بن معدان الأشقرى يقول أياتا مطلعها :
يهب الحصون بأهلها لصديقه و جياذ كل مقلص سباح
إلى آخرها .

ذكر كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك

/ ابن مروان

ب / ١٦١

٢٠ قال : ثم كتب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك : أما بعد ،

(١) فى الأصل : الأشعرى .

يا أمير المؤمنين ! فان الله عز وجل قد فتح الله فتوحا لم يفتحها على خليفة من خلفاء المسلمين من قبلك من أهل خراسان إلى جرجان ودهستان وطبرستان ، وقد أعى ذلك الفاروق و عثمان و من بعدهما من الخلفاء ، حتى فتح الله ذلك كرامة لأمر المؤمنين و زيادة في نعم الله عليه ، و قد صار في يدى مما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذى حق حقه هـ من الفىء و الغنيمة عشرون ألفا ألف درهم ، و أنا باعث بهذه الأموال التى أفاء الله بها إلى أسير المؤمنين إن شاء الله - و السلام .

قال فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة ' مولى بنى سدوس : أصلح الله الأمير ! لا يتقدم هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ، فانك لا تدري ما يكون من الحدثنان من اليوم إلى الغد و لكن احبس هذا الكتاب يكون ١٠ عندك ، و اكتب إلى أمير المؤمنين بالفتح و سلمه أن يأذن لك بالشخص إليه ، تلقاه^٢ و تشافهه بما يريد ، فذلك الرأى ؛ فأبى يزيد ذلك و وجه بالكتاب . فلما قرأ سليمان بن عبد الملك بن مروان ذلك سره سرورا شديدا .

قال : و جعل يزيد يضم الأموال بعضها إلى بعض و يمد^٢ يده ١٥ إلى أموال خراسان حتى أخذ منهم أموالا جليلة ظلما و عدوانا . قال : و كتب قوم من أهل خراسان إلى سليمان بن عبد الملك بأن يزيد ابن المهلب يريد أن يتغلب على خراسان و أنه قد عزم على الخلع و العصيان

(١) من الطبرى ١٢٦/٨ و ابن الأثير ١٧/٥ ، و فى الأصل : أبى فروة .

(٢) فى الأصل : فلقاه . (٣) فى الأصل : عد - كذا .

كما فعل قتيبة بن مسلم ؛ فلما قرأ سليمان بن عبد الملك كتاب أهل خراسان اغتم لذلك و ضاق صدره و تحير في أمره و لم يدر ما يصنع ، ثم استشار خاصته و أهل بيته و وزراءه ؛ فقال له بعض وزرائه : يا أمير المؤمنين ! إن الأموال التي قد صارت إلى يزيد بن المهلب ليست بقليلة ، و من صارت إليه مثل هذه الأموال أمكنه أن يتغلب على البلاد ، و الرأي في ذلك / أن يوجه أمير المؤمنين إلى يزيد بن المهلب برجل من أهل بيته أو بعض إخوته حتى يأخذ ما عنده من الأموال ، فاذا فعل به ذلك يكون قد قص جناحه ، فان رام العصيان لم يقدر على ذلك . قال فقال سليمان ابن عبد الملك : هذا هو الرأي بعينه .

١٦٢ / الف

١٠ ذكر رجوع مسلمة بن عبد الملك إلى دار الإسلام بعد

أربع عشرة سنة

قال : ثم كتب سليمان إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك ، و مسلمة يومئذ بأرض الروم على باب القسطنطينية نازل في مدينة القهر التي قد ذكرناها قبل ذلك^٢ . قال : فكتب إليه سليمان بن عبد الملك كتابا لطيفا يعزيه في أبيه عبد الملك و في أخيه الوليد ، و خيره في كتابه بأمر يزيد بن المهلب ، و أمره في كتابه بالانصراف إلى ما قبله ليوجه به إلى خراسان .

فلما ورد الكتاب على مسلمة لم يجد بدا من الانصراف إلى أرض الشام ، ثم نادى في الناس أن اركبوا فاني قد عزمتم على مناجزة أهل

(١-١) في الأصل : أربعة عشر . (٢) انظر ص ١٩٥ سطر ١٠ من هذا الجزء .

قسطنطينية ، قال : فركب الناس و زحفوا نحوها . قال : و علمت الروم بذلك فخرجوا إلى مسلة في تعبئة لم يخرجوا إليه في مثلها قبل ذلك اليوم ، و دنا القوم بعضهم من بعض فاقتلوا ، فقتل من الفريقين جماعة و ولت الروم الأدبار و السيف يعمل في أقبنتهم^١ حتى دخلوا مدينتهم ، و احتوى المسلمون على ما قدروا عليه من غنائمهم و رجعوا إلى مدينتهم القهر .

فلما كان من الغد إذا بكتاب إليون ملك الروم و قد ورد على مسلة : أما بعد أيها الأمير ! فقد طال هذا الأمر بيننا جدا و لم أظن أن أمرنا يكون هذا ، و الآن فاني قد عزمت على مصالحتك على أنك ترحل عن هذه الجزيرة و ترجع إلى المسيحية^٢ و تقيم بها ، و تؤدى إليك^{١٠} في كل سنة ألف ألف درهم و ألف أوقية من ذهب و خمسة آلاف رأس من البقر و الغنم و ألف رمانة بفحولها سوى ما يتبع ذلك من أنواع البزبون^٣ و الديباج و السقلاطون^٤ و أشباه ذلك ، / و تسلمني و أسلمك إلى أن ترى رأيك في ذلك - و السلام .

(١) في الأصل : أقبنتهم .

(٢) انظر ص ١٩٠ سطر ١٠ من هذا الجزء .

(٣) في الأصل : البربون ، و البزبون - بالضم : السندس - انظر لسان العرب (بز) .

(٤) في الأصل : السقلاطون ، و السقلاطون ضرب من الثياب - انظر اللسان (سقطن) .

قال : فكتب إليه مسلم : أما بعد فقد ورد عليّ كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من الصلح على أنك تعطيني ما سميت و أرحل عنك إلى المسيحية ، غير أني قد آليت يمينا لا كفارة لها أني لا أرحل عن هذه الجزيرة أبدا دون أن أدخل مدينتك هذه ، فاذا دخلتها نظرت بعد ذلك فيما ذكرت ، وإن أنا لم أدخلها صبرت عليك أبدا حتى يفتح الله على يدي ، فإن وصلت إلى ذلك فذاك الذي أريد ، وإن تكن الأخرى و قتل أومت شهيدا مجاهدا كان المصير إلى ثواب الله عز و جل الذي وعده عباده المجاهدين في سبيله - و السلام .

قال : فمضى الرسول بالكتاب ، و نادى مسلمة في الناس فركبوا ، ١٠ فزحف بهم إلى باب قسطنطينية ، و بلغ ذلك إليون ملك الروم ، فأقبل معه أشرف أهل مملكته و بطارقتهم حتى أشرف على المسلمين ، ثم قال : أيها الناس ! أين أميركم مسلمة ؟ فاني أريد كلامه مشافهة ، قال : فدنا مسلمة حتى وقف حذاه ثم قال : أنا مسلمة ! فما الذي تريد ؟ قال : بلغني ما كان من يمينك التي حلفت بها أنك لا تقلع حتى تدخل مدينتي هذه . ١٥ و قد رضيت و رضيت الروم أيضا بذلك على أنك لا تدخلها إلا و حذك ، لا يكون معك ثان و لك الأمان حتى تخرج ؛ قال مسلمة أيضا : رضيت بذلك أن أدخل و حدى على شرط أنك لا تغلق الباب و على أن يقف البطل بن عمرو على باب المدينة في جميع أصحابي ، فإن كان منكم إلى غدرا اقتحم البطل مدينتكم فقتل المقاتلة و سبي النساء و الذرية و أخذ الأموال ؛ ٢٠ قال إليون : قد رضينا بذلك .

(١) في الأصل : غدرا .

قال: ثم أمر إليون بالباب الأعظم ففتح، ثم أمر بصف الخيل
 و الرجال من باب المدينة إلى باب الكنيسة العظمى بالرايات و الأعلام،
 و ترتبت البطارقة بأحسن ما يقدرون عليه من الزينة [و] وقفوا سماطين
 على طريق مسلمة، ثم أذن إليون بالدخول إلى المدينة . فأقبل مسلمة على
 البطل بن عمرو فقال: إني / داخل هذه المدينة و قد علمت أنها دار ٥ ١٦٣ / ١١
 النصرانية و قصبتها و عزاها و ما أريد بدخولي إليها إلا عز الإسلام و إذلال
 الكفر، و لست أدري ما يكون من الحدثان، فانظر إذا صليتم العصر
 و لم أخرج فاقحموا المدينة بخيلكم و رجلكم فاقتلوا و أحرقوا، و الأمير
 من بعدى عمي محمد بن مروان، فاسمعوا له و أطيعوا . قال: ثم كبر مسلمة
 تكبيرة عالية و دخل قسطنطينية وحده و عليه درع و بيضة و من فوق ١٠
 الدرع عمامة بيضاء، و قد تقلد سيفين و في يده رمح و في رأسه عذبة
 بيضاء . قال: و رمقته الروم بأبصارها من كل ناحية متعجبين من شجاعته
 و إقدامه و شدة قلبه . قال: و مسلمة يسير في المدينة فلا ينظر إلى أحد
 حتى صار إلى باب قصر إليون ملك الروم، [فلما نظره إليون] وثب قائما
 و قد كان قاعدا على باب قصره، فقام إلى مسلمة فقبل يده، ثم سار معه ١٥
 راجلا حتى صار مسلمة إلى باب الكنيسة ثم دخل الكنيسة راكبا، و اشتد
 ذلك على الروم و جزعوا لذلك جزعا شديدا و هموا بمسلة، فمنعهم من
 ذلك إليون . قال: و نظر مسلمة إلى صليهم الأعظم، و الصليب من
 الذهب المرصع بالجواهر، و قد نصب على كرسي من ذهب . قال:

(١) في الأصل: النصرانية .

فدنا مسلة من الصليب فاحتمله عن الكرسي ووضعه بين يديه ، فقال له إيون : أيها الأمير إن الروم لا ترضى بهذا و أخاف عليك منهم الشغب ، فرد الصليب إلى موضعه و لك قيمته قال : فحلف مسلة أن لا يخرج إلا و الصليب معه ؛ قال : وضجت الروم لذلك ، فقال لهم إيون : كفوا إياكم الرجل ، ذروه يأخذه و لكم على مثله ، فاني أخاف عليكم البطال بن عمرو أن يقتحم عليكم فيقتل رجالكم و يسبي نساءكم و ذريبتكم و أموالكم و يحرق مدينتكم ، قال : فسكت القوم ، و خرج مسلة من الكنيسة و الصليب معه و إيون ملك الروم يسايره ، حتى إذا توسط مسلة المدينة رفع الصليب منكسا على رأس رمح و القوم سكوت ١٠ ما فيهم أحد ينطق بشيء خوفا من البطال بن عمرو أن يهجم عليهم فيمن معه / من المسلمين . قال : و خرج مسلة من المدينة في وقت العصر و الصليب على رأس رمح و قدم البطال بن عمرو و أصحابه أن يقتحموا المدينة في ذلك الوقت ، فلما نظروا إلى مسلة كبروا بأجمعهم تكبيرة واحدة . قال : و سار مسلة حتى دخل مدينة القهر .

١٥ فلما كان من الغد كتب مسلة إلى إيون ملك الروم : أما بعد ، فان الله قد أظفرني بك و أعلنى عليك ، و جعل جدك الأسفل ، فله الحمد على إعزاز أوليائه و إذلال أعدائه ، و قد عزمت على الرحيل عن بلدك إلى بلاد الشام ، فابعث إلى ما صالحتني عليه فاني راحل عن قريب إن شاء الله . قال : فكتب إليه إيون : للأمير مسلة بن عبد الملك من ٢٠ إيون ملك الروم ، أما بعد ، فقد بعثت إليك عشرين ألف ألف درهم

وخمسة آلاف رأس من البقر والغنم وخمسة آلاف أوقية من الذهب
و ألف رمكة بفحوظها ، وبتاج من الذهب مرصع بالجواهر لك خاصة
دون أصحابك ، وأنا أسألك أيها الأمير أن تفي بما ضمننت وترحل عن
هذه الجزيرة وتقيم حيث شئت من أرض الروم - والسلام . قال :
فلما أتاه الكتاب وورد عليه تلك الأموال و ذلك التاج ، عمد مسلمة ه
إلى ذلك التاج فباعه في العسكر و ضمه إلى تلك الأموال ، وأخرج من
ذلك كله الخمس ، وقسم باقى ذلك فى المسلمين .

ثم أمر مناديه ، فنادى فى الناس فجمعهم و خطبهم ، فحمد الله و أثنى
عليه ثم قال : أيها الناس ! أعلمكم أنى فى غمرات و غموم منذ بضع
عشرة سنة ، و لم أخبركم بشىء من ذلك مخافة أن تفشلوا عن قتال عدوكم ١٠
و لعله قد بلغكم بعض ذلك ، أعلمكم أنى لما عبرت هذه الجزيرة و أمرتكم
ببناء هذه المدينة ورد على الخبر بموت أمير المؤمنين عبد الملك بن
مروان ، فكتمتكم ذلك مخافة العدو ، ثم ولى الناس بأخى الوليد بن
عبد الملك ، فأقام فى ملكه تسع سنين و ثمانية أشهر و أياما ، فكان
يكتب إلى و أكتب إليه ، و لعله قد بلغكم و قد توفى الوليد و قام ١٥
بالامر من بعده أخى سليمان بن عبد الملك منذ ثلاثة و عشرين شهرا ،
/ و هذا كتابه يأمرنى بالقدوم عليه لأمر قد دهمه من بلاد خراسان

١٦٤ / الف

(١) و قد سبق فى ص ٢٩٩ « نؤدى إليك فى كل سنة ألف ألف درهم و ألف
أوقية من ذهب و خمسة آلاف رأس من البقر و الغنم و ألف رمكة بفحوظها
سوى ما يتبع ذلك من أنواع البزبون و الديباج و السقلاطون و أشباه ذلك » .
(٢) فى الأصل : عشر . (٣) فى الأصل : ثلاث .

من قبل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، و أنا راحل إلى ما قبله إن شاء الله
 و لا قوة إلا بالله، فأحبيت^١ إعلامكم بذلك . قال: فبكى الناس ثم قالوا:
 هلم أيها الأمير حتى نبايعك، فأنت أحق بهذا الأمر؛ فقال مسلمة:
 مهلا عافاكم الله! فاني رجل قد بلغ الناس عنى ما قد فعلت بأرض العدو
 طول هذه المدة، و لا أحب أن أشق العصا و أخرج على رجل قد بايعه
 الناس طائعين غير مكرهين، و أنا قد بايعت أخى سليمان فبايعوه رحمكم الله!
 قال: فبايع الناس سليمان بن عبد الملك .

و نادى مسلمة فى الناس بالرحيل، فرحلوا إلى بلاد الشام، ثم قدمت
 المراكب لعبور خليج البحر، ثم كتب إلى إليون ملك الروم:
 من مسلمة بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى إليون صاحب الروم، أما بعد
 فاني قد أحببت أن أحسن إليك لاني رأيتك محبا للعاقبة و أنا راحل
 عنك، و قد تركت عندك مسجدى الأعظم و هو وديعتى فتنظر لا تقلعن
 منه حجرا،^٢ و لا تنقصن من^٣ سقفه خشبة، و لا تكسرن منه عودا
 واحدا فما سواه، و إياك أن تعبر هذا الخليج فى طلي أو تطلب أثرى
 إذا أنا عبرت من جزيرتك هذه، فانك أن تعديت ما أمرتك به
 رجعت إليك ثم لا أقلع عنك أبدا أو يهلكك^٤ الله على بدى، فاقبل من
 ذلك ما شئت أو دع - و السلام على عباد الله الصالحين . قال: فكتب
 إليه إليون: للأمر مسلمة بن عبد الملك من عبده إليون صاحب الروم،

(١) فى الأصل: فاحبيتم . (٢-٢) فى الأصل: و لا تنقض منه .

(٣) فى الأصل: يهلك .

أما بعد ، فقد فهمت كتابك و جميع ما ذكرت ، و أنا لك أيها الأمير على
السمع و الطاعة ، لا أخرج عن الطاعة و لا أتعدى عن أمرك ، و أما
مسجدك أيها الأمير فاني أحلف لك بالنصرانية و الإنجيل و المعمودية أني
أمر بسد بابه ، فلا يقلع منه حجر و لا يكسر منه عود و لا يدخله أحد من
الروم أبدا ما دمت حيا ، و قد وجهت لك أيها الأمير بمائة رمكة يتبعها مائة
قلو و خمسمائة ثوب 'بزيون و سقلاطون' هدية مني لك خاصة دون أصحابك -
و السلام . قال : فلما ورد الكتاب على مسلمة بن عبد الملك و الهدايا / عمد
إليها فوزعها في المسلمين و لم يفضل نفسه عليهم بقليل و لا كثير .

١٦٤ / ب

ثم دعا البطال بن عمرو فقال له : مر الناس بالعبور ، قال : فنأدى
البطال بن عمرو في الناس بالرحيل ، فرحل الناس و قعدوا في المراكب ،
و ساروا في خليج البحر ، و تخلف مسلمة في ثلاثمائة فارس من نجباء
عسكره حتى إذا علم أن المراكب في لجج البحر أقبل إلى باب المدينة ،
ثم وقف عليه و أرسل إلى إيون ملك الروم فدعاه ، فأقبل إيون مسرعا
إلى مسلمة ، فلما نظر إليه نزل عن دابته ثم دنا فقبل يده فقال : أيها الأمير !
أذن لي في تشييعك ، فأبى عليه مسلمة و أمره بالرجوع ، فرجع إيون إلى
مدينته ، و مضى مسلمة في هؤلاء الثلاثمائة حتى صار إلى الخليج ، فركب
في مركب أعد له ، فعب و عبر من كان معه حتى لحق بأصحابه . قال :
و أقام مسلمة على شاطئ الخليج ستة أيام ، ثم رحل و رحل الناس عنها .
قال : و أمر إيون بخراب مدينة القهر فخربت عن آخرها إلا مسجدها

(١-١) في الأصل : بزيون و سقلاطون .

فانه لم يمس .

قال : وسار مسلمة في المسلمين حتى صار إلى المسيحية ، فلما نزلها وقع الوباء في المسلمين ، فمات منهم خلق كثير من الرجال و النساء و الصبيان . قال : وهم أهل المسيحية بالوثوب على المسلمين لما رأوا من ضعفهم ، قال : وبلغ ذلك مسلمة فنادى في أصحابه أن ضعوا فيهم السيف ، فقتل جماعة من أهل المسيحية ثم أمر بخرابها ، فخربت عن آخرها و وضع سورها بالأرض . قال : ثم سار مسلمة إلى ' النقفورية فنزلها و أدركه الشتاء ، فأقام بها ستة أشهر .

و توفي سليمان بن عبد الملك ، و كان ملكه ستين و ثمانية^٢ أشهر ، ١٠ و توفي بموضع يقال له مرج دابق في يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من المحرم سنة تسع و تسعين^٣ ، و هو يومئذ ابن خمس و أربعين سنة^٤ ، و صار الأمر إلى عمر بن العزيز .

['خلافة عمر بن عبد العزيز - ']

قال : و كان يزيد بن المهلب يومئذ مقبلاً بمرجان ، فلما بلغه موت

(١) انظر ص ١٨٨ من هذا الجزء .

(٢) من الطبري ٨ / ١٢٦ و ابن الأثير ٥ / ١٧ ، و في الأصل : ثلاثة - خطأ لأنه ولي الخلافة في جمادى الآخرة سنة ٥٩٦ .

(٣) في الأصل : سبع و تسعين - خطأ ؛ انظر الطبري ٨ / ١٢٦ و ١٢٧ .

(٤) في مروج الذهب ٢ / ١٦٧ : و هو ابن تسع و ثلاثين سنة .

(٥) من هامش الأصل .

سليمان كأنه اغتم لذلك و جعل يقول لمن حضره من أصحابه : إن معاوية بن أبي سفيان إنما كان له ولد واحد فملك الخلافة هو و ابنه بضعا و عشرين / سنة ، و سليمان بن عبد الملك له سبع سنين ، فمضى يخرج هذا الملك منهم ا لا يخرج إلى يوم القيامة ا و لتبايعن الأبطال من ولد سليمان . قال : و ظن يزيد بن المهلب أنه سيملك الخلافة من بعد سليمان ه ابنه أيوب ، قال : و إنه لكذلك إذ بلغه أن أيوب بن سليمان قد مات ؛ فعجب لذلك ثم نادى في أصحابه بالرحيل إلى نيسابور ، فسار بين يديه راجزا له و هو يقول :

إن كان^١ أيوب مضى أشانه فان داود^٢ أنى مكانه

يقيم ما قد زال من سلطانه كذا يكون الملك في أوانه^٣ ١٠

قال : ثم أقبل يزيد بن المهلب إلى نيسابور فنزلها ، و كتب إلى عماله فقدموا عليه من أطراف خراسان ، و قدم عليه أخوه مدرك بن المهلب من بلخ و معه هدايا كثيرة ، و قدم ابنه مخلد بن يزيد من طخارستان ؛ و معه مائة دابة من دواب طخارستان . قال : و اتصل به الخبر أن الأمر قد صار إلى عمر ابن عبد العزيز ، فجلس بنيسابور متمسكا بما في يديه . ١٥

قال : و مسلمة بن عبد الملك يومئذ مقيم بالنقفورية من بلاد الروم ، فلم يشعر إلا و كتاب عمر بن عبد العزيز قد ورد عليه : بسم الله الرحمن الرحيم ،

(١) في الطبرى ٨ / ١٢٦ : يك . (٢) من الطبرى ، و في الأصل : كفى .

(٣) ليس المصراع في الطبرى .

(٤) في الأصل : بخارستان ، و التصحيح من معجم البلدان .

من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى مسلمة بن عبد الملك ، أما بعد ! فأعظم
الله لك الاجر في أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وبارك له فيما
صار إليه ! فان أهل الشام قد بايعوني طائعين غير مكرهين على أني أعدل
في الرعية وأقسم النية بالسوية ، وأنا أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ،
ه فاذا ورد عليك كتابي هذا فاسمع وأطع^(١) توفق وترشد ، وعجل بالقدوم
عليّ ، وإياك والخلاف والشقاق ففسد ما أصلحت وتنقض ما أبرمت !
و ادخل في الطاعة وكن مع الجماعة ، واقدم إلى جميع ما معك من
المسلمين - والسلام عليك ورحمة [الله] وبركاته .

قال : فلما ورد كتاب عمر بن عبد العزيز على مسلمة بن عبد الملك

١٠ دعا بوجوه أصحابه ثم استشارهم في المسير إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا :

أيها الأمير ! نشير عليك بأن لا تخالف ، وأن تكون مع الجماعة ، فانك

بحمد الله / بمن يحتاج إليه ويرغب فيما عنده لما قد أعطاك الله من العلم

١٦٥ / ب

والحلم والأشدة والشجاعة والنجدة والشرف في أهل بيتك ونكايتك^(٢)

في العدو ، ولا تفسدن هذه الخصال بالخلاف والشقاق ، فيكون آخر

١٥ أمرك إلى الدمار والشنآن والتبار؛ فقال مسلمة : لعمرى لقد أحسنتم

المشورة ، وقد ولي هذا الرجل وهو أهل لما هو به لدينه وورعه وزهده

وعبادته ونسكه وشرفه في قومه ، وأنا سأثر إليه إن شاء الله ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم .

(١) في الأصل : اطيع - كذا .

(٢) في الأصل : نكايتك .

قال : فعندها نادى مسلمة في الناس و سار حتى صار إلى عمورية ، فاقام بها أياما حتى عزل عماله عن جميع بلاد الروم . ثم سار من عمورية يقطع البلاد حتى صار إلى طرطوس . ثم رحل عنها إلى دمشق في ثلاثين ألفا من الناس ، و قد كان دخل إلى بلاد الروم في ثمانين ألفا . قال : و لم يدخل دمشق إلا بأمر عمر بن عبد العزيز ، فأقبل بجيشه حتى وقف هباب عمر بن عبد العزيز ثم استأذن ، فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ؛ فلما كان من الغد ركب إليه في عشرة آلاف فارس ، فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ؛ ثم ركب إليه من الغد فلم يأذن له ؛ فركب إليه من الغد وحده و خلفه غلام له فاستأذن [فأذن] له ، فلما دخل عليه و سلم فرد عليه عمر السلام و أذن له بالجلوس فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أحب أن تخبرني ما ذنبي ، إن كنت أذنبت ذنبا فقد أذنب غيري ، و إن كنت أخطأت فالخطأ يكون من بني آدم ، و الكمال لا يكون إلا لله عز و جل . فقال له عمر بن عبد العزيز : يا مسلمة ! إنك ضربت بالناس برا و بحرا ، و سهلا و جبلا ، و قتلت الناس و بلغت موضعا لم تؤمر به ، و أردت أن يقال : غزا مسلمة و فعل مسلمة و فتح مسلمة و أغار مسلمة ا فطلبت بذلك الاسم ١٥ و الذكر ، فالويل لمن عمل في هذه الدنيا رياء للناس ! و قد قيل إنك فعلت و صنعت ؛ فان كنت فعلت ما فعلته الله تبارك و تعالى لا تريد به الحمد و الذكر من الناس فطوباك ! و إن فعلت ما فعلت رياء للناس فقد صار عملك هباء منثورا ؛ / و بعد فغفر الله لنا و لك أبا سعيد و تجاوز عنا و عنك ! فانه متجاوز كريم . ثم قال : حدثني عن القسطنطينية و عن ٢٠

(١) في الأصل : عز .

بنيانها ، فقال مسلمة : نعم يا أمير المؤمنين ! أما بناؤها فقد كنت أراه بالحجارة و الجص خلا كنيستها العظمى و قصر ملكها إليون ، فانها جميعا من الرخام الأبيض ، و أما سورها فلها سبعة أسوار مختلفات الأبواب ، و مع ذلك فانها أكثر بلاد الله خيرا ، و ليس لها من خيلج البحر إلا طريق واحد - فهذه صفتها يا أمير المؤمنين ا قال : ثم قام مسلمة و انصرف إلى منزله ، و دعا عمر بن عبد العزيز برجل يقال له سراقه بن عبد الرحمن التميمي فعقد له عقدا و ولاه الثغر ، و أمره أن لا يجاوز طرطوس إلى غيرها .

قال : و جعل مسلمة يغدو في كل يوم إلى عمر بن عبد العزيز مسلما عليه و ينصرف إلى منزله . قال : و بلغ عمر أن مسلمة كل يوم يمضي ١٠ ينفق على مائدته ألف درهم ، فأرسل إليه عمر و سأله أن يتغدى عنده ، فأجاب مسلمة إلى ذلك . قال : فأمر عمر طباخه بأطعمة كثيرة و باتخاذ العدس و البصل و الزيت - و هذا كان أكثر طعامه ، ثم إنه أوصى طباخه فقال : إذا جاء مسلمة و قدمت المائدة فابدأ بالعدس ، ثم قدم ما بدا لك ! قال : و حضر مسلمة بن عبد الملك من غد للطعام ، فلم يزل عمر يتحدث ١٥ و يسأله أخبار الروم حتى انتصف النهار ، و جاع مسلمة جوعا شديدا ، فقال عمر لطباخه : قدم المائدة فقد جاع أبو سعيد جوعا شديدا ! فقدم المائدة ، و ابتدأ بالعدس و البصل و الزيت كما أمره عمر . قال : فأكل مسلمة من ذلك العدس حتى شبع ؛ ثم قدمت الألوان بعد ذلك

(١) وفع في الأصل : فقال عمر لطباخه قدم - كذا ، و الصواب ما أثبتناه .

فلم يأكل مسلة منها شيئاً ، فقال له عمر : كل أبا سعيد ! ما بالك قد رفعت يدك ؟ فقال : قد شبعت يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : يا سبحان الله ! فأنت تشبع من عدس ، لعله إنما يقوم علينا بدرهم واحد ، و ينفق على مائدتك كل يوم ألف درهم ، اتق الله أبا سعيد و لا تكن من المسرفين ، و اجعل نفقة مائدتك في بطون جائعة ، فانه أقرب لك إلى / الله عز و جل ، فقال ٥ / ١٦٦ ب مسلة : أفعل ذلك يا أمير المؤمنين و لا أعصى لك أمراً ؛ و انصرف مسلة إلى منزله .

ذكر كتاب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن المهلب

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى يزيد بن المهلب ، أما بعد يا يزيد فان سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله أنعم عليه ثم قبضه إليه ، و قد كان استخلفني و استخلف أخاه يزيد من بعدى ، و إن الذي ولاني الله تبارك و تعالى من ذلك و قلدي ليس بهين عليّ^١ ، و لو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج و اعتقاد أموال كان الله تبارك و تعالى قد أعطانى من ذلك و بلغ بى أفضل ما بلغه بأحد من خلقه ، و إنى لخائف فيما ابتليت به من أمر هذه الأمة ١٥ حساباً شديداً و سؤالاً حفيماً ، و قد بايعنى الناس أجمعون^٢ ، فبايع رحمتك الله و مر من قبلك بالبيعة - و السلام - قال فقرأ يزيد بن المهلب كتاب عمر ابن عبد العزيز ثم ألقاه إلى بعض إخوانه فقرأه^٣ .

(١-١) فى الطبرى ٨ / ١٣٨ : و قدر لى ليس علىّ بهين .

(٢) فى الأصل : اجمعين .

(٣) فى الطبرى : « ألقاه إلى أبى عينته . فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : و لم ؟

قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته و ليس يريد أن يسلك مسلكهم » .

ثم دعا بانه مغلد فاستخلفه على خراسان و خرج يزيد بن المهلب يريد العراق و معه و جوه خراسان . و خرج حتى صار إلى الرى [و] و جه بجميع ما كان معه من الأموال إلى البصرة . ثم خرج من بعد ذلك يريد البصرة و إذا عدى بن أرتاة الفزاري قد أقبل في طلب يزيد بن المهلب ، حتى إذا صار إلى العراق فنزل بواسط دعا برجل يقال له موسى بن الوجيه الحميرى ، فوجه به في طلب يزيد إلى البصرة و كتب إليه : أما بعد يا يزيد فان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد ولانى العراقين جميعا البصرة و الكوفة . و ما والاها من البلاد ، فان كنت فى السمع و الطاعة فأقبل إلى راجعا - و السلام . قال : فأخذ موسى بن الوجيه الكتاب ثم أقبل و قعد فى طيار ، و سار فى الدجلة سيرا حثيثا حتى لحق يزيد بن المهلب بموضع يقال له نهر معقل ' قبل أن يدخل البصرة فدفع إليه الكتاب ؛ فلما قرأ يزيد الكتاب كتاب عدى بن أرتاة قال : سمع و طاعة لأمير المؤمنين و عامله . ثم رجع مع موسى ابن الوجيه إلى / واسط .

١٥ فلما دخل يزيد بن المهلب على عدى بن أرتاة سلم عليه و مناه بولاية العراق ، فرد عليه عدى بن أرتاة السلام و أمره بالجلوس ، فقال له عدى : أبا خالد ! إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أمرنى أن أقبض منك الأموال التى جبيتها من بلاد خراسان و جرجان و طبرستان ؛

(١) منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزنى ، وهو نهر معروف بالبصرة فيه عند فم نهر الإجابة - انظر معجم البلدان ٨ / ٣٤٥ .

فقال يزيد: أيها الأمير! إنه كان ذلك، غير أني فرقت في أجناد خراسان و قويتهم به في جهاد عدوهم و لم أدخر من تلك الأموال شيئا، قال فقال له عدى بن أرطاة: دع هذا يا ابن المهلب و أخرج من هذه الأموال، و إلا حملتك إلى أمير المؤمنين فيرى فيك برأيه؛ قال فقال له يزيد: أيها الأمير! إذا شئت ذلك فافعل، فاني ما أكره المسير إلى أمير المؤمنين. ٥

قال: فأمر به عدى بن أرطاة فحبس عنده بواسطة لكي يحمله إلى عمر بن عبد العزيز. قال: و قدم وجوه أهل خراسان و ساداتهم يتظلمون من يزيد بن المهلب حتى صاروا إلى واسط و دخلوا على عدى بن أرطاة.

ذكر القوم المتظلمين من يزيد بن المهلب و ما كان من

كلامهم بين يدي عدى بن أرطاة و ما كان من رده عليهم ١٠

بجواب 'لم يسمع بمثله

قال: فأول من تقدم و كيع بن أبي سود التميمي فقال: السلام عليك أيها الأمير و رحمة الله و بركاته! قدمت أيها الأمير خير مقدم للفضل و المغنم و جزيل القسم و فوائد النعم، فأنت أيها الأمير من كان إليه هوانا و غايتنا و رغبتنا و منتهاننا، فالحمد لله الذي أرانا هذا اليوم و أراحنا ١٥ من إمارة هؤلاء القوم، فاذا جاء الحق زهق الباطل، و جاءنا الله بالأمير الفاضل. أيها الأمير أصلحك الله! أعذنا من هذا العمانى يزيد بن المهلب، الذي انتهك المحارم و استحل العظام، يأخذ هذه الأموال من غير حلها،

(١) في الأصل: جواب.

و يضعها في غير موضعها وحقها - والسلام .

قال : ثم تقدم هريم بن أبي طحمة^١ التيمي فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أيها الأمير ! أتم الله عليك النعمة ، وهناك الكرامة ، وختم لك بالسعادة والسلامة والنجاة من أهوال يوم القيامة ، فان الأمير أسعده / الله أبعد العرب همة ، وأوقاها ذمة ، إن حكم عدل ، وإن قال فعل ، ولي حقوق يجب على الأمير حفظها ، وقد كانت من يزيد بن المهلب إلينا سيرة استحل بها حرمانا واستطال بها علينا ، فأنصفنا منه أيها الأمير وأعدنا عليه ، وإلا ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - والسلام .

١٠ ثم تقدم عمر بن يزيد فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ! أسأل الله للأمر آتم النعماء وأحسن البلاء . وأفضل العطاء ، فان الأمير أيده الله تعالى غياث المظلوم و فراج الهموم ، وقد فرغنا إليه في أمور ملية مقطعة مهمة آتاها إلينا يزيد بن المهلب^٢ واجتر بها^٣ لدينا ، لم يفعل ذلك بعز عشيرته ولا بشرف إمرته ، ولكن بقسوة قلبه وجرأته

١٥ على ربه ، وبسلطان أمير المؤمنين الماضي سليمان بن عبد الملك ، فأنصفنا منه أيها الأمير وأعدنا عليه ، وإلا ركبت فيه إلى أمير المؤمنين عمر .

قال : ثم تقدم محمد بن مسلم الباهلي ، فلما سلم هم أن يتكلم ، فقال له عدى بن أرطاة : يا هذا اربع قليلا فانكم قد تكلمتم فأكثرتم ، فان شتم

(١) في الأصل : أبي طحمة - خطأ .

(٢-٣) في الأصل : و اجتر بها - كذا بلا نقط .

جمعت بينكم و بين صاحبكم حتى تسمعوا منه ، فان أحببتم أن يكون ذلك في خلوة ، و إن أحببتم أن يكون ذلك علانية على رؤس الأشهاد . قال : فأرسل عدى بن أرطاة إلى يزيد بن المهلب فدعا به من محبسه ، فلما دخل وسلم أمره عدى بن أرطاة بالجلوس فجلس ، ثم أقبل على القوم فقال : هذا صاحبكم الذى ذكرتموه و طلبتموه ، فكلموه الآن بما تريدون .

و هذا كلامهم ليزيد بن المهلب على رؤس الأشهاد

قال : فتكلم و كيع بن أبى سود فقال : الحمد لله الذى أذكى ، و أوهن أمرك ، و صغر قدرك ، و قصر يدك ، فنطقت فيك غير مقمع و لا مبكت ، فالآن توعد ما استسهلت و تجازى بما استحللت ، و تكافأ بما فعلت ، فانما فتحت خراسان فتح الخونة و قد كانت قبل ذلك مكنونة ، ثم تشكو نهای إليك ، و لأحسن بلائى لديك ، فاردد على يا عدو نفسه ما لم تكسبه أنت و لا آباؤك / من قبلك ! و إلا ركب فيك إلى أمير المؤمنين عمر - و السلام .

قال : ثم تكلم هريم بن أبى طحمة فقال : يا ابن المهلب ! الآن حملت على ذنبك و قلة خوفك من ربك إذا زالت عنك إمارتك ، و أوبقك جريرتك ، و ودعك سلطانك ، و خذلك أعوانك ، و أخذت بذنوبك ، و رميت بعيوبك يا ابن الرحمة شره حرة و أمة ، فاردد الآن ما أخذت من أموالنا بغير حقها ، و إلا ركب فيك إلى أمير المؤمنين

(١) في الأصل : أبى طاحنة .

عمر . ثم تكلم عمر بن يزيد فقال : يا ابن المهلب ! أخذت أموالنا
 و انتهكت محارمنا . و قد أقام الله عزوجل إماما عادلا ، لا تأخذه في الله
 لومة لائم ، و الله يا عدو نفسه أن لو لا حق الله تبارك و تعالى و سلطان
 أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك لما كنت أنت و قومك بالذين يغلبوننا
 ٥ و لا ينثروننا ، فان كنت ابتلعتهما حلوا فانك ستقيوها بريش علق و علقم ،
 ثم تنص بها غصص الشيخ الأدردي مع ركوبى فيك إلى أمير المؤمنين عمر .
 قال : ثم تكلم محمد بن مسلم الباهلى قال : يا ابن المهلب أنا الذى لم آل
 لك عملا قط و لم تطلبنى بنيل كان منى إليك و لا دخل ، فكيف بك
 إذا حثوث^١ راكبا فأحمل السيف على عداوتك فأسقيك بما سقيت
 ١٠ و أجزيك بما أسديت لا أنام إذا هجعت ، و لا أراعيك إذا خضعت مع
 ركوبى فيك إلى أمير المؤمنين عمر .

قال : و كان هؤلاء الأربعة يتكلمون و الناس يستمعون و يزيد بن
 المهلب مطرق إلى الأرض لا يتكلم بشيء حتى فرغ القوم من كلامهم ،
 أقبل عليه عدى بن أرطاة فقال له : إنه قد تكلم خصماؤك فما الذى تقول
 ١٥ يا يزيد ؟

ذكر جواب يزيد لهؤلاء القوم

قال : فقال يزيد : الحمد لله على سراء أمره و ضرائه ، و ما قدم
 إلينا من كثير نعمائه ، الذى كان من سرور فمه ، و ما كان من غير ذلك

(١) في الأصل : حثوث - كذا .

فمن آلائه و حسن بلائه ، فأما ما وصفتم من عدل الأمير أيده الله فهو
 المحمود فهمه ، العظيم حلمه ، ثم إن أمور العباد بيد الله فمسيء و مذنب
 و معاقب و معطب ، فأما أنت يا وكيع بن أبي سود / فانك وكيل
 باطل ، لست في أمرك بشيء من طائل ، إن دعيت لغى كنت له منقادا ،
 و إن دعيت إلى خير ازددت منه بعادا ، شيخ أروه معتوه أبه ، إن ه
 قدموك قدمتهم ، و إن أخروك تبعتهم ، صدك عن المجد أصلك ، و أمال
 بك عن الحق جهلك ، ثم على ثكلتك أمك بعد العدم ! إن فتحت
 خراسان فتح الخونة ، و كانت قبل فتحى لها مكنونة ، إنه لو علم أهل
 خراسان أن رجلا هو أشهى و أهنى منك رأيا لقلدوه أمورهم ، و لكنك
 أنت بمنزلة الحاضنة على بيض أخرى ، فاللؤنة عليها و الفراخ لغيرها ، و أما
 أنت يا هريم بن [أبي] طحمة ، الذاكر للرحمة ! اللامة اللخناء ، الموصوفة
 بالشنعاء ، المعروفة بالسوءاء ، المصروفة عن سريرات النساء ، جاءت بك
 مشبها في العشيرة ، و كانت بأبيك خبيرة ، مع أن لله على نذرا واجبا
 لئن أظفرتني الله بك فيما يكون من الجديدين ، لا قطعن منك أعز الوصلتين ،
 ثم لا يبينها إبانة الشعري من الفرقدين ، إلا أن تراجع ، و لما أرى أن ذلك
 لك شافع ؛ و أما أنت يا عمر بن يزيد ! فوالله إنك لفي ضحضاح من اللوم
 أقيح ، و مركز من الذل أقيح ، و حشاش في موضع من القبائل و ما
 أراك منها قان' الحامل ، و أيم الله ما أظن أنك قمت هذا المقام ، مجترنا
 على هذا الكلام ، حتى مزجت خمرة ذات سورة فملأت منها بطنك ، و أفضت
 على سبالك ، و طفطفت على شواربك ، ثم دعيتك نفسك إلى ما يقصر ٢٠

(١) في الأصل : فان - كذا .

عنه باعك، و يقل دونه متاعك؛ و أما أنت يا باهلة ا فوالله لانت المسند
 و محتدك، و المقهور في بلدك، المخالف في قولك، الضعيف في فعلك،
 و أيم الله إن لو كنت نائرا من أحد لاستثارت من هذا القاعد إلى جنبك
 و كيع بن أبي سود المتقرب إلى بقتل أخيك قتيبة بن مسلم و أصحابه،
 ٥ و إنما تهددكم إياي بأمر المؤمنين عمر بن عبد العزيز أعزه الله و أيدته فمن
 طلب شيئا فلا يركب . قال : ثم وثب يزيد بن المهلب فنفض ثوبه في
 وجوه القوم و خرج ، فالتفت عدى بن أرطاة فقال : / كيف رأيتم مصادر
 الكلام ، و الله لقد أغممكم حتى رأيتم وجوهكم قد ارتدت ا و ما رأيتم
 أحدا منكم يقدر على إجابته . قال : ثم أقبل عدى بن أرطاة على أهل
 ١٠ مجلسه فقال : هذا و الله رجل أهل العراق و عميدها ، فله دره و درأيه ا

ذكر قدوم يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز

قال : ثم أمر عدى بن أرطاة بيزيد بن المهلب فقيده و حمل إلى عمر
 ابن عبد العزيز ، فلما دخل عليه و سلم أمره بالجلوس فجلس ، و سأله عمر
 عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال يزيد : نعم
 ١٥ يا أمير المؤمنين إني قد كنت من سليمان بالمكان الذي قد علمت ، فكتبت
 إليه بذلك الكتاب ليسمع به الناس ، و قد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني
 بما كتبت به إليه ، و لا كنت أخاف أن يأتيني من قبله أمر أكرهه . قال
 فقال له عمر بن عبد العزيز : يا ابن المهلب ادع عنك هذا ، فاني ما أجد
 بدا من أخذك بتلك الأموال حتى تؤديها و إلا حبستك بها ، فاتق الله
 (١) في الأصل : لاستثرت - كذا .

يا ابن المهلب وادّما قبلك ففها حقوق المسلمين و لن يسعنى تركها عليك .
قال : فأبى يزيد بن المهلب بأن يقر له بشيء ، فأمر به عمر فزيد فى حديده ،
و أمر بحبسه .

ذكر قدوم مخلد بن يزيد بن المهلب على عمر بن عبد العزيز
من خراسان

قال : و قدم مخلد بن يزيد بن المهلب من خراسان إلى عمر بن
عبد العزيز ، فلما دخل سلم عليه بالخلافة و وقف بين يديه ، ثم قال :
يا أمير المؤمنين ! إن الله تبارك و تعالى قد صنع لهذه الأمة بولايتك
عليها ، و ليس يجب أن تكون أشقى الناس بها ، فلما ذا تحبس والدى
و لا ذنب له ؟ قال : أحبسه بالمال الذى احتازه من خراسان ، و كتب به إلى
سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال فقال مخلد : يا أمير المؤمنين ! فصالحنى
عنه بما أحببت ، فقال عمر : لست أصالحك على شيء أبدا ، و لا يخرج
من محبسى أو يؤدى ما عليه ! فقال مخلد : يا أمير المؤمنين ! إن كان هاهنا
بينه يشهدون عليه بهذا المال نخذه به ، و إن لم تكن / بينه فصدق مقالته
و استحلفه ، فقال عمر : لا أحلفه و لا يخرج من محبسى أو يؤدى ما عليه !
قال : فسكت مخلد بن يزيد و خرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فالتفت
عمر إلى جلسائه فقال : هذا عندى خير من أبيه .

ثم إن مخلد بن يزيد اعتل علة شديدة ، فمكث فيها أياما عتيلا ،
ثم مات بعد ذلك . و بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى يزيد بن

المهلب أن اخرج من محبسك وافرغ من أمر ابنك ، فاذا دفته فارجع إلى محبسك . قال : فأرسل إليه يزيد إن رأيت أن تصلي عليه أنت يا أمير المؤمنين ، فاني لا أخرج من هذا الحبس إلا و أنت راض عني . قال : فصار عمر بن عبد العزيز إلى مخلد بن يزيد و قد فرغ من جهازه و حمل على أعواد المنايا ، فصلى عليه . فلما دفن التفت عمر إلى من كان معه فقال : لقد مات اليوم فتى من سادات الأزد .

ذكر ولاية خراسان و أرمينية

قال : و بقيت خراسان بلا أمير ، فدعا عمر بالجراح بن عبد الله الحكيم فعقد له عقدا و ولاه بلاد خراسان ، قال : فسار الجراح بن عبد الله حتى صار إلى خراسان و نزل مدينة مرو . ثم دعا عمر أيضا برجل يقال له عبد العزيز بن حاتم فعقد له عقدا و ولاه بلاد أرمينية ، قال : فسار عبد العزيز بن حاتم يريد أرمينية ، و بلغ عمر بن عبد العزيز عنه أمر من الأمور ، فأرسل إليه فعزله ، و ولى مكانه عدى بن عدى الكندي ، [فسار عدى] إلى بلاد أرمينية حتى نزل البيلقان ، و كان يصيب أهلها العطش ، فحفر لهم عدى نهرا و أجرى فيه الماء ، فذلك النهر إلى يومنا هذا لا يعرف إلا بنهر عدى . قال : فأقام عدى بن عدى على عمله بأرمينية بضعة عشر شهرا ، ثم عزله عمر و ولى مكانه الحارث بن عمر الطائي . قال : فأقبل الحارث بن عمر إلى بلاد أرمينية حتى نزل بردعة ، فأقام بها شهرا ؛

(١) كذا ، و في معجم البلدان ٣٤٢/٨ : « نهر عدى بن أرطاة بالبصرة » و لم نجد نهر عدى بن عدى في أرمينية .

و مرض عمر بن عبد العزيز مرضته التي مات فيها ، و يزيد بن المهلب في السجن ، فلما علم أن عمر بن عبد العزيز / قد مرض جعل يحتال في الهرب من السجن مخافة من يزيد بن عبد الملك ، لأن يزيد بن المهلب علم أنه إذا مات عمر بن عبد العزيز فلن يلي الخلافة إلا يزيد بن عبد الملك . قال : وإنما كان خوف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك لأمر كان بينه و بينه قديما - و السلام .

خبر يزيد بن المهلب و يزيد بن عبد الملك

قال : و قد كان يزيد بن المهلب في أيام سليمان بن عبد الملك دخل ذات يوم إلى الحمام ، و خرج و عليه حلة له يمانية ، و في رجله نعل له يصر صريرا شديدا ، و قد تضحخ بالغالية ؛ فقال يزيد بن عبد الملك و هو ١٠ جالس إلى جنب عمر بن عبد العزيز : قبح الله هذه الدنيا و ما فيها ! لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلا ينالها إلا كل شريف ! قال : فسمع ذلك يزيد بن المهلب فالتفت إلى يزيد بن عبد الملك فقال : يا مؤنث ! ألى يقال هذا و أنا ابن المهلب بن أبي صفرة ! إنما كان يجب عليك أن تقول : وددت أن الغالية لا توجد إلا في جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلي ، ١٥ قال : فقال عمر بن عبد العزيز : مهلا أبا خالد ! ولا كل هذا ، فانه ولي عهد ، و مع اليوم غد . قال : فالتفت يزيد بن عبد الملك فقال : و الله يا ابن المهلب لئن وليت هذا الأمر يوما من الأيام لأقطعن خير طابق من يدريك ! فقال له يزيد بن المهلب : و الله لئن وليت هذا الأمر و أنا حتى

لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف . وهذا كان السبب بين يزيد بن عبد الملك و يزيد بن المهلب^١ . فلما مرض عمر بن عبد العزيز اتقى يزيد ابن المهلب على نفسه ، فأرسل إلى مواليه الذين كانوا معه بالشام و أمرهم أن يعدوا إبلا ليهرب عليها ، ثم إنه صانع الحرسي بألف دينار و خرج ذات ليلة من الدار التي هو محبوس فيها ، ثم أقبل إلى الموضع الذي قد أعدت له فيه الإبل ، فركب و ركب معه مواليه ، و مضى هاربا على وجهه / حتى صار على مراحل من الشام . و تقارب من العراق .

ب / ١٧

ثم كتب إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله ان لو علمت أنك تبقى حيا ما برحت من محبسى الذى حبستى فيه أبدا حتى تكون أنت الذى تخرجنى ، و التى رأيتك عيلا فعلت أنك إن مت لم آمن يزيد بن عبد الملك على نفسى لما قد علمت ما كان بينى و بينه فلا تظن بى غير ذلك - و السلام .

قال فقال عمر بن عبد العزيز : اللهم إن كان يزيد بن المهلب يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، إنك على كل شىء قدير ، و ذلك عليك يسير .

(١) فى الطبرى ١٣٦/٨ : « فلم يزل (يزيد بن المهلب) فى محبسه ذلك حتى بلغه عرض عمر ، فأخذ يعمل بعد فى الحرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذب أصهاره آل أبى عقيل ، كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أنى الحجاج ابن يوسف عند يزيد بن عبد الملك فوادت له الوليد بن يزيد المقتول ، فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا ، فكان يخشى ذلك . »

ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز

قال : و حضرت عمر الوفاة فدعا بابنه محمد فأقعدته بين يديه فأوصى إليه بوصيته و عهد إليه عهده ، ثم قال : يا بني ! اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن الإمام إذا كان عادلا في رعيته ثم مات و ألد في قبره يترك على ما ألد في قبره ، و إذا كان ظالما غشوما قلبه على شماله . فانظروا إذا أنا مت فضعنوني في لحدى و سرجوا على اللين و ذروني ساعة ، ثم ارفعوا اللبنة التي على رأسي ، فانظروا فان كنت على حالتي التي وضعت عليها فالحمد لله رب العالمين ، / إن رأيتموني قد انقلبت على شمالي فانا لله و انا إليه راجعون ! قال : ثم مات عمر بن عبد العزيز . و كانت خلافته سنتين و ستة أشهر و يومين ، و توفي بموضع يقال له ١٠ دير سمعان يوم الأحد لست ليال خلون من رجب سنة إحدى و مائة و هو ابن تسع و ثلاثين سنة .

(١) انظر الطبرى ٨ / ١٣٧ .

خاتمة الطبع

تم بحمد الله وحين توفيقه طبع الجزء السابع من كتاب الفتوح لابن أعم الكوفي رحمه الله يوم الخميس الحادى والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ١٣٩٤ هـ = ١٤ فبراير ١٩٧٤ م؛ تحت إدارة مدير الدائرة وعميدها أجد أعلام الهند من أولى الألباب، أفضل العلماء، بروفيسور السيد عبد الوهاب، البخارى حين الانتساب، إلى آباءه الكرام ذوى الأحساب والأنساب، وفى الله أجره بغير حساب نعم العبد انه اواب ا

اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة السيد محمد عظيم الدين - كامل الجامعة النظامية - حفظه الله تعالى ا

وعنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له ولوالديه ا

ويليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى وأوله «خلافة يزيد بن عبد الملك» وفى الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وهو المسئول لحسن الخاتمة، ونصلى ونسلم على من علم فوائده الخير وخواتمه، سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

(٨١) محمد

DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/XII/VII



KITĀBU'L FUTŪH

BY
ABŪ-MUḤAMMAD AḤMAD IBN A'THAM AL-KŪFI
(d. about 314 A.H./926 A.D)

Vol. VII

Printed
Under the Auspices of the Ministry of Education
Government of India

&

Under the Supervision of
PROF. SAYYID 'ABDUL WAHĀB BUKHARI
Director, Da'iratu'l-Ma'arifi'l-Osmania

(*First Edition*)



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—500007
INDIA

(1974 A.D. / 1394 A.H.)

Nizami Book Agency
BUDAUN 243601 (U.P.)

Marfat.com

